https://www.path-2-happiness.com/ar

الطريق إلى السعادة
The Path to Happiness

# حوارات السعادة

خالد أبو الفتوح



فضاء القنوات
SPACE CHANNELS

مركز الفتوح للمعلومات

الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

الطريق إلى السعادة
The Path to Happiness
حوارات السعادة
خالد أبو الفتوح

من منشورات:
فضاء القنوات
مركز الفتوح للمعلومات

# حوارات السعادة

خالد أبو الفتوح

بسم الله الرحمن الرحيم


**ح خالد محمد ابو الفتوح حامد ، ١٤٣٤ هـ**

**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

حامد ، خالد محمد ابو الفتوح

حوارات الســـعادة. / خالد محمد ابو الفتوح حامد.- الرياض، ١٤٣٤هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: ٧-١٧٧٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والارشاد ٢-الوسطية في الاسلام أ.العنوان

ديوي ٢١١ ١٤٣٤/٢٨٦٩

**رقم الإيداع: ١٤٣٤/٢٨٦٩**

**ردمك: ٧-١٧٧٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨**

# مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. أما بعد

لا شك أن العالم في عصرنا يموج بتفاعلات أفكار واتجاهات عديدة، تشير إلى تعطش الإنسان المعاصر للإجابة على الأسئلة الكبرى في الحياة، والخروج من حالة الحيرة والتيه التي يعيشها، تعطشه إلى من يهديه سواء السبيل، كما أن العالم يشهد طفرة غير مسبوقة في الانفتاح على المعلومات وسرعة تناقلها، ومن هذا المنطلق كان على المسلمين واجب شرعي تجاه دينهم وإنساني تجاه البشرية، واجب أن يبلغوا كلمة الله للحيارى من الناس، وأن يبلغوها بلسان من يخاطبونهم، أي بمنطقهم وليس فقط بلغتهم.. فهكذا كان تبليغ رسل الله إلى أقوامهم.

وقد حث القرآن على الحوار والمجادلة بالحق والعلم، وندب أن يكون الجدال في مقام الدعوة بالتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥]، وأكد على ذلك في أهل الكتاب خاصة؛ فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٦]، ومارس ذلك الأنبياء وأولو العزم من الرسل، فهذا نبي الله نوح عليه السلام يذكر عنه قومه: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، وقد ضرب لنا القرآن أمثلة عديدة في حواراته وجدله مع المشركين والكفار، بل إنه ذكر حججهم التي يعارضون بها القرآن ورسالته بلا تزييف ولا لجلجة، وأعقبها بالردود الموضوعية المقنعة، وما ذاك إلا لأن الإسلام كما أنه دعوة إيمانية فإنه أيضًا دعوة إصلاحية تغييرية، وهذه وتلك لا تكونا إلا بتغيير الأفكار وإعادة تشكيل العقول، ولا يكون ذلك إلا بالإقناع، الذي يكون الجدل والحوار من وسائله الكبرى.

ومن هذا المنطلق اقترح عليّ أخي الدكتور عبد الله بن سالم باهمام فكرة تأليف كتاب يناقش أهم القضايا التي تشوه تصور غير المسلمين عن الإسلام، وأن يكون ذلك في قالب حواري، على أن يترجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة ويخرج في قوالب فنية ووسائط تناسب العصر.. فوجدتها فكرة جديرة بالاهتمام والعمل.

بدأت العمل مقتنعًا بأهميته غير مدرك لصعوبته؛ إذ إنني وضعت (مواصفات) للمخرجات شكّلت قيودًا عليّ أثناء العمل:

- فقد وسَّعتُ شريحة المخاطَبين بإضافة المسلمين الذين يريدون التزود بثقافة إسلامية سهلة وواضحة في الآن نفسه، تصلح لتنمية فكرهم ولمجادلة خصوم الإسلام.

- كما حددت معايير لاختيار الموضوعات، بأن تكون موضوعات كلية مما يشكل مبادئ للإسلام وأسسه، أو مما يثار حول الإسلام، وتصنع حواجز للنظر فيه والتعرف عليه.

- وتخيرت أن يكون المحتوى في صورة حلقات منفصلة (بلغت ٣٠ حلقة)، تعالج كل حلقة موضوعًا مستقلاً؛ بحيث يعطي فكرة متكاملة (أو مغلقة) عن الموضوع، ولا يحتاج إلى حلقة أخرى لتكتمل الصورة الذهنية عند القارئ (أو المشاهد) عن الموضوع المعالج.

- ولأن هذه الحلقات يُفتَرَض أن تخرج في شكل مرئي متسلسل، فقد التزمت بحجم محدد متساوٍ لجميع الحلقات، بل بعدد كلمات موحد لجميع الحلقات، وأن يكون هذا الحجم يلائم تعاطيه في صورة (كبسولة) فكرية مركزة، وهذا بالطبع أثر على استيفاء جميع جزئيات الموضوع، فكنت أتخير أهمها.

- وتجنبت قالب المقال السردي؛ لأتحول إلى قالب (المقال الحواري)، محاولاً إضفاء لمسة من التشويق والإثارة على موضوعات فكرية تتسم غالبًا بالجفاف والصعوبة.. ولكن هذه اللمسة لا تصل إلى مستوى القصة أو الرواية أو المسرحية.

- كما أنني راعيت أن تناسب حجج وإجابات الحوارات منطق الشريحة المخاطبة وثقافتها، وأيضًا أن يناسب مستوى الخطاب مستوى الشريحة المخاطبة.

- إلا أن أكبر التحديات كان في تقمص شخصية الآخر غير المسلم ومحاولة النطق بمنطقه والإدلاء بحجته، ومصدر هذا التحدي أنني لم أعايش شخصية هذا الآخر معايشة حية، كما أن هدف الحوار الدعوي كان له أثر لا ينكر في توجيه الحوار.

لقد حاولت جاهدًا الالتزام بهذه المعايير، ولا أزعم أنني استطعت الوفاء بها في جميع الحالات، فعذرًا للقارئ الذي قد يجد في صرامة المعايير شافعًا لي في بعض التقصير.

كما لا يفوتني التنبيه إلى أن هذه الحوارات لا تكفي لإعطاء تصور كامل عن الإسلام أو لمعالجة جميع الشبهات التي يثيرها أعداؤه، ولكنني أظن أنها كافية لكسر الحواجز التي قد تَحُول بين غير المسلم والإقبال على التعرف على الإسلام – إذا زالت الموانع الأخرى .

وأود أن أشير إلى أنني أثناء الكتابة – بعد الحوار الثاني عشر تقريبًا – علمت بواسطة أحد الأصدقاء أن هناك تجربة شبيهة للأستاذ توفيق الرفاعي، بعنوان (لك القرار).. وقد بحث عن الكتاب في المكتبات الموزعة له التي توجد في نطاق إقامتي وقتها؛ لمقارنته بما شرعت فيه، فعلمت أنه نفذ من الأسواق ولم يُعِد طباعته منذ عدة سنوات، وبحثت عنه في شبكة الإنترنت فلم أجده، ولكني وجدت عرضًا له في أحد المنتديات، علمت من خلاله أن هناك موضوعات مشتركة بيننا، وهناك موضوعات ضمن إطار خطة كتابنا لم أعلم أنه تناولها، وإن كانت الفكرة بالفعل قريبة جدًّا من فكرة كتابنا، كما أن المادة من خلال العرض مادة متميزة، ويزيد تميزها أنها نتاج حوارات حقيقية بين الأستاذ توفيق والسيدة زوجته من جهة وبعض الغربيين من جهة أخرى.. وبعد تشاور مع أخي الدكتور عبد الله باهمام عقدت العزم على استكمال ما بدأته.. وهذا ما كان.

كما أشير إلى أنني رجعت في حواراتي إلى مصادر ومراجع عديدة، وإلى المئات من صفحات الإنترنت، وقد اقتبست منها بعض المقاطع، وتصرف في بعض آخر، ولم أثبت ذلك في الهوامش، لعدم مناسبة ذلك في قالب المقال الحواري الذي اعتمد لهذه المادة؛ إذ إن الهوامش ستشتت تركيز القارئ وتقطع تواصل الأفكار، وعوضًا عن ذلك فقد أثبت معظم هذه المراجع والمصادر في نهاية الكتاب، مع التوسع فيها لمن أراد زيادة الاطلاع، ومع تعذر ذكر صفحات الإنترنت.

أخيرًا.. فإن شخصيات الحوارات جاءت ثلاثة: اثنتان منهم شخصيات محورية بدأت بها الحوارات وانتهت، هما: شخصية راشد، ذلك الكاتب والصحفي المسلم الذي يعيش مؤقتًا في بريطانيا، ومايكل، المواطن الإنجليزي الذي يعمل مدرسًا، تعرفا على بعضهما من خلال المداخلات الحوارية في إحدى صفحات الحوار الاجتماعي، ثم تواعدا ليلتقيا في أحد مقاهي لندن، لاستئناف حواراتهما وجهًا لوجهه، ثم ينضم إليهما أثناء زيارتهما باريس: راجيف، طالب الهندسة الهندي الذي يدرس في ألمانيا...

والآن أترككم مع الحوار الأول، مع راشد ومايكل؛ متمنيًا أن تجدوا في جميع الحوارات إضافة جديدة.

خالد أبو الفتوح

khaled@alfotoh.com

# كأس الغفلة



# كأس الغفلة

التقى راشد بصديقه مايكل على المقهى حسب الموعد المحدد بينهما، وما إن جلسا حتى بادر مايكل راشد قائلًا:

الليلة سأطرح موضوعًا أظنك ستوافقني على وجهة نظري فيه.

**راشد:** مهلاً يا صديقي، دعنا أولاً نطلب مشروبًا لتحيتك!

**مايكل:** معذرة في اندفاعي، معك حق..

استدعى مايكل النادل.. توجه النادل إليهما، وسأل راشد عما يطلبه.

**راشد:** شاي.

**النادل (متعجبًا):** شاي؟!

**راشد:** بالليمون.

**النادل (وقد ازداد تعجبه):** بالليمون؟!!

**مايكل (ضاحكًا):** نعم، إنه مسلم لا يشرب الخمر.. وأنا أيضًا شاي بالليمون اعتذارًا عن اندفاعي، وموافقةً لصديقي.

انصرف النادل لإحضار طلبهما، بينما يتمتم راشد: لا أعرف ما الغرابة في ذلك؟!

**مايكل:** يا صديقي، إن شرب الخمر في بلادنا كشرب الماء، هناك أنواع كثيرة بأسماء ومذاقات مختلفة وطرق شرب شتى؛ لذلك تعجب النادل ألا يحتوي طلبك على شيء منها، لا يفعل ذلك إلا الأطفال.. عفوًا.. عفوًا..

**راشد:** ولكن ذلك غريب!

**مايكل:** وما الغرابة في ذلك؟ ليس هذا الأمر جديدًا علينا، وليس في بلادنا فقط، بل في الغرب كله.

**راشد:** هذا بالضبط وجه الغرابة..

**مايكل:** كيف؟!

**راشد:** لأنكم أقوام يدين معظمكم بالنصرانية، ويفترض أنكم تؤمنون بالكتاب المقدس، وقد بينت التوراة أن في شرب الخمر مضرّة كبيرة، فوضحت محذرة: "لا تكن بين شرِّيبيّ الخمر، بين المتلفين أجسادهم" (أمثال٢٣:٢٠)، ونهت عن السكر بالخمر: "ويل للمبكرين صباحًا يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر" (إشعياء ٥:١١).

ومن نصوص الإنجيل ورد في سفر اللاويين (١٠: ٩): "وكلم الرب هارون قائلًا: خمرًا ومسكرًا لا تشرب أنت وبنوك لكي لا تموتوا، فرضًا دهريًّا في أجيالكم"، وفي سفر القضاة (١٣: ١٤): "وقال ملاك الرب لمنوح... من كل ما يخرج من جفنة الخمر لا تأكل، وخمرًا ومسكرًا لا تشرب..." وغير ذلك نصوص كثيرة تذم شاربي الخمر، وتنهى عن مخالطة السكيرين، بل تذم الناظرين إليها..

**مايكل:** مهلًا يا راشد، لا تظن أنك وحدك تعلم الكتب المقدسة، فكثير من رجال الدين عندنا يبيحون شرب الخمر، وأورد بعضهم من التوراة أن بعض الأنبياء شرب الخمر حتى سكر، وقد سمعت من بعضهم أيضا أن المحرم فقط هو السُكْر، وفي الإنجيل أن المسيح شرب الخمر، ففي لوقا (٧: ٣٣): "لأنه جاء يوحنا لا يأكل خبزًا ولا يشرب خمرًا فتقولون به شيطان، وجاء ابن الإنسان يأكل ويشرب (الخمر) فتقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر".

**راشد:** إن ما تذكره يا عزيزي يحيلنا إلى مشكلتين خطيرتين لهما تأثيرهما على الإنسان الغربي والمجتمعات الغربية:

الأولى: إنني آسف حين أقول لك: إن واقع كتابكم المقدس الحالي يثبت أن به العديد من المدسوسات، وأن الأيادي التي تخدم إبليس قد حرّفته؛ مما جعله متناقضًا في عدّة عقائد، منها: تحريم الخمر وتحليله، ونسب شربه إلى المسيح عليه السلام وتنزيهه عن ذلك في آن واحد، فقد ورد في لوقا أيضًا (١: ١٥) وصفًا للمسيح عليه السلام على لسان جبرائيل عليه السلام، إذ نقرأ: "لأنه يكون عظيمًا أمام الرب، وخمرًا ومسكرًا لا يشرب.."... والتناقض واضح.

الثانية: أن رجال الدين عندكم يحتكرون الكتاب المقدس، وبعضهم يدعي أنه يتحدث باسم الرب، وكثير منهم يرى أن له سلطة التحريم والتحليل، وأنتم تتبعونهم على ذلك.

**مايكل:** معك حق في ذلك، ولهذا أصارحك القول: إن كثيرًا منَّا لا يؤمن حقيقة بالكتاب المقدس ولا يثق برجال الدين، ولقد حدث تحول كبير في مجتمعاتنا منذ عصر النهضة، لذلك: فإننا عند المحكات الفعلية يكون إيماننا بالعقل والعلم المادي فقط... دعنا إذن من الكتب المقدسة ومن الدين، ولنتكلم بالعقل والعلم.

**راشد:** اسمح لي بالقول أولًا: إن هذه مشكلتكم أنتم مع الدين، نتيجة ما عانيتموه من طغيان الكنيسة ومحاربتها للعلم، خاصة في العصور الوسطى، وللأسف فقد نظرتم إلى كل دين على أنه كنيسة، وتتصورون أنه يصادم العلم وأن مكانه في دور العبادة فقط، أما في الإسلام فلا نعاني من هذه المشكلة، بل ديننا يحث على العلم، وليس فيه أسرار مقدسة يحتكرها رجال دين..

وعمومًا دعنا نتحدث باللغة التي تقتنع بها، ولكن ذلك لا يخالف ما أدين به، وسأثبت لك ذلك.

**مايكل:** تفضل إذن.

**راشد:** لقد تحدثت أن ما تؤمنون به الآن هو العقل والعلم، فبداية أسألك: إذا كان العقل بهذه الأهمية، فهل الخمر يحافظ على العقل أم يغيبه؟

**مايكل:** هذا فخ وليس سؤالًا.

**راشد:** لقد كرّم الله الإنسان وفضّله على كثير ممن خلق، وأنعم عليه بنعمة العقل، وفي الإسلام جعل الله من لا عقل له غير مكلف شرعًا، وقد أمرنا الله عز وجل بالحفاظ على تلك النعمة العظيمة وعدم المساس بها بأي شيء قد يؤثر عليها، بل إن المحافظة عليه إحدى ضرورات خمس في الإسلام، ولذلك حرّم الإسلام شرب الخمر أو تعاطي المخدرات أو ما شابهها من مواد قد تُغيّب العقل.

**مايكل:** وما هذه الضرورات الخمس التي ذكرتها؟

**راشد:** الخوض في ذلك سيخرجنا عن موضوعنا، ولكنها عمومًا: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال.

**مايكل:** جيد، أكمل.

**راشد:** من المعروف علميًّا أن الكحول (وهو المادة المؤثرة في الخمر) سريع الامتصاص في المعدة والأمعاء الدقيقة، ويصل بسرعة إلى مجرى الدم، ثم يتخلل كل أنسجة الجسم بسهولة شديدة ومنها خلايا الجهاز العصبي المركزي.

ويؤثر الكحول ـ حتى ولو كان بكمية ضئيلة جدًّا (حوالي ٠٣ , ٠٪) ـ على وظائف الخلايا العصبية، ويبطئ من انتقال التيارات العصبية فيما بينها؛ مما يؤدي إلى تقليل التركيز واختلال في الحركة مع عدم القدرة على الحكم الصحيح على الأشياء، ولهذا حرم قرآننا الخمر أشد تحريم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٩٠].

**مايكل:** ولكنا نرى للخمر بعض فوائد، منها الشعور بالانتعاش، والإحساس بالدفء، خاصة في بلادنا الباردة.

**راشد:** لا ينكر القرآن أن لها بعض الفوائد، فقد قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة:٢١٩]، ولأن هذه الفوائد لا تقارن بالمضار فقد حرمها القرآن، وتعالَ نتحدث بالعلم الذي تؤمن به:

ففضلًا عن الآثار السلوكية والأضرار النفسية والاجتماعية والتصرفات غير الواعية التي قد تؤدي إلى ارتكاب الجرائم والوقوع في الخسائر المالية وإيذاء الآخرين، فإن العلم يثبت أن شرب الخمر، خاصة الوصول إلى مرحلة السكر والإدمان، يؤدي إلى الأضرار الصحية الآتية:

١- تؤثر في غدد الجسم عمومًا، وتسبب الاضطراب لها وللقلب.

٢- تسبب احتقان الجهاز التناسلي.

٣- تسبب قرحة المعدة والإثنا عشر والتهابات الجهاز الهضمي.

٤- تؤدي إلى التهابات شديدة مباشرة على الفم والبلعوم والمعدة والأمعاء والأعصاب والغدد الصماء.

٥- تسبب للكبد التهابًا وتمزيقًا، ثم تحجرًا مع تليف يصل بالكبد إلى مرحلة التشمع التي لا شفاء منها، والتي تؤدي إلى السرطان الكبدي.

٦- ومضار الخمر على أعضاء الجهاز التنفسي يصعب حصرها.

أما ما تقوله من الاستدفاء بالخمر، فإن ذلك يحدث من تأثير الدم المحمل بالخمور على الجلد، الذي يُحدِث اتساعًا للأوعية الدموية "الشعيرات الدموية" بطرفيها الوريدي والشرياني، فنجد سطح الجلد قد امتلأ بالدم الدافئ القادم من جميع أجزاء الجسم حاملًا معه الحرارة والدفء؛ مما يُشعِر المتعاطي للخمر بالدفء الكاذب، فنجد المتعاطي قد احمرّ جلده وتوهج ولا يشعر بالبرد،

ويستمر تدفق الدم الدافئ من جميع أنحاء الجسم إلى الجلد في دورته المعتادة؛ مما يفقد بها الجسم الحرارة الداخلية والدفء اللازمين للعمليات الفسيولوجية اللازمة للحياة.

وهناك وسائل عديدة لاكتساب الدفء خلاف شرب الخمر، ومن المعروف أن المسلمين الذين يعيشون في المناطق الباردة لا يلجؤون إلى الخمر لطلب الدفء.

**مايكل:** ولكن لاحظ يا أستاذ راشد أن كلامك ينطبق على افتراض الوصول إلى حالة السُكْر، وعلى ذلك فأنا أعتقد أن شرب قليل من الخمر لا بأس به.

**راشد:** المشكلة تكمن في أن الخمر في بداية تناوله يؤدي إلى شعور بتحسن في المزاج مع نشوة، ثم يبدأ الجسم في طلب المزيد من الكحول؛ مما يجعل شارب الخمر يطلب المزيد منه، وكلما زادت نسبة الكحول احتاج الجسم إلى المزيد منه.. وهكذا.

ودعني أذكر لك خلاصة دراسة طبية نيوزيلندية أشارت إلى أن الأضرار الناجمة عن تعاطي المشروبات الكحولية ـ ولو بمقادير صغيرة أو متوسطة ـ تفوق أي فوائد متوقعة؛ مما يناقض المفهوم الشائع بالغرب من أن كأسًا واحدة من الخمر كل يوم قد تقي من أمراض القلب، وفي مقاله المنشور بمجلة لانسيت الطبية يرى أستاذ علم الأوبئة بجامعة أوكلاند بنيوزيلندا الدكتور رود جاكسون أن أي وقاية من أمراض القلب بسبب التعاطي الخفيف أو المعتدل للخمور، ستكون ضئيلة جدًا ولا تعادل الأضرار الناجمة عنه.

وهنا يكمن الإعجاز العلمي والتشريعي في الحديث الشريف: "كل مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام".

**مايكل:** أوووه، لقد كان نقاشًا ساخنًا وليس فقط دافئًا، أرى أنني بحاجة لكأس من الليمون البارد، نختم به لقاءنا.

**راشد (ضاحكًا):** ليمون بغير شاي؟! ولكنك لم تذكر الموضوع الذي ذكرت أني سأوافقك فيه.

**مايكل:** فليكن موضوعنا في اللقاء القادم.

**راشد:** إن شاء الله تعالى.

# زوجة واحدة.. هل تكفي؟!



# زوجة واحدة.. هل تكفي؟!

رغم أن راشد وصل في الموعد المتفق عليه، إلا أنه وجد مايكل في انتظاره على الطاولة، بل إنه وجده أحضر مشروب التحية له.. حيَّاه راشد وجلس على مقعده..

**مايكل:** لقد أحضرت لك مشروبك المفضل، الشاي بالليمون.. هكذا خمنت أنك ستشرب ما تفضله دائمًا.

**راشد:** تحية مقبولة، ورغم أني أفضل هذا المشروب بالفعل، إلا إنني أحب التنوع والتغيير حتى ولو إلى خيار أقل تفضيلًا.. أظن أن هذه طبيعة في البشر عمومًا.

مايكل: قد أتفق معك، ولكن دعنا من ذلك، ولنبدأ في موضوعنا.. عفوًا!.. هل أطلب لك مشروبًا آخر؟

**راشد:** لا لا، شكرًا لك.. يبدو أنك متحفز للنقاش!

**مايكل:** ليس بهذه الصورة، ولكن حتى لا ينسلّ منا الوقت في مناقشة موضوع آخر كما حدث في اللقاء الماضي.

**راشد:** إذن تفضل.

**مايكل:** كما قلت لك في اللقاء الماضي فإن الموضوع الذي أود مناقشته، أعتقد أنك ستوافقني على وجهة نظري فيه، مع علمي بأنه يشيع في مجتمعاتكم الاعتقاد بخلاف وجهة النظر هذه.

**راشد:** جميل جدًّا، أنا لا أحب الخلاف، ونقاشاتي معك إنما لمحاولة الوصول إلى قناعة مشتركة، أو على الأقل تَفَهُّم صحيح لوجهات نظر كل منا.. ما الموضوع إذن؟

**مايكل:** الموضوع باختصار هو أنني أعتقد أن العلاقة الزوجية ينبغي أن تكون أحادية في كلا الطرفين، وبشكل أكثر وضوحًا: أعتقد أن نظام تعدد الزوجات الذي يبيحه الإسلام فيه نوع من الظلم للمرأة.. ألا توافقني على ذلك؟!

**راشد:** أي امرأة تقصد؟

**مايكل (متعجبًا):** المرأة! الزوجة!.. هل توجد امرأة أخرى في هذه العلاقة؟!

**راشد:** كما اتفقنا سابقًا، فإن البحث الصحيح للأمور ينبغي أن يكون ضمن إطار كلي تنتظم فيه كل المسائل ويُنظر فيه إلى جميع الأبعاد.

**مايكل:** حسن، ولكن ما أثر ذلك على موضوعنا؟

**راشد:** أثره أننا عندما نبحث هذه المسألة ينبغي أن ننظر إلى مصالح المرأة باعتبار جنس المرأة، أي جميع النساء، والنظر إلى مصالح المجتمع ككل، بل مصالح الرجل أيضًا واعتبارات الفوارق بينه وبين المرأة...

**مايكل (مقاطعًا):** ها قد وصلنا إلى منشأ الظلم الذي أقول إنه واقع على المرأة عندكم، الفوارق بين الرجل والمرأة!.. إن هذه الفوارق التي تدّعونها هي قيم وضعها المجتمع الشرقي الذكوري لاستغلال المرأة والاستمتاع بها.. أي فوارق هذه؟! لماذا لا يكون من حق المرأة أيضًا أن تتزوج أكثر من رجل؟! أليس ذلك دليلًا على شهوانية الرجال في هذا المجتمع؟!

**راشد:** مهلًا مهلًا يا صديقي.. لقد ألقيت إليّ بقنبلة تساؤلات انشطارية محرمة حواريًّا لا يمكن أن نواجهها دفعة واحدة.. سنناقش كل ذلك، ولكن دعنا نفكك هذه القنبلة، ولنبدأ مما أثار حفيظتك: ألا تعتقد معي أن هناك فوارق بين الرجل والمرأة؟

**مايكل:** أي فوارق؟

**راشد:** بداية.. فوارق بيولوجية، بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل الجسمية!

**مايكل:** بالطبع هناك فوارق بيولوجية، ولكن ما علاقة هذه الفوارق بموضوعنا؟!

**راشد:** لن أحدثك من منطلق ديني الذي أعتقد ضرورة التسليم له والرضا به، ولكني سأحدثك من منطلق العقل والعلم الذي أعلنت سابقًا أنك تؤمن بهما.. اسمع يا سيدي:

أثبتت الدراسات العلمية التي أجريت مؤخرًا أن كيمياء الحب عند الرجال تختلف عنها عند النساء؛ مما دفع عددًا من الهيئات العلمية للبحث بصورة مكثفة حول فروق مشاعر الحب بين الرجل والمرأة، فعثر العلماء على نتائج مذهلة تفيد بأن جينات الذكر تدفعه إلى التعدد في العلاقات، في حين أن جينات الأنثى تدفعها إلى الاستقرار والإفرادية في العلاقات، وبالفعل فقد أثبت العلم الحديث أن الرجل يستطيع أن يحب أكثر من امرأة، دون أن يؤثر هذا في حبه لأي منهما.

ونسب موقع CNN إلى أستاذة علم النفس في جامعة ولاية يوتا الأمريكية، ليزا دايموند، أن هناك أدلة بيولوجية على أن التعدد في علاقات الرجال الجنسية هو أمر نابع من تركيبهم الجسماني.

وأشار فريق أبحاث من جامعة إكسفورد البريطانية، في دراسة لهم عام ٢٠٠٧ أن النساء، على عكس الرجال، ينصب جل اهتمامهن على أجسامهن أو على أولادهن بسبب هرمون الأكستوسين الذي يزيد تعلقهن بأطفالهن.

وتشير دراسات جديدة إلى أن أجزاء محددة من دماغ الرجل، أكبر بنحو الضعف منها عند المرأة، ولعل أكبر فرق بين دماغ الذكر والأنثى، هو أن الرجال لديهم منطقة مسؤولة عن الرغبة الجنسية أكبر بنحو مرتين ونصف من الإناث.

فهل تعتقد يا صديقي أن هذه الفوارق لا يكون لها أثر في الواقع؟!

**مايكل:** إذا صحت هذه المعلومات فطبيعي أن يكون لها أثر.

**راشد:** إذن فما أسميته (شهوانية) الرجل وتعدد علاقاته النسائية أمر لا علاقة له بالإسلام أو المجتمع الشرقي.. وأنا أسألك سؤالًا أرجو أن تجيبني عليه بالصراحة المعهودة عنك: كم من أصدقائك ومعارفك ليس له علاقات نسائية متعددة؟ لا أقول علاقاتك أنت.

**مايكل:** وحتى لو قلت علاقاتي أنا، فهذا أمر شائع عندنا ومتعارف عليه في مجتمعاتنا.. ولكنه لا يكون زواجًا.

**راشد:** إذن فما ترمي به مجتمعاتنا موجود في مجتمعاتكم، مع وجود فارق كبير سأذكره لك.

ولكني أزيدك فوق ذلك: أن الإسلام لم يبتدع نظام تعدد الزوجات، لقد عُرف تعدد الزوجات في الحضارات القديمة قاطبة، ولم يكن لعدد الزوجات عند الرجل حد معين، كما عُرف التعدد في كافة الديانات السماوية، وقد ظل التعدد مسموحًا به في الديانة اليهودية حتى العصور الوسطى حين أعلن الحبر غرشوم الإشكنازي (٩٦٠-١٠٤٠م) تحريم التعدد، أما الكنائس النصرانية فلم تعرف حظر التعدد إلا في القرن السابع عشر، وما زال مسموحًا به حتى الآن عند بعض الكنائس، كطائفة المورمون.

**مايكل:** إذن، كان هذا التعدد في العصور القديمة، أما الآن فقد تقدم الإنسان وارتقى حضاريًّا.

**راشد:** التقدم والارتقاء الحضاري لا يكون بمصادمة فطرة البشر وعدم تلبية حاجاتهم والقفز فوق مصالحهم، فلا يعقل أن يقال: إن الإنسان في عهوده القديمة كان يأكل لحوم الماشية أو يلبس أصواف الأغنام، فيكون أكل اللحوم ولبس الأصواف تصرفًا همجيًّا أو رجعيًّا.. ولكن يمكن القول: إن ارتقاء الإنسان الحضاري يمكن أن يطور هذه الأعمال لتكون أكثر تلبية لحاجاته وأكثر ضمانًا لمصالحه.. وهذا ما جاء به الإسلام.

**مايكل:** كيف؟

**راشد:** أنت تقول إن العلاقات العاطفية أو الجنسية المتعددة خارج إطار الزوجية منتشرة في مجتمعاتكم الغربية، وهذا هو الظلم بعينه للمرأة والفساد بعينه للمجتمع، فهي علاقة لا تؤدي إلى الاستقرار النفسي ولا تضمن حقوقًا ولا تنشئ مجتمعًا سليمًا، وإذا كان التعدد موجودًا في الحضارات القديمة بغير ضابط، فلقد جاء الإسلام فأنصف المرأة عندما لبَّى حاجتها وجعلها شريكة شرعية في الزوج، ووضع الضوابط والقيود على هذا الزوج لضمان أكبر قدر من عوامل النجاح لهذه المؤسسة الاجتماعية، أقصد الأسرة.

فالإسلام راعى مصالح المرأة، كل امرأة، ووازن بين كبت شهوة الرجل وإطلاقها، وذلك كله في إطار المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تحطمت إلى حد بعيد في بلادكم.. الأسرة..

**مايكل:** ولكن الإحصائيات العلمية تقول إن معدل نسبة المواليد الذكور إلى المواليد الإناث متعادلة تقريبًا، فإذا طبقنا مبدأ تعدد الزوجات فسيبقى بعض الرجال بلا زوجات، وهذا أيضًا سيكون أمرًا خطيرًا.

**راشد:** إذا كانت الإحصائيات العلمية تثبت ذلك، فإنها تثبت أيضًا أن متوسط أعمار النساء أعلى من متوسط أعمار الرجال، ففي العالم الغربي يعيش الرجال في المتوسط ٧ سنوات أقصر من النساء، وهذا الفرق ازداد باستمرار خلال القرن الماضي، على سبيل المثال: في ألمانيا يبلغ متوسط عمر المرأة ٨٠ سنة أما الرجل فيبلغ متوسط عمره ٧٠ سنة، في حين كان هذا الفارق سنتين عام ١٩٠٠م.

ويقول العالم "دانيال كروجر" من جامعة "ميشغن" بالولايات المتحدة: في أغلب بلاد العالم يعيش الرجل عمرًا أقصر من المرأة.. ويضيف "كورجر": إن أحد أسباب هذا الفرق: اختلاف الهرمونات بين الرجل والمرأة، ؛ فهرمونات الرجل تنشط الجينات التي تسبب أمراض القلب والدورة الدموية.

أضف إلى ذلك: احتمالات القتل التي تسببها الحروب في البلدان التي تشتعل فيها الصراعات والنزاعات، والمخاطر التي تصاحب الاشتغال بالأعمال العنيفة والخطرة، فضلًا عن ظواهر اجتماعية أخرى كحوادث الطرق.. يذهب ضحية كل ذلك الآلاف من الضحايا معظمهم من الذكور..

أي إن نسبة النساء في المجتمعات تفوق نسبة الرجال، وهذا واقع تشهد به إحصائيات السكان في معظم دول العالم، أضف إلى ذلك تفشي مشكلة أعداد المطلقات والأرامل..

فهل تُترك النساء غير المتزوجات يعانين من المشكلات النفسية والاجتماعية والسلوكية، أم يُدفعن دفعًا إلى تسول حقوقهن وإشباع رغباتهن الفطرية خفية بما يؤثر سلبًا عليهن وعلى صحة المجتمع، أم يشرع نظامًا اجتماعيًّا يلبي حاجات الجميع في إطار من الضوابط الشرعية التي تراعي القدرات والظروف الإنسانية وتضمن أن يتم ذلك في إطار من العدالة، دون ظلم أو ضغط على أي طرف من الأطراف؟!

لقد أجاب على ذلك عالم الاجتماع الفرنسي الدكتور جوستاف لوبون، عندما قال: "إن نظام تعدد الزوجات الشرقي [يقصد: الإسلامي] نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي للأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطًا، ويمنح المرأة احترامًا وسعادة لا تراهما في أوروبا"...

اسمح لي بكوب من عصير الليمون وكأس من الشاي.

# الوردة النازفة



# الوردة النازفة

ما إن جلس راشد على الطاولة حتى أخرج حاسوبه المحمول من حقيبته، وبينما هو منهمك في تشغيله خاطب مايكل قائلًا:

الليلة سأعرض عليك مقطع فيديو نادرًا، المقطع بالكاد تتجاوز مدته نصف الدقيقة بقليل ولكنه غير معتاد؛ لأنه سينقلنا عبر التاريخ قرنًا من الزمان؛ إنه وثيقة مرئية [١].

وباهتمام شديد اقتربت رأسا مايكل وراشد من الحاسوب، وصوبا بصريهما تجاه شاشته.

**مايكل:** أووه ممتع! كم أنا سعيد وأنا أرى كيف كان نمط الحياة في بريطانيا بلدي منذ ما يقرب من مئة عام.. انظر إلى البهجة على وجوه المارة في الشارع.. انظر إلى فرحة هذا الطفل!.. كانت حياة أقرب إلى التلقائية والفطرة.. كم هي حياة أقرب إلى النفس.

**راشد:** سأعيد عرض المقطع لألفت نظرك إلى ملحوظة أخرى مهمة.

يعيد راشد المقطع، ويتابع كلامه مع مايكل:

انظر!.. هذه امرأة.. اثنتان.. خمسة ست نساء، لاحظ معي.. جميعهن لا يظهر منهن غير الرأس المغطى بالقبعة والكفّان.. وملابسهن فضفاضة لا تصف أجسامهن..

**مايكل:** صحيح!

**راشد:** إذن ما الذي جرى؟!

**مايكل:** في أي شيء؟

**راشد:** في مجتمعاتكم..

**مايكل:** تقصد العري وقلة الاحتشام؟!

**راشد:** بالضبط، ولكني أشير أيضًا أن ذلك مشهد من انهيار منظومة القيم الأخلاقية بصفة عامة.

**مايكل:** هذه حريات شخصية، نحن الآن مجتمعات تقدس الحرية، ولكل شخص الحق في اختيار نمط الحياة الذي يرده.

(١) http: / /www.youtube.com /watch?v=Rb6R7Mmhjq8

**راشد:** بالطبع أفهم ذلك، وهذا أمر يستحق إفراد جلسة أو جلسات حوار لمناقشته بعناية، ولكن ما يلفت النظر هو التوافق المجتمعي عندكم على هذا التحول في القيم الأخلاقية وكأن جميع الأفراد يرجعون إلى مرجعية واحدة في اختياراتهم.

**مايكل:** لا يخفى عليك أن هناك ما يسمى بثقافة المجتمع، وهي التي ينشأ عليها الأفراد وتتحول إلى ممارسات تلقائية يفعلها الفرد بدون استحضار المرجعية وبدون أن يستغربها أو ينكرها المجتمع، وضمن هذه الثقافة قد توجد اختلافات نوعية بين اختيارات الأفراد.

**راشد:** جميل جدًا، إذا أخذنا هذه الظاهرة وبحثنا عن الصواب والخطأ فيها، فإننا نجد أن كتابكم المقدس يدعو إلى الاحتشام وعدم إظهار الزينة؛ فقد جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس (٢: ٩): "كما أريد أيضًا أن تظهر النساء بمظهر لائق مَحْشُوم اللباس، متزينات بالحياء والرَّزانة، غير متَحليَّات بالجدائل والذهب واللالئ والحُلل الغالية الثمن،(١٠) بل بما يليق بنساء يَعترِفْنَ علنًا بأنهن يَعِشْنَ في تقوى الله بالأعمال الصالحة».

**مايكل:** يا سيدي هذا يصلح للنساء المنتسبات إلى الكنيسة، أما نحن في حياتنا خارج الكنيسة فقد سبق أن قلت لك سابقًا إننا نحّينا الدين عن التدخل في حياتنا منذ عصور التنوير.

**راشد:** ولكن يا صديقي هذا المقطع الذي رأينا فيه النساء محتشمات في الشارع وليس في الكنيسة، وقد كان بعد ما تسمونه بعصر النور بعدة قرون.. وإذا سلمت لك بخروج الدين من مكونات مرجعيتكم القيمية فإني أعود وأسأل: ما الذي حدث؟! ما الذي حول نساءكم إلى هذا الابتذال والعري؟!

**مايكل:** ابتذال من وجهة نظرك، ولكني أراه شيئًا عاديًا، ودعني ألفت نظرك إلى ملحوظة في مقطع الفيديو، وهو أنه صور في فصل شتاء أو وقت بارد على الأقل، وهذا واضح في طبيعة الملابس التي يرتديها الرجال والأطفال وألوانها الداكنة.. فقد يكون هذا الاحتشام بسبب برودة الجو، وإن كان ذلك لا ينفي حقيقة نعرفها جميعًا؛ وهي أن النساء كن في هذا العصر وإلى وقت غير بعيد أكثر احتشامًا، أما ما الذي حدث؟ فإنه ببساطة قد تغيرت القيم والمفاهيم تبعًا لتطور المجتمع.

**راشد:** هذه قضية أخرى يمكن أن نفرد لها جلسة نناقشها فيها، وهي مسألة نسبية الأخلاق، فأنا إن كنت أتفهم تطور العلوم والأدوات والوسائل إلا إني أرى أن الأخلاق والقيم تختلف في إخضاعها لهذا التطور.

**مايكل:** لا بأس بمناقشة ذلك لاحقًا، ولكن اسمح لي يا سيد راشد، لماذا تهتمون دائمًا بالنظر إلى المرأة على أنها جسد؟! لماذا يشغلكم هذا الأمر؟!

**راشد:** الإسلام ينظر للمرأة وللرجل على أن كلًّا منهما إنسان، والإنسان مخلوق يتكون من جسد وروح وعقل، لا نستطيع أن نتجاهل أيًّا من هذه المكونات، بما فيها ليس فقط مادية الجسم بل أيضًا حيوانيته، ولا يمكن أن يرتقي هذا الحيوان الناطق ليصل إلى درجة الإنسانية إلا من خلال منظومة يتكامل فيها التهذيب الأخلاقي والسمو الروحي والتنظيم الاجتماعي والقانوني، وأنتم حينما حسبتم أنكم تنورتم وفصلتم الكنيسة أو بالأحرى الدين عن الحياة ارتضيتم أن تستقل الكنيسة بالروحانيات على أن ينطلق العقل خارج إطار الدين وتفعلوا بالجسد ما شئتم، ولهذا أطلق شياطين الحضارة المادية العنان للتمتع بالشهوات الجسدية البهيمية خارج الإطار الأخلاقي والديني، ولأجل إشباع نهمهم البهيمي شجعوا المرأة على إبراز مفاتنها بشتى السبل وفي جميع الأحوال، ورسخوا ذلك باسم الحقوق والحريات.

**مايكل:** ولكننا نشاهد النساء بهذا العري صباح مساء، ولا تحركنا هذه الشهوات التي تسميها بهيمية.

**راشد:** هل تظن أن ذلك فضيلة أو حسن خلق؟ إن أقرب عواقب اعتياد مشاهدة العري أو المناظر المثيرة، هو إصابة هذا المعتاد ببرود جنسي، وهذا يعقبه ضرر آخر أشد منه، وهو البحث عن مثيرات أخرى غير ما اعتاده، وهو ما قد يؤدي إلى الشذوذ الجنسي.

**مايكل:** العواقب لديك يا سيد راشد أنواع، فيها أقرب ومنها أبعد.

**راشد:** نعم، فهناك عواقب لهذه الظاهرة تقع في نطاق الجرائم؛ إذ إن من لم يصل إلى هذا البرود بسبب ظروف جسدية أو اجتماعية أو تربوية، فإنه يصاب بسعار جنسي، تكون من نتائجه انتشار حالات الاغتصاب، وهذا ما تسجله إحصائيات حوادث الاغتصاب، ودعني أذكر لك نذرًا يسيرًا منها:

تشير إحصائية لوزارة الداخلية الفرنسية إلى وقوع (٤٤١٢) حادثة اغتصاب خلال عام واحد في فرنسا، أي ما معدله حادثة كل ساعتين تقريبًا.

وفي بريطانيا: نظمت شرطة العاصمة لندن حملة توعية مكثفة لتشجيع النساء على تعلم فنون الدفاع عن النفس، واتخاذ مواقف إيجابية، بدلاً من الاستسلام عندما يتعرضن لهجوم الرجال، وذلك في أعقاب الإعلان عن ارتفاع عدد جرائم العنف والاغتصاب في شوارع لندن بنسبة (١١٪) خلال عام واحد.

وفي أمريكا: أعلن مركز الضحايا الوطني المناصر لحقوق ضحايا جرائم العنف: أن معدل الاغتصاب في الولايات المتحدة أصبح (١,٣) امرأة بالغة في الدقيقة الواحدة، وأضاف المركز: إن واحدة من كل ثماني بالغات في الولايات المتحدة تعرضت للاغتصاب، وذلك في عام ١٩٩١م.

أما في عام ٢٠٠٩ فتشير الإحصاءات إلى أن واحدة من كل ثلاث فتيات في سن ١٤ سنة معرضة للاغتصاب، ويوجد بأمريكا نصف مليون عملية اغتصاب سنويًّا، وأن (٦١٪) من البنات الأمريكيات فقدن بكارتهن قبل سن ١٢ سنة.

وهناك نوع آخر من الجرائم، يسمى الجريمة المسكوت عنها، وهي تحرش أرباب العمل أو المديرين بالنساء اللاتي يقعن تحت نفوذهم، وفي العادة لا تسجل هذه الجرائم؛ بسبب خوف المرأة على وظيفتها، أو طمعها في تعويض، أو صعوبة الإثبات.

وبالطبع إن هذه الأرقام لا تمثل كل الحقيقة؛ إذ تقدر (جمعية مناهضة اغتصاب النساء) أن (٣٥) حالة تلتزم الصمت مقابل حالة واحدة يبلغ عنها.

**مايكل:** ولكن مشكلة كمشكلة الاغتصاب مشكلة معقدة، تتداخل فيها عوامل كثيرة، نفسية وتربوية واجتماعية، بل واقتصادية.

**راشد:** هذا صحيح، ولكن أيضًا لا نستطيع إنكار أن من أكبر العوامل: الإثارة الجسدية حتى ولو كانت بالنظر، ومما يلفت النظر أن دراسة أميركية رصدت: أن جرائم الاغتصاب تنخفض خلال الشتاء، وقد يكون هذا لانخفاض نسبة العري في ملابس النساء، أو لأن الناس لا يخرجون كثيرًا؛ مما يجعل فرص الالتقاء أقل، والاحتمالان يؤكدان العلة ذاتها.

**مايكل:** ولكن في النهاية فإن النساء هن اللاتي يردن ذلك بإرادتهن، هذه حرية شخصية كما قلت لك ولا نستطيع منعهن من ذلك.

**راشد:** هذا ما يبدو في الظاهر، ولكن الحقيقة أن قادة المجتمع الغربي وعلى رأسهم الرجال، هم الذين روجوا لثقافة التعري، وزينوه، وهيئوا له البيئة المساعدة، وابتكروا الوسائل الميسرة لانتشاره؛ ليستمتعوا بالمرأة بلا قيود، بل إنهم وضعوا القوانين الظالمة لعفة المرأة وحيائها وضعفها؛ فالقوانين الوضعية في الغرب ترأف بحال الرجل المغتصب أكثر مما ترأف بحال المرأة المغتصبة؛ مما يساعد على استشراء الاغتصاب، بل إن بعض الدول الغربية تعد الاغتصاب مخالفة أخلاقية وليس جريمة عنف.

وخذ هذا المثال العملي: في فنلندا، وهي إحدى الدول التي تعد متقدمة في الاهتمام بالمرأة، قام رجل بإجبار امرأة على ممارسة الجنس معه في مرحاض للمعوّقين في باحة لاصطفاف السيارات بضرب رأسها بالحائط وليّ ذراعها خلف ظهرها، وبحسب رأي الادعاء العام، لم يكن هذا اغتصابًا؛ نظرًا لأن العنف الذي استخدم كان من درجة خفيفة!! وأُدين الرجل بإكراه الضحية على الممارسة الجنسية، وحكم عليه بالسجن المشروط (مع وقف التنفيذ) مدة سبعة أشهر!!

يا صديقي! أي المجتمعين أكثر أمانًا أخلاقيًّا: مجتمع اليوم، أم المجتمع منذ قرن مضى؟! هل تريد التمتع بمشاهدة مقطع الفيديو مرة أخرى؟!

**مايكل:** واضح يا سيد راشد، ولكن من وجهة النظر الإسلامية: ما هو تصوركم لهذا الأمر؟

**راشد:** إن هذا الأمر يحتاج إلى جلسة، بل جلسات أخرى؛ لمناقشته.

# الستار الأخلاقي



# الستار الأخلاقي

التقى راشد ومايكل حسب الموعد المحدد بينهما على رصيف محطة القطار المسافر إلى باريس عبر نفق القنال الإنجليزي (بحر المانش).. بحثًا عن مقعد مناسب ينتظران عليه لحين حلول موعد انطلاق القطار.

**مايكل:** أظن أن الوقت يسعنا لتبادل أطراف الحديث حول رؤيتكم في مسألة زي المرأة.. ستحدثني عن الحجاب.. أليس كذلك؟!

**راشد:** يعتقد كثير من الناس أن الحجاب مجرد رداء وغطاء للرأس، ولا يعرف هؤلاء أن الحجاب فكرٌ ومنظومة اجتماعية.. ينبغي أن ننظر إلى الأمر في هذا الإطار.

**مايكل:** أرى أنك عقّدت الموضوع، وأعطيته أكبر مما يستحق!

**راشد:** نحن نرى البشر متفاوتين في وضع محددات ستر أجسامهم، ويرى كل فريق أن محدداتهم هي التقدم والحضارة، وبينما ينظر فريق إلى الآخرين على أنهم متخلفون ومتزمتون، ينظر إليهم هؤلاء الآخرون على أنهم منحلون ومخطئون... وتنطلق نظرة كل فريق إلى الآخر من منطلقات قِيَمِيَّة وفكرية خاصة به.. لذا: لا بد من الاتفاق على مرجعية تحدد الصفات العامة للزي من ناحية ستره للجسد..

فالأمر كما أقول لك في شموليته، وإذا سمحت لي دعني أولًا أعرض عليك بعض الأسس التي قد تقرب وجهات النظر بيننا.

**مايكل:** تفضل.

**راشد:** أظن أننا متفقون على أنه لا يمكن إيجاد حل أو حلول لمسائل الحياة البشرية الأساسية إلا بعد أن ندرك كُنه الإنسان ونعرف حقيقته معرفة تامة.

**مايكل:** بدهي.

**راشد:** وأظن أن التقدم العلمي المذهل والمستمر الذي نشاهده، دليلًا على محدودية علم الإنسان، فما كان يخفى عليه أمس يكتشفه اليوم، وما كان يعتقد صحته أمس يراجعه ويصححه اليوم، وهكذا أيضًا سيكتشف الإنسان غدًا أنه اليوم كان جاهلًا أو على الأقل محدود العلم.. وهذا ما ذكره قرآننا: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥].

**مايكل:** أتفق معك، ولكن ما علاقة كل ذلك بموضوعنا؟!

**راشد:** اصبر عليَّ يا صديقي، لم أكمل بعد.. إذا اتفقنا على ذلك فإنه تلقائيًّا سنعترف أن هناك جوانب خافية في المسائل التي لا نستطيع النفاذ إلى أعماقها، هذا بافتراض تجردنا من الأهواء والميول الشخصية والمؤثرات البيئية، وهذا صعب تجنبه، وإذا تصدرنا لمعالجة هذه المسائل على هذا النحو فإننا معرضون للتخبط، وستكون التدابير التي نتخذها على هذا الأساس ناقصة أو مشوهة، بل قد تكون عكس المسار الصحيح للحلول.

**مايكل:** هذه نتيجة منطقية، ولكن من جانب آخر فإنه ليس أمامنا إلا استخدام عقولنا وتوظيف ما توصلنا إليه من فكر ومعارف، وخوض غمار التجربة والخطأ والتصحيح، فهذا أفضل من ترك الأمور بلا حلول ومعالجة انتظارًا لوصول المرء إلى نقطة الاعتدال التي تستقيم عندها الأمور.

**راشد:** إذن أنت تقر معي بأن هذه الحلول لا بد أن تتسم بشيء من الإفراط أو التفريط، ولكنك ترى أننا مضطرون لذلك اضطرارًا، وأنه لا خيار أمامنا غير ذلك.

**مايكل:** نعم، أرى ذلك.

**راشد:** ولكننا عندنا خيار آخر يتجنب هذه المثالب!

**مايكل:** من تقصد بـ "عندنا"؟ وما هو هذا الحل؟

**راشد:** أقصد: نحن المسلمين عندنا الخيار الذي نراه إنقاذًا للبشرية، ويتلخص هذا الخيار في أن الذي خلق البشر هو أعلم بهم، كما قال الله سبحانه في القرآن: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [المُلك: ١٤]، فهو وحده سبحانه يعلم خصائص الإنسان وما يحتاجه وما يصلحه وما يفسده، وفي الوقت نفسه فإنه سبحانه منزه عن رغبات البشر ونوازعهم وعواطفهم وميولهم؛ لذلك فإنه عز وجل هو وحده القادر على وضع منهج صالح للبشر بحكمة واعتدال، وهذا ما تجلى في القرآن...

**مايكل (مقاطعًا):** كلامك متسق يا سيد راشد، ولكن لا تنس أنني لا أؤمن بدينك، فلا تلزمني بشيء لم أؤمن به.. كلمني بما نتفق عليه كما كنا نتحاور.

**راشد:** رغم أن هذه القاعدة هي ركيزة التسليم لكل مسلم، والتي أعتقد أنها ينبغي أن تكون لكل إنسان، إلا إنني لا أمانع في أن نستكمل حوارنا كما تريد، ولكن بالطبع في ضوء قناعاتي الشخصية، أي: في إطار النظام الاجتماعي الذي ذكرت لك أن الحجاب جزء منه.

**مايكل:** لا بأس.

**راشد:** لقد قلتُ في اللقاء الماضي: إننا لا نستطيع أن نتجاهل مادية الجسد في الإنسان، بل أيضًا حيوانيته، الرجل بطبيعته ينجذب للمرأة وأول ما ينجذب له هو جسدها؛ ومن هنا فإن الملابس المتبرجة هي إغواء واستثارة ودعوة غير مباشرة للرجال للمعاكسة والتحرش.

**مايكل:** ولكني أرى أن في هذه النظرة إهانة للمرأة والرجل معًا، إهانة للمرأة بالتركيز على بُعد الجسد فيها وإهمال عقلها وثقافتها وأخلاقها، وأيضًا النظر إليها وكأنها قاصرة لا تعرف ولا تستطيع الحفاظ على نفسها، وإهانة للرجل عندما يُنظر إليه وكأنه ذئب مفترس لا همَّ له إلا التفكير بافتراس ضحيته جنسيًّا.

**راشد:** هل ترى يا صديقي أن المرأة عندما تقف أمام المرآة لتتزين وتختار ملابسها الفاتنة أنها تفعل ذلك لترضي سمو عقل الرجل أو نبل أخلاقه؟ أم إنها تفعل ذلك لكسب إعجاب الرجال على الأقل، إن لم يكن لإثارتهم أو لاصطيادهم؟ وهل ترى أن الرجل عندما يشاهد امرأة جميلة متزينة ينبهر برجاحة عقلها أو يذوب حبًّا في سعة ثقافتها من أول نظرة إليها؟!

كلنا نعرف أن البشر على درجات متفاوتة في الغرائز والشهوات والاستعداد للتعدي والتجاوز، كما أنهم على درجات متفاوتة في السمو والفضيلة والآداب، والحجاب يظهر أن المرأة التي ترتديه عفيفة لا ترغب في لفت نظر الرجال لمعاكستها واستثارتهم، فيكون عاملًا في انصراف ضعاف النفوس وسيئي الأخلاق عنها، وقد بين القرآن بوضوح أن الحجاب حماية للنساء من الفساق.

**مايكل:** ولكني يا سيد راشد أرى سلوك بعض المحجبات لا يتناسب مع الأخلاق الفاضلة، وهذا يثبت أن الأمر راجع إلى عوامل أخرى غير لبس الحجاب؛ كالتربية والالتزام بالقيم الخلقية.

**راشد:** كلامك فيه جانب من الصحة، لا يدعي أحد أن المرأة بمجرد لبسها قطعة من القماش ستتحول إلى امرأة فاضلة، ولكن هذا لا يعني عدم ارتداء الحجاب؛ فلو أن شخصًا انتحل صفة طبيب، أو أن طبيبًا أخطأ أو استغل مهنته استغلالًا منحرفًا فإن ذلك لا يعني أن العيب في هذه المهنة، ولكن يعني أن هذا المخطئ يحتاج إلى تقويم، فهذا الطبيب أو المحجبة أو غيرهم في النهاية

بشر، يعتريهم الضعف الإنساني..

ومن ناحية أخرى فالإسلام حين شرع الحجاب بصفته إجراءً وقائيًّا من الوقوع في الرزيلة أو في خطواتها، لم يقتصر عليه، بل شمل معه منظومة متكاملة من الأخلاقيات والتدابير؛ لضمان الوصول إلى أعلى درجات الفضيلة في واقع البشر، وباختصار: فالمرأة الفاضلة ترتدي الحجاب، وليس بالضرورة أن تكون كل امرأة ترتدي الحجاب امرأة فاضلة.

**مايكل:** ولكن ألا يتضمن ذلك نظرة سلبية تتمثل في شيطنة جسد المرأة؟! هل المطلوب منا أن ننبذ هذا الجسد؟!

**راشد:** حين أوجب الإسلام الحجاب لم يكن ذلك لأن جسدها سَوْأة ينبغي سترها، بل أوجبه حتى لا تستثار مشاعر الرجال الجنسية الطبيعية، خاصة في ضعاف النفوس وسيئي الأخلاق، فشرع الحجاب حماية للمرأة من تحرش واغتصاب الرجال، وحماية للرجال من الاستثارة ومن الحث على الزنا.. كما أن الشريعة الإسلامية حريصة أشد الحرص على الإبقاء على المشاعر العاطفية الحميمية والاستثارة الجنسية في حدود العلاقة الزوجية فقط، وذلك يؤدي إلى تماسك البنيان الاجتماعي.

**مايكل:** ولكن يا سيد راشد، إذا كان الحجاب إجراءً وقائيًا للحيلولة دون انجذاب الرجل للمرأة، فلماذا لا يتحجب الرجال أيضًا للحيلولة دون انجذاب المرأة للرجل، أليست لها شهوة في الرجل أيضًا؟

**راشد (ضاحكًا):** سؤال وجيه.. الإسلام بالفعل فرض حدودًا على لباس الرجل أخف بكثير من الحدود الموضوعة على المرأة، ولعل الحكمة في ذلك تتضح بمزيد من معرفة خصائص كل منهما؛ فقد أكدت دراسة أمريكية حديثة للدكتور بنيامين هايدن اختصاصي العلوم العصبية بجامعة ديوك، نشرتها صحيفة (برلينر مورجن بوست) الألمانية، أن الرجل يستمتع بالنظر إلى المرأة؛ لأن بعض مراكز المخ تدفع الرجال لبذل جهود للاستمتاع بالنظر إلى امرأة جميلة، في حين لا تحاول المرأة بذل أي جهد للنظر إلى رجل وسيم.

ومن خلال الدراسة بُحثت الأسباب التي تدفع الرجل لبذل جهود مكلفة أحيانًا للاستمتاع بالنظر إلى امرأة جميلة وجذابة، والعكس صحيح بالنسبة للمرأة، وتبين أن الاختلاف الواضح بين الجنسين راجع إلى المخ؛ حيث يوجد في مخ الرجل بعض المراكز التي تنشط عندما يرى امرأة جميلة، وهو ما يجعله يشعر بالراحة والاستمتاع، ولكن المرأة وضعها مختلف؛ حيث لا تتأثر بأي شكل من الأشكال عند رؤية رجل جذاب.

ومن بين النتائج التي خلصت إليها الدراسة: أن أول ما يلفت نظر الرجال في صور السيدات الجميلات هو الوجه، في حين تلقي المرأة نظرة عابرة على الصورة بالكامل دون التركيز على منطقة معينة.

ونقطة أخرى: هي أن الرجل أكثر جرأة وإقدامًا على التعدي من المرأة؛ حيث أظهرت الدراسات أن نسبة الإجرام عند الذكور تبلغ – عمومًا – خمس أمثالها عند الإناث[1] فإذا أغلقت المرأة باب الإثارة ولم تتخذ الخطوة الأولى حالت دون إقدام الرجل على تجاوز حدوده أو التعدي عليها.

**مايكل (متعجلاً):** أرى أن الوقت قد حان للحاق بالقطار.. هيا بنا.

https://www.path-2-happiness.com/ar

# المرأة الملكة



# المرأة الملكة

بعد ساعة من تحرك القطار بدا أن الصديقين راشد ومايكل مستعدان لبدء حديث يمضيا به وقت السفر..

**مايكل:** لقد تحدثنا عن أمرين متعلقين بحقوق المرأة: تعدد الزوجات، والحجاب.. ما رأيك أن نستكمل بقية الأمور حول هذا الموضوع؟

**راشد:** فكرة جيدة، لعلنا بذلك ننتهي من هذا الملف.

**مايكل:** أول ما يرد في ذهني في هذا الموضوع هو دور المرأة، لماذا يصر المسلمون على ألا تشارك المرأة الرجل في جميع مجالات الحياة؟

**راشد:** إننا يا صديقي عندما نقول إن في الإنسان جانبًا ماديًّا أو حيوانيًّا، لا يعني ذلك أن خصائص هذا الجانب وأهدافه أو ثمراته تتماثل مع خصائصه وأهدافه وثمراته في الحيوان؛ فهناك فارق كبير؛ فنحن نجد أن الميلان الجنسي في الإنسان أكبر بكثير مما هو في الحيوان، في حين أن قوة الجماع أضعف بكثير من هذا الميلان، بعكس الحيوان.

وإذا أخذنا في الاعتبار ما رُكِّب في المرأة فطريًّا – بجانب الشهوة والجاذبية الجنسية – من الحياء والاحتشام والامتناع والصدود، فإننا نستنتج من ذلك وسابقه أن المقصود بوجود القوة الجاذبة الجنسية في الإنسان هو تحقيق الاتصال الدائم بين زوجيه، لا أن تنتهي كل نزعة جنسية فيها إلى وظيفة جنسية، وهو ما عبر عنه القرآن تارة بـ(السكن) وتارة أخرى بـ(المودة والرحمة).. هذا من الناحية النفسية.. أرجو أن يكون كلامي واضحًا.

**مايكل:** واضح، تقريبًا.

**راشد:** ومن ناحية بيولوجية فإن البحوث أثبتت أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء: من الشكل الخارجي، إلى الأعضاء الداخلية، إلى ذرات الجسم وخلاياه؛ فخلايا المرأة مطبوعة بطابع الأنوثة، وهيكل جسمها وجهازها العضلي يختلف عن الرجل، ونظام جسمها كله يُرَكَّب تركيبًا تستعد به لولادة الولد وتربيته، أي: ليتلاءم مع وظيفة الأمومة، ومع بلوغها سن الشباب يعروها المحيض، الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها، بل نفسيتها وحالتها المزاجية والعقلية، إذا لم نتحدث عن حالات الحمل والنفاس والإرضاع.

بل إن الهرمونات ونفسية المرأة تختلف عن الرجل، فمقابل إقدام الرجل وصلابته نجد حياء المرأة ودلالها.

ومن ناحية أخرى: يحتاج الولد الإنساني - بخلاف الحيوانات الأخرى - إلى رعاية والديه وتربيتهما بضع سنين، حيث يتأخر فيه اكتمال قوته وقدرته على الاستقلال بنفسه في المعاش، وهذا مما يراد به كذلك ألا ينحصر اتصال الرجل والمرأة في التعلق الجنسي بينهما، بل تحملهما ثمرة هذا التعلق على التعاون والتعامل في الحياة، ولهذا أيضًا فقد فطر الإنسان على أن يكون أحنى على أولاده وأكثر حبًّا لهم من جميع الحيوانات.

**مايكل:** وماذا بعد؟

**راشد:** من مجمل ذلك يتأكد أن الأسرة هي الشكل الاجتماعي الطبيعي للإنسان، ونستطيع استيضاح دور كل فرد ووظيفته في هذا الشكل أو هذه الوحدة، وهو دور يتناسب مع أهداف هذه الوحدة وطبيعتها (السكن، والمودة، والرحمة)، ويتناسب أيضًا مع إمكانات كل فرد فيها وقدراته.

**مايكل:** فهمت ما تقصده، فيكون دور المرأة هو إشاعة روح المودة وتحقيق السكن النفسي في الأسرة، ورعاية الزوج والأبناء.

**راشد:** تمام، ويكون دور الرجل توفير مقومات الحياة للأسرة، وما يتطلبه ذلك من التعرض للصعاب والمشاق.

**مايكل:** ولكن هذه النظرة تجعلنا نفقد نصف قدرة المجتمع الإنتاجية.

**راشد:** بالعكس؛ هذه النظرة تجعلنا نكسب المجتمع كله، ولكن كلًّا في مجاله وبيئته المناسبة؛ فالمرأة حين قاومت فطرتها وخرجت تزاحم الرجال في العمل؛ فإنها شقيت بعملها الجديد، وشقيت أسرتها وشقي زوجها؛ فشقي المجتمع كله، حاولت المرأة مرارًا التوفيق بين عملها وأعباء البيت ورعاية الأطفال فلم تنجح؛ إذ كان عليها أن تكون الزوجة الهادئة والأم الحنون والعاملة النشيطة، وأنَّى لها ذلك؟! فكانت النتيجة أن تدخلت أطراف أخرى لتشغل الفراغ الذي تركته، ولم تكن هذه الأطراف أمينة أو مناسبة لهذه الأدوار، وإضافة إلى ذلك: فقد أدي مزاحمة المرأة للرجل في العمل خارج المنزل إلى تعرض المرأة للرجال، وما يصاحب ذلك من تحرش واغتصاب وجرائم ترتكب ضدها، وامتهان للمرأة أثناء عملها في كثير من المهن والوظائف التي تشغلها خارج المنزل.

**مايكل:** إذا تحدثنا عن دور المرأة في الحياة على أنه دور أسري، فإن ذلك يجرنا إلى الحديث عن أمر آخر، أرى فيه تمييزًا ضد المرأة، ألا وهو موضوع قوامة الرجل على المرأة.

**راشد:** ليست القوامة تمييزًا للرجل ضد المرأة، ولكنها تنظيم للمؤسسة الاجتماعية التي تسمى (الأسرة)، فأي مؤسسة لا بد فيها من تحديد أدوار ومهام ووظيفة كل عضو، مع مراعاة مؤهلاته وإمكاناته، فليس المدير أعلى إنسانيًّا من المحاسب أو العامل مثلًا لأن له صلاحيات أوسع.

وفي حياتنا العملية نشاهد أنه قد تفرض مؤسسة أو منشأة بعض القيود سواءً بالإلزام أو المنع على الأفراد لمصلحة عليا ترتئيها الإدارة العليا أو يرتئيها الأمناء على المؤسسة، فمثلًا قد تفرض زيًّا معينًا، أو الالتزام بإجراءات أمنية معينة، وقد تلزمهم بإجراء تدريبات معينة، أو تمنعهم من ترك العمل والخروج من المؤسسة بغير إذن، أو عدم الانشغال بشاغل آخر غير العمل، بل قد يتضمن العقد مع بعض المؤسسات قيودًا على العامل بها بعد تركه للشركة.. وهذا كله معروف وغير مستنكر، ولا ينظر أحد إلى هذه القيود على أنها تمييز أو قهر على العاملين بالمؤسسة، وهذا كله ضمن نظام واضح ومعروف.. كما لا توجد مؤسسة أو منشأة ناجحة بغير وجود مدير له صلاحيات تتناسب مع المسؤوليات الملقاة على عاتقه والمساءلة التي قد يتعرض لها.

وهكذا، فإن مؤسسة الأسرة حتى تنجح لا بد لها من نظام يسير عليه الجميع، وهذا النظام قد يكون فيه تقييدات بالمنع أو بالإلزام.. ولا بد لها من قائد له صلاحيات تتناسب مع مسؤولياته، وتكون له القدرة على الحسم عند اختلاف وجهات النظر، ولكنه لا بد أيضًا أن يكون تطبيق هذا النظام واستخدام هذه الصلاحيات في ضوء قاعدة الحياة الأسرية التي تحدثنا عنها، وهي المودة والرحمة المحققة لهدف السُّكنى.

**مايكل:** إذا كان الأمر كذلك، فلماذا تكون القوامة للرجل؟! لماذا لا تكون للمرأة؟ أليس في ذلك منحى إلى عدم المساواة؟

**راشد:** رغم تحفظي على كلمة المساواة، التي أفضل بدلًا منها كلمة (العدالة)، إلا إنني أقول: إن المساواة أو العدالة تكون في الحقوق، أما ما نحن فيه فإنه توزيع للأدوار وشغل للوظائف الاجتماعية بما يناسب قدرات كل فرد وما هُيِّئ له.

في مؤسسة الأسرة قلنا: إن كلًّا من الرجل والمرأة قد هُيِّئا بشكل مختلف، وهذه التهيئة تناسب وظائف اجتماعية مختلفة، ولا تنس أنه في مقابل القوامة الممنوحة للرجل هناك أعباء وتكاليف عليه لا تفرض على المرأة، والقوامة بهذا الاعتبار تكليف أكثر من كونها تشريفًا فهي تحمّل الرجل

مسؤولية وتبعة خاصّة؛ وهذا يوجب اعتماد التعقّل والأناة؛ وعدم التسرع في القرار؛ كما أنه لا يعني مصادرة رأي المرأة ولا ازدراء شخصيتها.

والمرأة لا تصلح لهذه الوظيفة الاجتماعية أيضًا؛ لأن النساء كما قال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: "ناقصات عقل ودين".

**مايكل:** ناقصات عقل؟! إن هذه نظرة دونية للمرأة، كما أن المرأة أثبتت تفوقها وقدرتها العلمية، وأنها لا تقل عن الرجل في اختبارات الذكاء.

**راشد (ضاحكًا):** الغريب يا صديقي أن معظم من حدثتهم بهذا الحديث فهم هذا الفهم الذي فهمتَه، يا عزيزي العقل المقصود هنا ليس هو الذكاء، العقل: هو القدرة على التحكم في تقدير الأمور بميزانها الحقيقي، وضبط النفس والانفعالات؛ بما يعين على اتخاذ القرار السليم وقت الأزمات والظروف الحرجة، أي بمعنى آخر: هو مقابل العاطفة والميل إلى الهوى، ولا ينكر أحد أن المرأة بطبيعتها تميل إلى العاطفة وتتأثر بها أكثر من الرجل، هذه طبيعتها النفسية، ودورها الاجتماعي يجب أن يتناسب مع هذه الطبيعة، ولعل هذا من الحكمة أيضًا في تقييد صلاحيات المرأة بإنهاء الكيان الأسري بالطلاق.

**مايكل:** إذا تحدثنا عن ظلم المرأة والنظرة الدونية لها، فلا بد أن يُذكر حقها في الميراث، لماذا يكون ميراث المرأة نصف الرجل؟!

**راشد:** أولًا: ليس في جميع الأحوال يكون نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب الرجل.

ثانيًا: كرامة الإنسان لا تحتم أن يُمنح الحقوق نفسها التي تُمنح للآخر تمامًا؛ فالعدالة لا تقتضي المساواة في جميع الأحوال، ولكن المساواة واجبة عندما تتطابق الحالات والظروف، أي: لا بد أن يؤخذ في الاعتبار طبيعة المرأة ودورها في الحياة، وأن تتوازن حقوقها مع واجباتها.

ففي مسألة الميراث مثلًا: فإن ما تحصل عليه المرأة يكون لها وحدها، بينما يأخذ الرجل ميراثه ويتقاسمه مع زوجته وأطفاله وأخواته إن كن غير متزوجات ووالداه إن كانا على قيد الحياة ولا معيل لهما؛ حيث هو مكلف بالإنفاق عليهم، وفضلًا عن كونه يقدم للمرأة مهرًا على سبيل الهدية ويُلزَم بتوفير بيت الزوجية وتأثيثه، وعليه أن يتحمل جميع مصروفات البيت والزوجة والأولاد، ولا يحق له إجبارها على العمل.. فإنه لا حق له في أموال زوجته وممتلكاتها، إضافة إلى كون المرأة تتمتع باستقلال ذمتها المالية تمامًا، وهو ما لم تصل إليه كثير من نساء الغرب الذي يدعي أنه أنصف المرأة.

هل تبقى شيء في هذا الملف تحب أن نناقشه؟

**مايكل:** نعم، تبقى مسألة الطلاق، ولكني أرى أن نستريح قليلًا.

# تفكيك البيت المتصدع



# تفكيك البيت المتصدع

بعد استراحة تخللتها غفوة غشيت الصديقين، تبادل كل منها مقعده لتجديد نشاطهما، ثم بدأ مايكل الحديث:

من الملاحظ أنه يشيع في المجتمعات الإسلامية إيقاع الطلاق، وأرى أن أحد أسباب ذلك إباحة الإسلام الطلاق.

**راشد:** أولًا: الإسلام لم يكن أول من شرع الطلاق حتى نسقط عليه نتائج هذا التشريع، فقبل الإسلام كان الطلاق شائعًا في العالم كله تقريبًا، وكان الرجل يغضب على المرأة فيطردها محقًا أو مبطلًا، ودون أن يكون للمرأة أي حق أو عوض على الرجل، وعندما ازدهرت الحضارة اليونانية، كان الطلاق شائعًا فيها دون قيد أو شرط، أما الديانة اليهودية فمن المعروف أنها تبيح الطلاق، وأنه من حق الرجل وحده وبالإرادة المنفردة، كما أن له الحق في تطليق زوجته بدون عذر، وإن كانوا يرون أن إيقاعه بعذر أفضل، ويلاحظ في الطلاق عندهم: أن المرأة إذا تزوجت بزوج أخر لا تستطيع العودة إلى زوجها الأول.

ثانيًا: هل يشيع الطلاق فعلًا في المجتمعات الإسلامية حتى نقول إن إباحة الإسلام للطلاق هو سبب ذلك، لنلق نظرة على بعض الإحصائيات في العالم للمقارنة:

في أمريكا بلغ متوسط معدل الطلاق للأعوام من ١٩٩٢، ١٩٩٥م (٥٠٢) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج، ويتوقع ازدياد هذا المعدل بنسب كبيرة، ولعل ذلك مما حدا بالإدارة الأمريكية إلى إخفاء نسبة حالات الطلاق بالرغم من إعلانها عن عدد حالات الزواج منذ عام ١٩٩٩م وحتى الآن، وفي روسيا الاتحادية بلغ متوسط معدل الطلاق خلال الأعوام من ٢٠٠١ – ٢٠٠٤م (٧٥٠) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج، وفي السويد بلغ متوسط معدل الطلاق في السنوات نفسها (٥٣٩) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج، وفي بريطانيا بلغ متوسط معدل الطلاق (٥٣٨) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج خلال الأعوام من ٢٠٠٠ – ٢٠٠٣م.

وفي اليابان بلغ متوسط معدل الطلاق (٣٦٦) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج خلال الأعوام من ٢٠٠٠– ٢٠٠٤م.

أما إذا نظرنا إلى المجتمعات الإسلامية فإن أعلى معدل طلاق تحقق كان في الكويت، وبلغ (٣٤٧) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج خلال الأعوام من ٢٠٠٠- ٢٠٠٤م، أما البلدان الأخرى فإنها أقل من ذلك كثيرًا، ففي الأردن بلغ المعدل (١٨٤) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج خلال الأعوام من ٢٠٠٠- ٢٠٠٤م، أما في فلسطين فبلغ المعدل خلال الفترة نفسها (١٤٢) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج.

وفي مصر بلغ المعدل خلال الأعوام من ٢٠٠٠- ٢٠٠٣م (١٣٤) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج، وفي المجتمع السوري بلغ المعدل خلال الأعوام من ٢٠٠٠- ٢٠٠٢م (٨٤) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج، وفي ليبيا بلغ المعدل (٥١) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج خلال الأعوام من ٢٠٠٠- ٢٠٠٤م، وفي إيران بلغ متوسط معدل الطلاق (٩٧) حالة طلاق لكل ألف حالة زواج خلال الأعوام من ٢٠٠٠- ٢٠٠٣ م.

فهل نقول بعد ذلك أن الطلاق منتشر في المجتمعات الإسلامية، وأن سبب ذلك إباحة الإسلام للطلاق؟!

**مايكل:** ولكن من المعروف أن الإسلام اشتهر بسهولة إيقاع الطلاق مقارنة بغيره من الأديان والنظم الاجتماعية.

**راشد:** هذا التعليق يحتوي على أكثر من موضوع، فلتسمح لي أن أتناولها مفصلة.

**مايكل:** تفضل.

**راشد:** الموضوع الأول: هو اعتقاد سهولة إيقاع الطلاق في الإسلام بشكل مطلق، بالطبع لا يوجد تشريع ولا أي نظام اجتماعي يشجع على الطلاق.. قد أقر معك أنه بالفعل قد يتساهل في هذا الأمر من لا يلتزم بتعاليم الإسلام ويسيء استخدام بعض الصلاحيات الممنوحة له بغير حق، ولكن في الوقت نفسه يجب أن نعلم أن تعاليم الإسلام بريئة من هذا السلوك، فهي واضحة في الحد من هذا الأمر وتنظيمه بما يقلل من آثاره السلبية، وما يحدث في بعض المجتمعات هو نتيجة بُعد هذه المجتمعات عن حقيقة دين الإسلام في تشريعاتها ونظمها.

**مايكل:** هل يمكنك توضيح هذه النقطة بعض الشيء؟

**راشد:** أصل الزواج في الإسلام أنه عقد دائم ويحرم تأقيته بوقت معين؛ بما يعني أنه يفترض أن تستمر الحياة الزوجية بين الزوجين حتى يفرق الموت بينهما، وقد وُصِف عقد الزواج بأنه ميثاق غليظ، وذلك مما يدعو إلى احترامه وعدم التفكير في حله، كما أن الطلاق مسألة بغيضة في الإسلام إلا في حالات الضرورة، وعند الاضطرار إليه أرشد الإسلام إلى أنه ينبغي استباقه ببذل محاولات إصلاح وإتمام إجراءات معينة تحد منه، وأن تصاحبه آداب تصون كرامة جميع الأطراف وتحافظ على ما تبقى من الأسرة:

فقد دعا الإسلام إلى إمساك الزوجة وعدم طلاقها إن كرهها زوجها لصفة ما لا يحبها، وذكّره بضرورة النظر إلى صفات أخرى قد توجد فيها وتدعوه إلى إمساكها، وصان قداسة الزوجية من العبث؛ فحذر من الهزل في إصدار كلمة الطلاق، كما أمر الزوج بضبط أعصابه والتريث في تقويم زوجته، وندب الإسلام إذا لم يستطع الزوجان علاج المشكلة إلى تدخل أطراف أخرى تهمها مصلحة الزوجين للعلاج والحل، ثم جعل الطلاق النهائي على مراحل من أجل التجربة وإتاحة الفرصة للمِّ الشمل وعودة الزوجين، فلم يحكم بهدم الحياة الزوجية من أول نزاع بين الزوجين، بل جعله على ثلاث مرات، يملك الزوج بعد كل من الأولى والثانية أن يراجع زوجته، وحتى بعد الثالثة أباح الإسلام رجوع الزوجين، ولكن ذلك إذا حدث إجراء ملفتٍ وقاسٍ على الزوجين، وهو أن تتزوج المطلقة زوجًا غيره.

**مايكل:** هذا هو الموضوع الأول، فماذا غيره؟

**راشد:** النقطة الأخرى المهمة هي النظرة الخاطئة إلى واقع المجتمعات الأخرى غير الإسلامية، فالحقيقة أن الطلاق فيها يمكن أن يتم لأسباب تافهة، ولا بد أنك تعرف ذلك؛ ففي أمريكا مثلًا تذكر الوقائع القضائية أنه يمكن الحكم بالطلاق إذا كان أحد الزوجين يدمن الكمبيوتر أو متابعة البرامج أو المباريات على التلفزيون، وفي كندا يكفي أن يثبت أحد الزوجين أن شريكه يعاني من الشخير أثناء النوم حتى يحصل على الطلاق فورًا، وفي إيطاليا يمكن أن يحصل أحد الطرفين على حكم بالطلاق إذا أجبره شريكه على القيام ببعض الأعمال المنزلية، وفي بريطانيا يعد الاستخفاف بشؤون الزوج كإتلاف تذكار مسوغًا للطلاق.

أما في اليابان فقد توافق المحكمة على إصدار حكم بالطلاق إذا كان شريك الحياة ينام بطريقة لا تعجب شريكه طالب الطلاق.

**مايكل:** ما ذكرته يا سيد راشد صحيح، ولكنه واقع في النظم القضائية العلمانية المنفصلة عن الدين، أما المسيحية فموقفها معروف من الطلاق وتشديدها في منعه إلا لعلل محدودة قد يصعب إثباتها في الحقيقة.

**راشد:** أنا أزعم أن هذا التشديد لا يوافق طبيعة البشر ولا يناسب الحياة الإنسانية، ويوضح ذلك أن بعض المسيحيين الذين يعيشون في البلدان الإسلامية ويرون الفرق بين الدينين، قد يتركون دينهم هروبًا من هذا العنت عندما يصلون إلى نقطة فارقة في حياتهم الاجتماعية ولا يجدون استجابة من دينهم لطبيعة الحياة وتعقيداتها.

وهذا ما يميز الإسلام، فالإسلام وهو يحتم أن يكون عقد الزواج مؤبدًا يعلم أنه إنما يُشَرِّع لأناس يعيشون على الأرض، لهم خصائصهم وطباعهم البشرية وظروفهم التي قد تتغير، ويضع هامشًا في الوقت نفسه للخطأ في الاختيار الذي قد لا تكشفه إلا التجربة، ويراعي أن تغير هذه الظروف أو الوقوع في هذا الخطأ قد ينتج عنه سلبيات بدرجات متفاوتة، قد تحتمل أحيانًا وقد تكون جسيمة لا تحتمل إلا بخسائر نفسية واجتماعية بل ومادية باهظة، لذا: شرع لهم كيفية معالجة هذه الأخطاء إذا تعثر العيش وضاقت السبل وفشلت طرق الإصلاح، والإسلام في هذا دين واقعي كل الواقعية، ومنصف كل الإنصاف لكل من الرجل والمرأة وللأسرة جميعًا، فتصحيح المسار حتى بالافتراق وبداية تجربة جديدة، أفضل من تلظي جميع أفراد الأسرة بنار الخلافات والشقاق أو الاستمرار مع فوات المقصد من الزواج وأهدافه، التي أهمها: السكن النفسي من خلال المودة والرحمة وتأسيس أسرة مستقرة ناجحة.. فالطلاق في الإسلام علاج وتقويم لمسار، وفرصة للتغيير وإعطاء فرصة لبدء حياة جديدة أكثر نجاحًا.

إنني أرى أن تشريع الطلاق بالضوابط المذكورة في الإسلام من سماحة هذا الدين وواقعيته.

**مايكل:** ولكن، لماذا يجعل الإسلام الطلاق حقًّا للرجل وحده، أليس ذلك ظلمًا للمرأة؟!

**راشد:** مرة أخرى، ينبغي النظر للأمر من خلال إطار كليّ يراعي جميع الأبعاد، وأقصد أن ننظر إلى هذا الأمر من خلال منظومة اجتماعية كاملة، تبدأ بالزواج نفسه ومقاصده، وتمر بمفهوم الأسرة ووظيفة كل طرف فيها وأعبائه وواجباته وحقوقه.

وهنا نذكر أنه ثبت علميًّا أن المرأة بطبيعتها أكثر عاطفية وتقلبًا واندفاعًا من الرجل؛ مما يجعل الرجل أكثر إدراكًا وتقديرًا لعواقب هذا الأمر، وأقدر على ضبط أعصابه، وكبح جماح عاطفته حال الغضب والثورة.

كما أن إيقاع الطلاق يترتب عليه في الإسلام تكبد الزوج وحده خسائر مالية، وتلزمه تبعات مالية عقب الطلاق، ولا شك أن هذه التكاليف المالية المترتبة على قرار الطلاق تكون أسبابًا إضافية تحمل الأزواج على التروي وضبط النفس.

ومع ذلك: فإن الإسلام رغم أنه جعل الطلاق حقًّا للرجل وحده، إلا أنه لم يهمل إيجاد طريق للمرأة في الانفصال عن الزوج إذا رأت سببًا وجيهًا يستحق ذلك، وهذا ما يعرف بالخُلع، بضوابط وتشريعات تحفظ حقوق جميع الأطراف.

هل تحب يا عزيزي أن نتحدث عن وضع المرأة في بلادكم؟!

**مايكل:** أرى أن نتناول طعام الغداء؟

# امرأة ما بعد التحرر



# امرأة ما بعد التحرر

انتهى راشد ومايكل من تناول طعام الغداء.. أطلق راشد بصره عاليًا، ثم بادر صديقه:

عزيزي مايكل، لقد أمطرتني بسيل من سهام النقد، ووضعت حضارتي في قفص اتهام.

**مايكل:** ليست سهامًا ولا اتهامات يا صاحبي، إنه الحوار والنقد الهادف إلى الوصول للحقيقة، وأظن أننا قطعنا شوطًا كبيرًا في بلوغها بهذه الحوارات وما يقترن بها من إيضاحات، ثم إني تعودت منك سعة الصدر ورحابة الأفق، هل ضايقك حديثي السابق؟

**راشد:** لا لا، لم يضايقني، ولكني قصدت أنه لكي تكتمل الصورة لا بد من عرضها من جميع جوانبها، ومن اكتمال الصورة أيضًا مقابلة ومقارنة أوضاع المرأة بين حضارتنا وحضارتكم، وأظن أن أحاديثنا السابقة عن المرأة توضح قدرًا معقولًا من تصور قضية المرأة في الحضارة الإسلامية، بقي أن ننظر في هذه القضية من منظور حضارتكم.

**مايكل (ضاحكًا):** ها أنا ذا أفتح صدري للسهام وأفتح أبواب القفص.

**راشد (مبتسمًا):** ولماذا نضع أنفسنا في موقعي تحارب؟ إن ما بيننا يسمح لنا بأن تكون علاقة التحاور علاقة تعاون للوصول إلى الحقيقة كما ذكرت.

**مايكل:** أوافقك تمامًا، من أين تحب أن نبدأ؟

**راشد:** أرى أن أول ما ينبغي تناوله هو مكانة المرأة في مرجعيات الحضارة.

**مايكل:** النظرة إلى المرأة وأسلوب التعامل معها يختلف باختلاف نظرة الأفراد وتقييمهم لها بحسب نشأتهم وتربيتهم وثقافتهم عنها، فليست القضية هنا في مكانة المرأة في هذا الكتاب أو ذاك المرجع.

**راشد:** هذا صحيح، ولكنا في الوقت نفسه لا نستطيع إغفال المرجعيات التي تُكَوِّن ثقافة هذا الفرد وتشكل قِيَمَه والتي تؤثر على نظرته وتصوراته، وعندما أقول مرجعيات فأنا لا أقصد فقط كتبًا أو مراجع علمية، ولكن أيضًا كل ما يؤثر في تشكيل وعي الفرد وثقافته، فقد يكون من هذه المرجعيات بعض القصص الشعبية والأساطير التي تأخذ شكل الفلكلور، وأيضًا الأمثال والحِكَم التي تُستدعى من مخزون اللاوعي الجمعي إلى الوعي الفردي، والمرجعيات بهذا المفهوم تؤثر بدورها في النشأة والتربية.

**مايكل:** أعتقد أن مكانة المرأة والنظرة إليها لا تختلف كثيرًا في الكتب السماوية المقدسة؛ فهي في كتابنا المقدس تتشابه كثيرًا مع ما في قرآنكم، وتتلخص هذه النظرة في: كيفية خلق المرأة وأنها خلقت من الرجل، وكونها سببًا في الخطيئة الأولى والخروج من الجنة، وفي موقعها الاجتماعي ومسؤوليتها.

**راشد:** هذا الكلام فيه بعض الجوانب التي أختلف معك فيها؛ فتفاصيل مسألة الخطيئة الأولى وخروج آدم وحواء من الجنة تختلف في القرآن عن كتابكم المقدس، فحواء ليست مسؤولة في القرآن عن إغواء الشيطان لآدم، وبالتالي فإن مسؤولية الخروج من الجنة لا تقع على المرأة.

وفي حقيقة النظرة إلى الأنثى ومكانتها جاء في الكتاب المقدس أن: ولادة البنات تضاعف نجاسة الأمهات! يقول الإنجيل: ".. إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا، تكون نجسة سبعة أيام، كما في أيام طمث علتها تكون نجسة، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يومًا في دم تطهيرها، ... وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها، ثم تقيم ستة وستين يومًا في دم تطهيرها".

أما عن تصرفات المرأة في المجتمع من وجهة النظر المسيحية فإن النساء ممنوعات أن يفتحن أفواههن داخل الكنيسة، ففي رسالة كورنثوس الأولى من العهد الجديد للكتاب المقدس: "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونًا لهنّ أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا * ولكن إن كنّ يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهنّ في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة".. وهذا كله لا يوجد نظيره في القرآن.

**مايكل:** عمومًا فإن التطور الذي جرى على مجتمعاتنا لا يمكن فهمه إذا لم يجر ربطه بجذور الثقافات الإغريقية والرومانية التي اختلطت فيها وإذا لم يؤخذ بالاعتبار تأثير الحركة الدينية الإصلاحية البروتستانتية فيها إضافة إلى تأثير أفكار عصر النهضة وتأثير الثورة الفرنسية وتحولات المجتمع أثناء الثورة الصناعية على هذا المجتمع.

**راشد:** أمَا وقد ذكرت الثقافات الإغريقية والرومانية، فهناك تخبط كبير في النظرة إلى المرأة حسب العهد الذي نتناوله أو حتى المدينة (أو الحضارة) التي نستشهد بها، وعندما نتصفح تاريخ المرأة الإغريقية نجد أنها كانت مسلوبة الحرية والإرادة والمكانة الاجتماعية، فكانوا يهدرون منزلتها ويعتبرونها حيوانًا يباع ويشترى، ويسلبونها أهلية التصرف، ويحرمونها من الإرث قانونًا، ولما أخذت الحضارة الإغريقية تتطور وتتقدم تبدلت أوضاع المرأة الإغريقية بشكل جذري وسريع، فراحت ترتاد الأندية وتختلط بالرجال؛ مما أدى إلى إشاعة الفاحشة والزنا، واعتُبرت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، واتُّخذت التماثيل للنساء العاريات باسم الأدب والفن.

ورغم بعض الاختلافات التفصيلية إلا أن موقف الحضارة الرومانية من المرأة لم يختلف كثيرًا في حقيقته، وهو الاستخفاف بها، وعدها أدنى منزلة من الرجل الذي له أن يتصرف بها كيف يشاء، وقد جرد القانون الروماني المرأة من معظم حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها، ثم أخذت نظرية الرومان في النساء تتبدل، وما زال هذا التبدل يطرأ على نظمهم وقوانينهم المتعلقة بالأسرة وعقد الزواج والطلاق؛ فانعكست الحال رأسًا على عقب، فلم يبق لعقد الزواج عندهم معنى، ومنحت المرأة جميع حقوق الإرث والملك، ثم تغيرت نظرتهم إلى العلاقات والروابط القائمة بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع.

**مايكل:** أضيف لك: أنه بصفة عامة حدث تفاعل وتأثير وتأثر بين نظرة الحضارات الإغريقية والرومانية والنظرة الكنسية للمرأة لما دخلت أوروبا في المسيحية، فقد تأثرت آراء رجال الدين في نظرتهم إلى المرأة بالواقع الذي عايشوه.

**راشد:** نعم، فعندما هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوه في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع.. اعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله؛ وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان وأنها يجب أن تستحي من جمالها؛ لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغواء.. واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى حتى أنها ظلت في عهد الفروسية الذي كان يُظَنُّ فيه أن المرأة احتلت شيئًا من المكانة الاجتماعية، ظلت تعتبر قاصرة لا حق لها في التصرف بأموالها دون إذن زوجها.

**مايكل:** ولكن، ألا ترى يا عزيزي أن حوارنا تحول إلى حصة في التاريخ؟! إننا نستطيع القفز على هذه المرحلة للوصول إلى بداية التحولات التي آلت إلى العصر الذي نعيشه، وأقصد بذلك عصر النهضة، ثم الثورة الفرنسية وما تلاها.

**راشد:** ليس التاريخ، ولكنه بحث في الجذور، إنني ألاحظ علاقة وطيدة بين هذه المواقف والآراء التي تعدها تاريخًا، وبين واقع المرأة في الغرب اليوم رغم اختلاف بعض المظاهر.

ألا تلاحظ تشابهًا بين هذه الحقائق التاريخية وبين مفردات ومسارات حقوق المرأة في الغرب؟!

**مايكل:** تقصد مثل ماذا؟

**راشد:** مثل: استخدام المرأة للترفيه والمتعة؛ فإنه في حين أن المرأة الغربية عندما ظنت أنها نالت حقوقها عندما صدرت قوانين مساواتها بالرجال في كل المجالات فإذا بها تكتشف أنها تحولت في كثير من الأحيان إلى لعبة بأيدي الرجال، مثل تبعيتها للرجل انتسابًا وفي ذمتها المالية؛ حيث ظلت شخصية المرأة محجوبة بشخصية زوجها ولم يرفع عنها هذا الحجر إلا بحلول بدايات القرن العشرين.

**مايكل:** ولكن في النهاية، حصلت المرأة على حقوقها، وأصبحت مساوية للرجال في كل المجالات، حتى في تعيينها في مختلف الوظائف.

**راشد:** ولكن ظلم المرأة في الغرب وإهدار حقوقها، وإن كان رُفع بعض الشيء أو رُفع نظريًّا بإصدار بعض القوانين والمواثيق، إلا أنه ما زال يمارَس عمليًّا وعلى نطاق واسع، وإن تغير اسم الظلم أو دواعيه، فباسم هذه الحركة استخدم الرجال المرأة مصيدة لجمع المال ومطية لتحصيل المتعة واللذة، وتحولت إلى سلعة وجسد لإرضاء الزبائن في أماكن اللهو، ووسيلة لجلب الأموال للمعلنين، وهذا قمة الامتهان لكرامة النساء؛ حتى ثارت المرأة في عدة بلدان وأخذت تطالب بمنع استغلالها في الدعاية التجارية.

تقول القاضية السويدية (بريجيت أوف هاهر) معلقة على تحرير المرأة ومساواتها: "إن المرأة السويدية فجأة اكتشفت أنها اشترت وهمًا هائلًا - وتقصد الحرية التي أعطيت لها - بثمن مفزع وهو سعادتها الحقيقية".

ويعبر تقرير صادر عن المفوضية الأوروبية عن حال المرأة في البلاد الغربية، وكيف أن دعوة تحرير المرأة وادعاءات حصولها على حقوقها كانت مجرد شعارات جوفاء لا معنى ولا حقيقة لها، فقد جاء في التقرير أن الشركات في أوروبا لا تبذل جهدًا كافيًا لتحطيم (الحاجز الوهمي) الذي يحول دون تقلد النساء الوظائف الإدارية العليا.

وقالت آنَّا ديامونت بولو المفوضة الأوروبية للشؤون الاجتماعية: "إن عالم التجارة والأعمال يظهر التفاوت بين الجنسين بصورة واضحة، فبينما المرأة تتولى بين ٢٠٪ و٣٠٪ من الوظائف العليا الرسمية والإدارية في القطاع العام في أوروبا فإن نصيبها في الوظائف العليا في الشركات الخاصة لا يزيد عن ٢٪ في فرنسا و٣٪ في ألمانيا و٣,٦٪ في بريطانيا، ويبقى نصيبها في الوظائف العليا بالبنوك عند ٥٪".

وركزت المفوضية على استمرار وجود تفاوت بين مرتبات النساء ومرتبات الرجال، خاصة في وظائف الادارة؛ حيث تحصل النساء على أجور أقل بنسبة ١٦٪ من أجور الرجال...

**مايكل (مقاطعًا):** أرى أن القطار يدخل محطته الأخيرة.. علينا أن نعد أمتعتنا ونجمع متعلقاتنا الآن.

# التمييز ذو القناع الحضاري



# التميز ذو القناع الحضاري

بعد ساعتين وربع الساعة من السفر وصل الصديقان إلى باريس، التي لم يزرها راشد من قبل، خرج الصديقان من محطة القطارات وبدا أن مايكل يعرف باريس جيدًا وأن بينه وبينها علاقة حميمية.

**مايكل:** راشد! هذه باريس، عاصمة النور.. من هنا عرف العالم شعار (حرية- إخاء- مساواة)، وانطلقت مبادئ حقوق الإنسان للعالم.

**راشد:** انظر!! انظر يا مايكل.. هذه امرأة يستوقفها الشرطي، فيما يبدو أنها لم ترتكب جرمًا أو مخالفة!

**مايكل:** أوه، إنها منتقبة، منذ يومين بدأ تنفيذ قانون حظر ارتداء النقاب في الأماكن العامة في فرنسا، ولعل هذا الشرطي يستوقفها ليحرر لها غرامة مخالفة هذا القانون، وقد تتعرض للاعتقال.

**راشد:** في الأماكن العامة؟! أي إن القانون يسمح بارتداء المرأة النقاب في بيتها.. ما شاء الله!.. منتهى الحرية للمرأة وللمسلمين! لقد تذكرت هذا القانون، وتذكرت أيضًا أن هذا القانون ليس في فرنسا فقط، بل يوجد شبيه به في بلجيكا، وطبقته بلدة بشمال إيطاليا، وهناك جهود محمومة في هولندا وإسبانيا وغيرهما لإصدار قوانين مماثلة، وفي أستراليا خولت الحكومة الشرطة حق كشف وجه المنتقبات والكشف عن شخصياتهن.

**مايكل:** أعتقد شخصيًّا أن هذا المنع يحول دون ممارسة المرأة لحريتها الشخصية في أن ترتدي ما تشاء، وصدور هذا القانون يُعد تراجعًا للحريات في فرنسا، هذا مساس حقيقي بالحريات الشخصية في دولة فيها أكثر من مئة مادة قانونية تطالب باحترام حرية الآخرين.

ولكنهم هنا يرون أن ذلك يتماشى مع مبادئ دولتهم العلمانية التي تحظر استخدام الشعارات الدينية، كما أن السلطات الفرنسية تصف النقاب بأنه نوع جديد من العبودية لن تقبل به الجمهورية (الفرنسية) على ترابها.

**راشد:** مبادئ العلمانية تحظر استخدام الشعارات الدينية على الدولة ومؤسساتها، ولكنها لا تحظرها على الأفراد، ثم: لماذا يكون هذا الحظر على المسلمين فقط، هل يفعلون ذلك على من ترتدي صليبًا على صدرها أو ترتدي زي الراهبات؟! ويا عجبًا على مفهوم العبودية في منطق هؤلاء، هل دفع المرأة للتعري وأن يستمتع بها الرجال من كل حدب وصوب ليس عبودية، وأن

تستر امرأة جسدها بكامل إرادتها واختيارها عبودية؟! نعم يا سيدي إنها بالفعل عبودية، ولكنها عبودية لله رب العالمين..

لقد فهمت الآن معنى الحرية في شعار الثورة الفرنسية.. إنها الحرية من الارتباط بالله ومن العبودية له، وليست الحرية من المخلوقين، هذه الحرية صادرتها سلطات الدولة العلمانية التي احتلت مكانة الله واحتكرت توزيعها والسماح بها لمن تشاء وكيف تشاء، لقد كانوا يقولون عن حد الحرية "حريتك تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين"، فهل يعدون اطلاع الآخرين على أجساد النساء حرية وحقًّا لأجله يجب تقييد حرية المرأة المسلمة؟! إن الأمر ليس مسألة حجاب، إنه خوف أوروبا من الإسلام.

**مايكل:** لا تضخم الأمر سيد راشد، في أوروبا يعيش كثير من المسلمين ويتمتعون بحقوقهم مثل غيرهم، كما يحصلون على فرص تعلم وعمل لا تتوفر في بلدانهم.

**راشد:** أنا لا أضخم الأمر، ولكن هناك شواهد عديدة تصب فيما أقوله: الخوف من الإسلام.

**مايكل:** مثل ماذا؟

**راشد:** مثل: حظر بناء المآذن في سويسرا، حارسة حقوق الإنسان، بلد الحياد واتفاقيات جنيف، ما الذي ستسببه المآذن من مشكلات أو أضرار على المجتمع في بلد لا يمثل المسلمون فيه أكثر من ٤٪ ولا يوجد فيه سوى أربعة مآذن فقط؟!! من الواضح أن هذا الحظر يحمل في طياته خوفًا مرضيًّا وموقفًا عدائيًّا من الإسلام.

**مايكل:** مع كوني لا أؤيد شخصيًّا هذا الحظر، إلا إنني أتفهم أنهم يرون أن هذه المآذن تتنافى مع قيم دولتهم، ويرونها خطرًا على هوية بلادهم.

**راشد:** طبعًا حين أضع في مخيلتي كيف أن هذا الحظر لا يشمل جميع رموز المعابد الدينية كأبراج الكنائس ومعابد اليهود، فإنني أفهم حدود العلمانية التي يدّعون أن دولهم قامت عليها، وأفهم حقيقة المساواة التي ينادون بها.. والأمر لا يقتصر على ذلك، بل تعداه إلى النيل من كل رمز للإسلام حتى إن كان هذا الرمز هو رسول الإسلام نفسه، كما شاهدناه في أزمة الرسوم المسيئة إلى رسولنا صلى الله عليه وسلم التي حدثت في الدانمارك وبلدان أخرى تضامنت معها في هذا التعدي.

**مايكل:** يا سيدي هذه حرية تعبير، وفي بلادنا لا يوجد شيء مقدس أو ممنوع في حرية التعبير، وفي مرات عديدة نال المسيح نفسه ورموز دينية أخرى نصيبها من النقد أو السخرية.

**راشد:** بل يوجد عندكم مقدس لا يُمس، لا بحرية التعبير ولا حتى بحرية البحث العلمي؛ فبعدما نشرت الجرائد الدانماركية الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتشرت عدواها إلى عدد من الدول الأوروبية، وتبنتها ودافعت عنها عدد من الحكومات الغربية مع أنها تطعن في أعظم الرموز الدينية لدى مليار ونصف المليار من المسلمين، ورفضوا الاعتذار بدعوى حرية التعبير.. قضت محكمة استئناف هولندية بتغريم جماعة هولندية مسلمة ٢٥٠٠ يورو لنشرها رسمًا كاريكاتوريًّا يوحي بأن (الهولوكوست) من اختلاق اليهود أو أنهم ضخموها عن حقيقتها... وبررت المحكمة القرار السابق بأن المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان التي تولي أهمية كبرى لحرية التعبير وتدافع عنها بقوة تستثني من ذلك أي نفي للمحرقة أو التقليل من شأنها.

وكانت إحدى المحاكم الفرنسية حكمت في عام ١٩٩٨م على المفكر الفرنسي جارودي بتهمة التشكيك في محرقة اليهوداً لأنه فقط شكك في الأرقام الشائعة حول إبادة يهود أوروبا على أيدي النازيين.

وفي عام ٢٠٠٦م أصدرت محكمة نمساوية حكمًا ضد المؤرخ البريطاني ديفيد إيرفينج بالسجن ثلاثة أعوام بسبب انكاره التفاصيل الرائجة لمحرقة اليهود.

وفي عام ٢٠٠٩م فرض القضاء الألماني غرامة مقدارها ١٠ آلاف يورو على الأسقف الكاثوليكي البريطاني ريتشارد ويليامسون؛ لأنه صرح أن عدد الضحايا اليهود الذين قضوا في معسكرات الإبادة النازية تراوح بين ٢٠٠ ألف و٣٠٠ ألف نفس.

وغيرهم كثيرون، لم يجدوا في حرية البحث أو حرية التعبير ملاذًا من هذا المقدس.

**مايكل:** من المؤكد أن تاريخًا طويلًا من العداوة المتبادلة بين المسيحيين والمسلمين، فضلًا عن الحالات الأخيرة من العنف الإسلامي المتعصب، حَمَل عديدًا من الناس على الخوف من الإسلام على نحو لن نجد له مثيلًا تجاه الهندوسية أو البوذية على سبيل المثال.. هل تنكر أن بعض تصرفات المسلمين تشكل عاملًا مهمًّا في إيجاد حالة الخوف المرضي من الإسلام؟

**راشد:** ها نحن نقترب بالفعل من الحقيقة، لا أنكر أن سلوكيات بعض الأفراد وجماعات من المسلمين توجِد الذريعة لبعض الجهات المعادية لهم لاستغلالها في تأجيج حالة العداء

والتخويف من الإسلام والمسلمين.. ولكننا في الوقت نفسه يجب أن نضع الأمور في نصابها وحجمها الحقيقي؛ فنحن لا نستطيع أن نتغافل أن هناك أبعادًا أخرى لحملة العداء للإسلام والمسلمين، وباستخدام هذه الأحداث التي تذكرها يراد الوصول إلى تحقيق أهداف هذه الأبعاد لمصلحة جماعات عنصرية أو معادية للإسلام والمسلمين.. وإلا فإننا إذا تتبعنا الأحداث بتجرد وموضوعية فإننا سنجد أنه لا توجد جماعة دينية أو عرقية تخلو من صدور حوادث عدائية أو إجرامية من المنتسبين لها، ولكن إبراز هذه الأحداث أو التعمية عليها أو التغافل عنها هو الذي يضع هذه في بؤرة الرصد والمتابعة ويطوي هذه في صفحة النسيان.

**مايكل:** ماذا تقصد بالأبعاد الأخرى؟

**راشد:** سأذكر لك بعضًا من هذه الأبعاد وليس جميعها:

لقد فتحت أوروبا في الماضي باب الهجرة للعرب والمسلمين لأهداف محددة، من أهمها: تكثير عدد سكان أوروبا لتعويض اختلال ميزان الزيادة السكانية الناتج عن تفكك الأسرة الغربية وانصراف الأوروبيين عن الإنجاب، وبالطبع لم يكن هذا الانفتاح طمعًا في الكهول المشربين بالعادات والتقاليد الإسلامية، ولكن طمعًا في الجيل الذي سيولد في الغرب الذي يمكن إخضاعه لعملية تشكيل حضاري يسمح بأن يكون النسيج الاجتماعي والثقافي والحضاري في الغرب بعد خمسين سنة واحدًا.. هكذا كان يخطط الاستراتيجيون الغربيون.

ولكن لاحظ هؤلاء الاستراتيجيون أنّ الصحوة الإسلامية التي بدأت في العالم الإسلامي انتقلت إلى العالم الغربي، وأصبحت حجر عثرة في طريق استكمال اندماج المهاجرين المسلمين وأبنائهم في النسيج الحضاري الغربي، وعليه أصبح أبناء المرأة المحجبة أو الأسرة الملتزمة بالإسلام عرضة أكثر لأن يظلوا محافظين على قيمهم الدينية ومبادئهم الإسلامية الأصلية، وهو الأمر الذي يعتبره هؤلاء عقبة في وجه إنجاح سياسة الاندماج بشكل كامل.

وقد أصبح هذا الجيل من أبناء المسلمين مصدر قلق حول تبدد المشاريع الاندماجية في الغرب، ومن ثم: وجد الغرب نفسه أمام مشكلة حقيقية تتمثل في نشوء كتلة بشرية متنامية تحمل خصائص هوية حضارية مختلفة عن الهوية الغربية.

إذن فالسبب الرئيس لهذه الحملات العنصرية هو الشعور الغربي المرير بمخاطر فقدان الهوية، وهذا ما أدى إلى الانزعاج من كل رمز أو مظهر إسلامي؛ فهم يتخوفون من أن هذه المظاهر البسيطة إن تركوها فإن بقية المنظومة الإسلامية ستزحف عليهم.. فقرروا القضاء عليها في المهد؛ فصراع الحضارات الآن أصبح مع الإسلام بعد أن توارت الأيديولوجيات الأخرى، وهو ما عبرت عنه الدعوة التي أطلقها المفكر الأمريكي صمويل هانجتون بـ "صراع الحضارات"، معبرًا عن تيار فكري وسياسي في الغرب.

**مايكل:** لقد وصلنا إلى الفندق، والموضوع الذي فتحته يحتاج حوارات عديدة.

# مع فرويد على مقهى باريسي



# مع فرويد على مقهى باريسي

استغرق البحث عن فندق مناسب بقية يوم وصول الصديقين إلى باريس، وأخيرًا استقر بهم المقام للإقامة في نزل الشباب في باريس، وبدا واضحًا أنهما في حاجة إلى الخلود إلى الراحة؛ فأمضيا ما تبقى من ليل مستغرقين في النوم، وفي اليوم التالي خرج الصديقان للتعرف على معالم المدينة، وأثناء تجولهما مرا على أحد المقاهي.

**مايكل:** ما رأيك يا راشد في احتساء كوب من الشاي وقضاء وقت استراحة في هذا المقهى.

**راشد:** لا مانع، أحس فعلًا أنني بحاجة إلى استراحة قصيرة.

**مايكل:** على هذا المقهى كان يجلس سيجموند فرويد الطبيب النفسي الشهير، هل سمعت عنه؟

**راشد:** نعم، هو الذي يرتبط اسمه بمدرسة التحليل النفسي في علم النفس، ويرتبط أيضًا بالدعوة إلى التحلل من الضوابط الأخلاقية والدعوة إلى الإباحية الجنسية.

**مايكل:** هو عندنا عالم له قدره بغض النظر عن الارتباطات التي ذكرتها.

**راشد:** أعتقد أنه أحد أعمدة الفكر التي شكلت حضارة المجتمعات الغربية الحديثة، بجانب دارون وكانط وماركس ودوركايم وسارتر، كل منهم قام بدوره في زلزلة الفكر الغربي وإعادة تشكيله على النحو المطلوب بحسب مقدسات الغرب الجديدة.. وكل منهم قام بدوره في تحطيم: الدين والأخلاق والتقاليد.

كانت نظرية دارون في النشوء والارتقاء هي الشرارة التي أطلقت قاذوفين فكريين خطيرين، استخدمهما من جاء بعده لإصابة البنية الفكرية السائدة آنذاك؛ القاذوف الأول: إشاعة فكرة التطور الدائم الذي يلغي فكرة الثبات؛ ومن ثم نسبية كل القيم والأفكار والتصورات، والقاذوف الثاني: الإيحاء بحيوانية الإنسان وماديته البحتة، ومادية العوامل التي تؤثر فيه، مع إغفال الجانب الروحي إغفالًا تامًّا، وإنكار أن يكون هذا الإنسان من صنع الله، سواء في عملية الخلق أو عملية التطور، فكانت البداية القوية لتحطيم المفاهيم الراسخة حول الأسئلة الفلسفية الكبرى حول (الإله - الإنسان - الكون - المصير).

وكان دور فرويد أنه أحال الإنسان إلى مجموعة من العقد الجنسية، ونفى عن الإنسان توجيه العقل لسلوكياته، وقال بأن المحرك الأساسي للإنسان في حياته اليومية هو اللذة، ومن هذا المنطلق تحطمت منظومة الأخلاق الفاضلة وأصبحت رجعية ومتخلفة، توصف بعدم الواقعية وعدم العلمية.

**مايكل:** أعتقد أن هناك عوامل مشتركة بين كل الحضارات الإنسانية، وهنالك عوامل خاصة تميز كل حضارة عن الأخرى، فهذه المفاهيم (الإله- الإنسان- الكون) هي مشتركة بين كل الحضارات، ولكن كل حضارة تختلف عن الأخرى في ترتيب هذه المفاهيم؛ فإحدى الحضارات تغلب أحد هذه المفاهيم على المفهومين الباقيين وتراهما من خلال المفهوم الأول.

وفي الحضارة الأوربية المعاصرة، وبعد عصر النهضة، ساد مفهوم الكون في هذه الحضارة، وعندما انتشر الفكر العلمي بدأ فكر جديد يسود ألغى أصل خلق الله للإنسان وأتى بالنظرة المادية، وبذلك قتل البعد الروحي في الإنسان، وبالفعل كان داروين من كبار المفكرين الذين أسسوا لذلك الاتجاه.

**راشد:** أوافقك تمامًا في ذلك، ولكني أنبه على عدة أمور حول ما قلته:

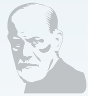
الأول: أن السبب الرئيس لتحول هذه الآراء في وقتها إلى ثورات حقيقية هو وجود حالة من الفراغ الروحي والعلمي في المجتمع الغربي آنذاك، إضافة إلى تسلط الكنيسة وإصرارها على آرائها المغلوطة عن الخلق والحياة مع اعتقادها بضرورة الإيمان بتلك الآراء.

الثاني: أنه من الأخطاء الشائعة الاعتقاد بأن سبب تقدم الغرب هو اعتماده على تلك الآراء والنظريات التي شاعت في بداية نهضته وأواسطها.

الثالث: أن آراء ونظريات هؤلاء المفكرين والفلاسفة أخذت في التصدع نظرية تلو الأخرى بعد الثورة العلمية الحقيقية، ورغم ذلك فإن كثيرين من محدودي الثقافة في الغرب والشرق لا يزالون واقعين تحت تأثير الدعاية القوية التي تسند هذه الافكار.

أما حديثك عن اشتراك المفاهيم بين الحضارات فقد ذكرني بمقارنة طريفة بين نظرية فرويد في تفسير السلوك الإنساني وكلام أحد علماء المسلمين، كتبه منذ حوالي سبعمئة عام.

**مايكل:** طريف جدًّا أن يكون هناك تشابهًا بين كلام فرويد ومفاهيم إسلامية لعالم مسلم في ذلك الزمن.



**راشد:** ليس تشابهًا في المفاهيم، ولكنه تشابه يمكن أن نطلق عليه تشابه في الهيكل، ولكي أوضح لك أكثر: هل تعرف تكوين الجهاز النفسي عند فرويد؟

**مايكل:** نعم، أعرفه جيدًا، وخلاصته أن فرويد تخيل أنه كما أن للإنسان أجهزة بيولوجية تنتظم فيها العمليات الحيوية، كالجهاز الهضمي والجهاز الدوري.. إلى آخره، فإن للإنسان جهازًا نفسيًّا يتكون من أجزاء بينها علاقات.

وهذا الجهاز يتكون مما أطلق عليه: (الهو) و(الأنا العليا) و(الأنا).

(الهو) هي المنطقة المتألفة من الغرائز والرغبات الخاصة الملحّة والخبرات المكبوتة والميول البدائية المتحفزة باستمرار وبصورة عمياء للحضور في منطقة الشعور، لتحقيق رغباتها وفقًا لمبدأ اللّذة، وتعد (الهو) أقدم مكونات الجهاز النفسي تكونًا، ويتكون مما يحمله الإنسان عند ولادته وكل ما سيحدده تكوينه الخاص، فـ(الهو) يمثل أثر الوراثة.

و(الأنا العليا) تمثل مجموعة القيم الاجتماعية والمبادئ والمُثُل العليا، أي: أثر ما تلقاه الإنسان عن الآخرين؛ ويتضمن تأثير التربية والقيم الأخلاقية التي اكتسبها الطفل من والديه ومدرسته والمجتمع، تأثير التقاليد العائلية والعرقية والقومية والدينية، علاوة على مقتضيات الوسط الاجتماعي المباشر الذي يمثلونه، ويتأثر أيضًا (الأنا العليا) للطفل في أثناء تطوره بخلفاء الأهل وبدائلهم، كبعض المربين وبعض الأشخاص الذين يمثلون في المجتمع مُثلًا عُليا موقرة.. في (الأنا العليا) يكون الجنوح إلى البعد الكامل عن جميع الأفعال الشهوانية أو الغرائزية؛ حيث تمثل (الأنا العليا) الضمير، فهي منطقة المثالية البعيدة عن الواقعية، وهي دائمًا تطلب الوصول للكمال لا إلى اللذة -بحسب فرويد-.

أما (الأنا) فنستطيع أن نصفه بأنه محصلة الصراع أو التوافق أو التفاعل بين (الهو) و(الأنا العليا)، بين الرغبات القائمة على مبدأ اللذة والمُثُل والمبادئ القائمة على الضبط والتقييد، فـ(الأنا) هو الشعور اليقظ الذي يعمل على حل الأزمات القائمة مع الواقع أو بين الرغبات فيما بينها للمحافظة على توازن الشخصية، وهو في النهاية محصلة شخصية الإنسان البادية في سلوكها الخارجي.

فـ(الأنا العليا) وهو ذلك الجانب المنفصل عن (الأنا) لتمثيل دور الرقيب على (الأنا)، فهو يقوم بتحذير (الأنا) من الخضوع لـ(الهو) والاستجابة للرغبات المكبوتة.

**راشد:** شرح ممتاز يا مايكل، إنك تشرحه وكأنك فرويد يتحدث على المقهى وهو يحتسي كأسًا من الشاي..

ولكني أستكمل هذا الشرح الجميل، بأن فرويد يقر بصعوبة المهمة التي يقوم بها (الأنا) في الجهاز النفسي، وهذه المهمة الصعبة ـ إن لم نقل المستحيلة ـ تتمثل في التوفيق بين متطلبات متناقضة، إذ على (الأنا) أن يلبي متطلبات (الهو) وهي رغبات جنسية أساسًا، وأن يراعي في الوقت نفسه متطلبات المحيط الخارجي (الأنا العليا)، وهي متطلبات أخلاقية واجتماعية؛ لذلك تبدو عملية التوفيق بينها صعبة، لذلك يسعى (الأنا) لأن يقيم علاقة تفاهم ووفاق مع) الهو) ويسعى إلى تلبية رغباته، فيصطدم بـ(الأنا العليا) والواقع الذي ينظم العلاقات الجنسية وفق معايير معينة تؤدي في غالب الأحيان إلى كبت الرغبات الجنسية وصدها، فإذا استطاع (الأنا) أن يوازن بين (الهو) و(الأنا العليا) والواقع، عاش الفرد متوافقًا، أما إذا تغلب (الهو) أو (الأنا العليا) على الشخصية أدى ذلك إلى اضطرابها؛ ففشل (الأنا) في إيجاد توازن بين هذه الرغبات المتناقضة، يؤدي إلى حالات مَرضية.

والخطير هنا: أننا إذا قلنا إن الصحة النفسية بهذا المفهوم: أن تتوافق (الأنا) مع (الهو)؛ أي: الرغبات والنزعات الشهوانية، ومع (الأنا العليا)؛ أي: القيم والمبادئ والمثل، وإن عدم تلبية رغبات (الهو) يؤدي إلى الكبت، مع اعتبار عدم قدرتنا على تغيير (الهو).. لم يبق أمامنا للوصول إلى هذا التوافق غير تغيير (الأنا العليا) وتحطيمها إن لزم الأمر، فلذلك كان لا بد من إخراج الدين والمثل الأخلاقية العليا من حياتنا، واستبدالها بأخلاق نفعية تتوافق مع شهوات الإنسان ورغباته الجنسية والأنانية التي تحقق (الهو).. وهذا ما حدث بالضبط في الغرب عندما أقصى الدين والأخلاق، وأطلق العنان للشهوات والعلاقات الجنسية غير المنضبطة بقيود أخلاقية، وأقام حضارته على ذلك، فتحطمت الأسرة، بل ضاعت إنسانية الإنسان؛ إذ لم يعد هناك ما يفرقه عن المجتمع الحيواني غير العاقل والذي لا يعرف ضوابط الأخلاق خارج إطار الفطرة والغريزة.. أرانا نعود إلى داروين بعد أن بدأنا به!!

**مايكل:** تقصد القول: إنه إذا كانت الرغبات المكبوتة تبحث دائمًا عن الإشباع الذي تحققه إما بطريقة مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة، فإن ذلك يؤدي وفق فهمك لفرويد ومذهبه إلى اعتبار الحضارة التي تقوم على مبادئ ومثل وقيم أخلاقية هي حضارة وليدة الكبت.

**راشد:** نعم، فالحضارة الغربية عندما تنتج القيم الأخلاقية إنما تنتجها من خلال إسقاط قدسية الإله من حساباتها، بينما يرى المسلمون أن الأخلاق في المجتمعات الإنسانية من الضروري أن يكون مصدرها الشرع السماوي لا العقل؛ لأن العقل وحده سينحرف حتمًا، أما إذا كان العقل في إطار الشرع فإن الأخلاق التي سينتجها ستكون أخلاقًا سامية.

**مايكل:** ولكن لم تقل لي يا راشد ما قاله هذا العالم في دينكم الذي تحدثت عنه، هل ما قاله موافق لهذا الكلام أم معارض له؟

**راشد:** إن ما قاله كان ضمن منظومة من القيم والمفاهيم، واستعراضنا لهذه المنظومة ووضع كلامه في سياقها سيطول، أرى أن نؤجل ذلك للحوار القادم.

# النفس البشرية بين منهجين



# النفس البشرية بين منهجين

كان نُزُل الشباب الذي يقيم فيه راشد ومايكل مكانًا رائعًا بالنسبة إليهما، فإضافة إلى رخص تكلفة الإقامة فيه فإنه يحتوي على ملاعب وصالات رياضية وأماكن للاطلاع والترفيه وإمكانات الاتصال والتواصل، والأهم من ذلك كله وجود عدد كبير من النزلاء القريبين من شريحتهم العمرية ومستواهم الثقافي.

استقر مايكل وراشد حول إحدى طاولات صالة اجتماعية، وطلب كل منهما المشروب المفضل له، ثم تحدث مايكل:

توقفنا في الحوار السابق عند الحديث عما قاله هذا العالم في دينكم الذي تحدثت عنه، وهل ما قاله موافق لهذا الكلام أم معارض له.

**راشد:** ليست المسألة موافق أو معارض، الإسلام منظومة متكاملة مختلفة ومستقلة تمامًا، وتقوم على أسس واضحة، ولكني لن أطيل عليك في إيضاحها.. هذا العالم اسمه ابن القيم، وقد تحدث في كتبه عن العلاقة بين القلب والنفس والعقل، ولكني أحب أن أشير أولًا إلى أن ما قاله كان ضمن منظومة من القيم والمفاهيم التي تتسق مع الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، لذا: أحب أن أصل كلامي السابق بإيضاح الفرق بين هذه المنظومة وبين تداعيات نظرية فرويد التي شكلت جزءًا كبيرًا من واقع المجتمع الغربي وأخلاقياته.

**مايكل:** لكي نكسب الوقت، دعني أوضح باختصار الجزء الأخير من كلامك، وإن كان بخلاف ما تعتقد أرجو أن تصحح لي.

**راشد:** تفضل.

**مايكل:** يستنتج من نظرية فرويد عدة نماذج للشخصية، تتمثل في الآتي:

إذا تغلبت تمامًا الغرائز والرغبات البدائية أو الحيوانية (أي: الهو) على الشخصية (الأنا)، ظهرت لنا شخصية الأناني أو المجرم المتعدي على حقوق الآخرين، الذي يسعى فقط لإشباع غرائزه وتلبية نداءات بهيميته، ساحقة في طريقها القيم والعادات والمقدس (الأنا العليا).

وإذا تغلبت القيم والعادات والمقدس (الأنا العليا) على الشخصية (الأنا)، ظهرت لنا شخصية الراهب والمثالي غير الواقعي ساحقة في طريقها الغرائز والرغبات البدائية.

وتكون الشخصية صحيَّة أو مستقرة أو مطمئنة عندما تستطيع التوازن والمواءمة بين الرغبات والغرائز من ناحية، والقيم والقيود الخارجية من ناحية أخرى، ويكون ذلك بكبت بعض هذه الغرائز في بعض المواقف أو الخروج عن القيود والقيم في مواقف أخرى حسب تقدير كل موقف.

**راشد:** ممتاز جدًّا، لقد وصلنا إلى الفرق بين هذه النظرية والحضارة الغربية التي شَخَّصَتْها اجتماعيًّا وبين المنظومة الإسلامية... وهذا الفرق يتمثل في إنهاء حالة الخصومة والتنازع بين (الهو) و(الأنا العليا) من غير التنازل عن أي منهما لحساب الآخر، وذلك عبر توازن دقيق وتكامل شامل لجميع أبعاد الإنسان في جميع مجالات الحياة، والسر في ذلك يكمن فيما أسميه حظر طغيان الحقوق.

**مايكل:** لأول مرة أسمع عن طغيان الحقوق هذا، وسأسمع منك كيف يطغى الحق، ولكن دعني أقول لك أولًا إن كلامك يقر بفكرة مكونات الجهاز النفسي.

**راشد:** فكرة مكونات الجهاز النفسي هي التي ذكرتُ لك سابقًا أن أحد علماء المسلمين بل بعضهم قال بشبهها قبل مئات السنين، انظر إلى ما يقوله هذا العالم الذي يُدعى ابن القيم في أحد كتبه، وأخرج راشد كتابًا، ثم قرأ: «فالأمور أربعة: مكروه يوصل إلى مكروه، ومكروه يوصل إلى محبوب، ومحبوب يوصل إلى محبوب، ومحبوب يوصل إلى مكروه، فالمحبوب الموصل إلى المحبوب قد اجتمع فيه داعي الفعل من وجهين، والمكروه الموصل إلى مكروه، قد اجتمع فيه داعي الترك من وجهين.

بقي القسمان الآخران يتجاذبهما الداعيان [داعيا الفعل والترك] - وهما معترك الابتلاء والامتحان-؛ فالنفس تُؤْثِر أقربهما جوارًا منها، وهو العاجل، والعقل والإيمان يؤثر أنفعهما وأبقاهما، والقلب بين الداعيين، وهو إلى هذا مرة، وإلى هذا مرة»، ويذكر علماء المسلمين مستفيدين من نصوص القرآن والأحاديث النبوية أنه عندما يغفل العقل (الأنا العليا) تنشط الشهوات (الهو) بغير رقيب ولا حسيب.

ألا ترى تشابهًا في الوظيفة بين (النفس) و(الهو) عند فرويد، وبين (العقل والإيمان) و(الأنا العليا)، و(القلب) و(الأنا).

**مايكل:** إذن كلامهما متشابه إلى حد بعيد.

**راشد:** هناك فارق جوهري وحاسم بين هذا الكلام وذاك، فارق يميز هذه المنظومة عن تلك، هذا الفارق يكمن في قول ابن القيم «وهما معترك الابتلاء والامتحان»، ففي حين يرى فرويد أن صحة الشخصية (الأنا/ القلب عند ابن القيم) تكمن في الاستجابة لغرائز (الهو/ النفس) وشهواتها، فإن المنظومة الإسلامية ترى أن نداءات هذه الغرائز والشهوات في النفس ودواعيها في الواقع تعد ابتلاءات وامتحانات من الله، ولا يصح الاستجابة المطلقة لها لإرضاء (الهو/ النفس)، وأيضًا ليس المطلوب قهرها ومصادرتها لحساب (الأنا العليا/ العقل والإيمان) كما في الرهبانية.

وهذه هي الوسطية والتوازن مما لن نجده في غير الإسلام؛ ضبط للشهوات والغرائز، وإشباع لحاجات الإنسان الغريزية من غير مصادمة للعقل والإيمان، ومن غير طغيان للحقوق.

**مايكل:** وما المقصود إذن بطغيان الحقوق؟

**راشد:** المقصود أن للقيم العليا والأخلاقيات الفاضلة حقوقًا، بجانب أن للشهوات والغرائز حقوقًا أيضًا، ويُحظر في الإسلام أن تتعدى إحدى القيم أو الأخلاقيات أو الشهوات أو الغرائز على غيرها، بزعم أن هذه قيمة أعلى أو أن هذه حاجة طاغية.. ولأوضح لك ذلك أكثر أذكر لك حديثًا لنبي الإسلام، حيث جاء ثلاث مجموعات إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا عنها كأنهم عدوها قليلة، فظنوا أن ذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم له مزية عنهم، وأنهم لكونهم أكثر ذنوبًا عليهم أن يكثروا ويبالغوا في التعبد إلى الحد الذي يقتطع من حاجاتهم الفطرية، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل طوال عمري ولا أنام، وقال آخر: أنا أصوم (أمتنع عن الطعام والشراب والنساء من الفجر حتى غروب الشمس) كل يوم ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».. فهؤلاء شرعوا في زيادة أمر من الدين (الأنا العليا) هو في أصله فضيلة وحق ومرغوب، ولكن ذلك كان على حساب حقوق أخرى حتى لو كانت هذه الحقوق هي للنفس (الهو)، وجاء في حديث آخر أكثر وضوحًا لهذا المبدأ: «...إن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه..»، وفي القرآن الكريم آيات عديدة تدل على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:٧٧]،

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩].. ولعلك تعلم يا صديقي أن الإسلام حرم الرهبانية.

ففي الإسلام يُرضي الإنسان عقله وضميره، ويحقق دينه، ويشبع حاجاته الفطرية.. من غير تنازع ولا تصادم ولا اضطراب.

وبينما راشد ومايكل مستغرقين في حوارهما، اقترب منهما شاب كان يجلس على الطاولة القريبة منهما، ووقف أمامهما وخاطبهما:

تسمحا لي أن أجلس معكما؟

**مايكل وراشد:** بكل سرور.. تفضل.

**الشاب:** في الحقيقة لقد جذبني حواركما، وأكون شاكرًا لو تعارفنا وأشركتموني في هذا النقاش.

**مايكل:** لا مانع عندي.

**راشد:** أهلًا أهلًا، أعرفك بصديقي مايكل، من بريطانيا، يعمل مدرسًا، وأنا راشد، من مصر، وأعمل كاتبًا وصحفيًّا.

**الشاب:** مرحبًا بكما، أنا سعيد لقبولكما لي، أعرفكما بنفسي، أنا راجيف، من الهند، وأدرس الهندسة في ألمانيا، أنا هنا في باريس لزيارة بعض أصدقائي.

**مايكل وراشد:** فرصة سعيدة أن نتعرف عليك يا راجيف.

**راشد:** وهكذا نرى أن علماء النفس الغربيين لا ينظرون إلى النفس إلا من خلال العيوب والأمراض والآفات والعلل... أما في الإسلام فإن النفس تحمل في طياتها الخير والشر، ومن الممكن تبديل حالة النفس وتغييرها جوهريًا وإخراجها من ظلمة البهيمية إلى ذروة الكمالات الخلقية من غير تصادم مع فطرة الإنسان أو انتقاص من حاجياته.

**راجيف:** أستخلص من حواركما أنه إذا كانت الرغبات المكبوتة تبحث دائمًا عن الإشباع الذي تحققه إما بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، فإن ذلك يؤدي إلى اعتبار الحضارة التي تقوم على مبادئ ومثل وقيم هي حضارة وليدة الكبت بحسب مفاهيم فرويد.

وأن الحضارة الأوروبية عندما تنتج القيم الأخلاقية إنما تنتجها من خلال غلبة مفهوم الكون عليها، وأنها تعطي الأولوية للإنسان باعتباره سيد هذا الكون، وكل ذلك نشأ من إسقاط فكرة الإله من الحضارة، أما الحضارة الإسلامية فمفهوم الله هو السائد، ولكن هذا المفهوم لا يسحق كينونة الإنسان.

**راشد:** وهذا دليل قاطع على أن الأخلاق في المجتمعات الإنسانية من الضروري أن يكون مصدرها الوحي لا العقل، لأن العقل وحده سينحرف قطعًا، أما إذا كان العقل في إطار الوحي فإن الأخلاق التي سينتجها ستكون هي المطلوبة.

**مايكل:** سيكون وجودك يا راجيف إثراءً لحواراتنا.. أرى أن نتواعد غدًا في الموعد والمكان نفسه لبدء حوار جديد، هل يناسبكما؟

**راجيف:** نعم، يناسبني.

**راشد:** يسعدني أن تقبلا دعوتي لكما على الغداء في الموعد نفسه؛ لتحية صديقنا الجديد راجيف.

**مايكل وراجيف:** بكل سرور.

# حاجتنا إلى الإيمان



# حاجتنا إلى الإيمان

التقى الأصدقاء حسب الموعد المحدد في مطعم بيت الشباب، وبعد اطلاع على قائمة الطعام حدد مايكل وراشد طلبيهما، بينما تأمل راجيف القائمة أكثر، وقال:

كثير من المطاعم لا تهتم بتقديم وجبات نباتية كاملة، ولكن على أي حال يمكن أن أطلب وجبة مناسبة.

**مايكل:** أنت إذن من النباتيين؟

**راجيف:** نعم، ما يقارب ٤٠٪ من سكان الهند نباتيون.

**راشد:** ولكن هل ذلك لأسباب دينية أم صحية؟

**راجيف:** في الحقيقة، في الديانة الهندوسية التي كنت أدين بها يعد أكل البقر محرم تمامًا، وفي الهند نظام النباتية نظام شائع جدًّا بين معتنقي الديانة الهندوسية، رغم تضاؤل أعدادهم الآن لما في هذا النظام من قسوة، أما أنا فإني أفضل الطعام النباتي لأسباب صحية وبيئية.

**راشد (مناديًا النادل):** من فضلك، هذه طلباتنا.

**مايكل:** ولكنك يا راجيف تركت ديانتك إلى أي ديانة؟

**راجيف:** لا إلى شيء، إن دراستي في ألمانيا أكسبتني اطلاعًا وحرية للنظر إلى الهندوسية بشيء من النقد وكثير من الشك، ولم أقتنع بالمسيحية، ولذلك فأنا أقرب إلى الإلحاد.

**مايكل:** أنا أقترب منك في هذا الشك، ولكني أعتقد أن الإنسان في حاجة إلى علاقةٍ ما بإله في بعض الأوقات، ولكن هذه العلاقة ينبغي ألا تكون طاغية أو مسيطرة على الإنسان.

**راشد:** ولكني أعتقد أن هذا الكلام يحتاج إلى مناقشة وتمحيص.

**مايكل:** أي كلام تقصد؟

**راشد:** فكرة الإلحاد، ومكانة الدين أو الإله في حياة الإنسان.

**راجيف:** أعتقد أن تقدم الإنسان في العلم كشف له أسرارًا كثيرة، جعلته في غير حاجة لتفسير ما كان غامضًا عليه تفسيرًا غيبيًّا، وأعتقد أن الكون محكوم بقوانين العلم التي تسيره، ويمكن القول: إن الكون آلة ميكانيكية تخضع لقوانين حتمية صارمة، وكل ما يحدث فيه له سبب يؤدي إلى نتيجة حتمية ومحددة، وما دامت القوانين الميكانيكية تُسَيِّر الكون وفق نواميسها فلا داع (لفكرة) الإله المسيطر على الكون.

**راشد:** العلم أداة رائعة في تفسير ما حولنا، لكن المسألة ليست هكذا، فلا يمكن أن نناقش مسألة كبرى كهذه، بل أكبر مسألة شغلت البشر منذ فجر التاريخ، بِبُعد واحد حتى ولو كان هذا البعد يروق لنا أو مما نثق به، هناك أبعاد كثيرة في الموضوع، منها:

هل يفسر العلم كل الظواهر حولنا؟ طبعًا لا.. ليس في إمكان العلم ذلك، وإذا أخذنا علم الفلك مثالًا فإن نظريات علم الفلك ترى أن ما اكتشفناه من الكون حتى اليوم يمثل ٥٪ فقط، والباقي مادة مظلمة لا ندري شيئًا عنها، وهذا بالطبع حسب إمكاناتهم الحالية وما توصلوا له، وإلا فمن الممكن جدًّا أن يكون حجم ما يجهلونه أكبر بكثير.

فإذا كان ذلك في عالم الشهادة أو عالم المحسوسات، فما بالنا بعالم الغيب؟!

وذلك يجعلنا نتساءل: أليس للعلم حدودًا يقف عندها؟ يجب أن نعرف أن قدرات العلم مهما بلغت فهي محدودة في تفسير كل شيء؛ فعالم الغيب ليس ضمن إدراك العلم لأن العلم يعجز عن تفسير بعض الظواهر الفيزيائية المُعاشة، فكيف بعالم الغيب الذي لا يمكن إخضاعه لمعامل الاختبار ووسائل الإدراك الحسي؟!

ويضاف إلى ذلك: أن علمنا بطريقة عمل شيء لا ينبغي أن يقودنا إلى إنكارنا لصانعه ولا تقليلنا للإبداع فيه؛ فلو أن شخصًا بدائيًّا شاهد جهاز التلفاز وانبهر به وتحير، ثم علم بعد ذلك نظريات وطريقة عمل التلفاز، فإن ذلك لا يعني الحط من قيمة هذا العمل أو إنكار أن له صانعًا، وهكذا فإننا مثلًا إذا توصلنا في علم الأحياء إلى فك شفرة الخلية واكتشفنا شريط الحمض النووي؛ وظهرت أعاجيبه، هل يعني ذلك عدم وجود إعجاز في ذلك؟ أو أن هذا الخلق ليس وراءه خالق؟ بالعكس، فإن هذا الإبهار الذي يقف أمامه الإنسان عاجزًا عن صنع مثله من العدم أو تفسير كيفية عمله وهو في منتهى الصغر، يقود إلى الإيمان بأن وراء هذا الخلق خالق.

خذ مثالًا آخر: يقول البروفيسور سيسيل بايس هامان) وهو أستاذ أمريكي في البيولوجيا):

«كانت العملية المدهشة في صيرورة الغذاء جزءًا من البدن تنسب من قبل إلى الله، فأصبحت اليوم بالمشاهدة الجديدة تفاعلًا كيماويًّا، هل أبطل هذا وجود الله؟ فما القوة التي أخضعت العناصر الكيماوية لتصبح تفاعلًا مفيدًا؟... إن الغذاء بعد دخوله في الجسم الإنساني يمر بمراحل كثيرة خلال نظام ذاتي، ومن المستحيل أن يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض؛ فقد صار حتما علينا بعد هذه المشاهدات أن نؤمن بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التي خلق بها الحياة».

**مايكل:** ولكن لقد أكدت نظرية التطور لداروين نفس هذا المفهوم – حتمية العلم وإلغاء الإله الصانع – وأكدت أن الكائنات الحية نشأت تحت قانون الانتخاب الطبيعي والارتقاء وليس الخلق.

**راشد:** هذا الطرح يقودنا إلى تساؤل مهم بالنسبة لهذه النظرية أو غيرها: هل التفسير العلمي مطلق وثابت في جميع الحالات؟ لقد نسي كثير من المنبهرين بالتقدم العلمي أن من سمات العلم التراكم والثورية، وهما يشكلان طابعًا آليًّا لتقدم المعرفة العلمية، حيث تتراكم المعارف والاكتشافات حتى تصل إلى الدرجة التي تشرع وقائع جديدة في إعادة النظر في المعارف القديمة، مغيرة نظرة الإنسان للعالم.

ففي نظرية داروين – وهي على كل حال فرض علمي، لم يرق لدرجة الحقيقة العلمية ولا حتى النظرية – بل أفكار حول التطور، هذه الأفكار تصادمت مع اكتشافات علم الأجنة الحديثة.. وكذلك الحفريات التي أثبتت الظهور المفاجئ لمجموعات الحيوانات الرئيسة في فترة زمنية قصيرة مما يعرف بالعصر الكمبري، وتعرف هذه الفترة غالبًا باسم «الانفجار الكمبري»، هكذا بدل أن تتطور واحدة عن الأخرى، كما تقول نظرية التطور.

**راجيف:** إذن، أليس هناك احتمالًا بظهور هذا العالم صدفة من غير وجود صانع له؟

**راشد:** اسمح لي أن أوضح مدلول معنى المصادفة من خلال استخدام مبادئ علم الرياضيات وقوانين المصادفة؛ للتعرف على مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر مصادفة:

إذا افترضنا أن لدينا صندوقًا كبيرًا مليئًا بآلاف الأحرف الأبجدية، فإن احتمال وقوع حرف الألف بجوار الميم لتكوين كلمة (أم) قد يكون كبيرًا نسبيًّا، أما احتمال تنظيم هذه الحروف لكي تُكوِّن قصيدة مطولة من الشعر أو قصة إبداعية، فإنه يكون ضئيلًا إن لم يكن مستحيلًا.

لقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية (وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم) فوجدوا أن ذلك يحتاج إلى بلايين عديدة من السنين، وإلى مادة لا يتسع لها هذا الكون المترامي الأطراف، هذا لتركيب جزيء واحد على ضآلته، فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعًا من نبات وحيوان، وما بالك بنشأة الحياة والكون.. إنه يستحيل عقلًا أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء.

إن فروع العلم كافة تثبت أن هنالك نظامًا دقيقًا معجزًا في ضبطه وانتظامه يسود هذا الكون، أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل، والتي يعمل العلماء جاهدين على كشفها والإحاطة بها، وقد بلغت الكشوف العلمية من الدقة قدرًا يُمَكِّننا من توقع الكسوف والخسوف وغيرهما من الظواهر قبل وقوعها بمئات السنين.

فمَن الذي سنَّ هذه القوانين وأودعها كل ذرة من ذرات الوجود، بل في كل ما هو دون الذرة عند نشأتها الأولى؟! ومَن الذي خلق كل ذلك النظام والتوافق والانسجام؟! من الذي صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير؟! هل خُلِق كل ذلك من غير خالق، أم أن الناس أنفسهم هم الخالقون؟! هكذا يسأل القرآن كتاب المسلمين المنزل: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

إن النظام والقانون الذي يسير عليه هذا الكون، وذلك الإبداع الذي نلمسه في الكون حيثما اتجهت أبصارنا، يدل على أن هناك إلهًا قديرًا عليمًا خبيرًا أبدع هذا الكون.

**مايكل:** ولكن هنا يبرز سؤال - رغم عدم تأييدي لفحواه - وهو: ما حاجتنا إلى الدين والاعتقاد بالإله؟ إن كثيرين يعيشون حياتهم بدون اعتقادهم في إله أو اعتناقهم دينًا.

**راشد:** لقد أيدت دراسات الأنثروبولوجيا [علم الإنسان] وعلم الأديان أن الحاجة إلى الدين موجودة عند جميع الناس في كل العصور وفي جميع المجتمعات، فالإنسان منذ القدم وهو يبحث عن إله يعبده، ويتوسل إليه، يعتقد أنه قوي مسيطر على الكون، خالق كل شيء، حي لا يموت.

إن الفطرة الإنسانية تشهد كلما نزلت بالإنسان ضائقة، أو هددته مخاطر، أو أوشك أمله على الضياع، أن بالإنسان حاجة بيولوجية تدفعه إلى الإيمان بالله.

كما أنه بدون هذا الإيمان يصبح الإنسان غالبًا حيوانًا تحكمه الشهوة ولا يرده ضمير.

**راجيف:** اسمح لي أستاذ راشد، لقد عشت في بلد يعج بالديانات المختلفة، وانتقلت إلى أوروبا وتعرفت على أصحاب ديانات أخرى، لقد وجدت كل أصحاب دين يختلف تصورهم عن الله عن الآخرين، فكيف أفسر هذا الاختلاف؟ وكيف أعرف الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الإله الحق؟ وكذلك: كيف أعرف الدين الحق من غيره؟

**راشد:** أرى النادل قد أتى بالطعام، وأعدكم أن نناقش هذه المسائل في حوارات قادمة، ولكن دعونا نتفق أولًا على مقولة العالم الفيزيائي ألبرت أينشتاين: «العلم بلا دين أعرج، والدين بلا علم أعمى».

# منارات الطريق



# منارات الطريق

على إحدى طاولات الصالة الاجتماعية، التقى الأصدقاء الثلاثة راشد ومايكل وراجيف، وطلب كل منهم مشروبه المفضل، ثم تحدث راجيف:

لقد توقفنا في اللقاء الماضي عند الحديث عن الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الإله الحق، وكيفية معرفة الدين الحق من غيره.

**مايكل:** دعني أقرر حقيقة وأطرح تساؤلًا: لقد حقق العلم المادي قفزات هائلة في مختلف فروعه، فالطب اليوم متقدم بمئات المرات عن الطب قبل قرنين، وتكنولوجيا الاتصالات حققت قفزات هائلة، وعرفنا حقائق مادية كثيرة عن علم الكيمياء..، ويتم تطوير المناهج التي تدرس هذه العلوم بسرعة كبيرة حتى تواكب الاختراعات والاكتشافات الجديدة، ولا نجد في العلم المادي مَن يقول اليوم من علماء المادة أن الأرض ليست كروية مثلًا، في حين أن العلم الفكري لا زال يناقش القضايا التي كان يناقشها منذ آلاف السنين حول: وجود الله سبحانه وتعالى، وصحة الأديان، والأنظمة الأصلح لحياة الإنسان، ومعاني العدل.. وغيرها من المفاهيم والتصورات، فإذا قلنا إن العلم يتطور ويتقدم، فلماذا لا يمكن القول إن الدين يتطور أيضًا؟!

**راشد:** منذ آلاف السنين تتصارع العقائد والتصورات والأفكار، ولا زالت تتصارع حتى يومنا هذا، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا يعني أن العقل البشري لم يصل في العلم الفكري إلى تقدم وقفزات كبيرة توازي العلم المادي، وهذا لأن وجودنا الإنساني الأساسي لم يتبدل، وكذلك القضايا الإنسانية الكبرى التي تشغل تفكير الإنسان لم تتبدل أيضًا، فالإنسان يبحث دومًا عن تفسير شامل للوجود، يتعامل على أساسه مع هذا الوجود.. يبحث عن تفسير يقرّب لإدراكه طبيعة الحقائق الكبرى التي يتعامل معها، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق، فما يجعلنا أناسًا مخلوقين، أي كائنات تتحدد علاقتها مع الله ومع الآخرين، هو نفسه ما كان أيام القدامى، لذلك نستطيع الاستفادة من أسلافنا في هذه القضايا مثلما نستطيع الاستفادة من المعاصرين، فالموضوعات التي نوقشت هي نفسها الموضوعات المطروحة، وهي الموضوعات المتعلقة بالكون والحياة والإنسان، وإذا كان البشر اتفقوا على كثير من حقائق العلم المادي فإنهم لم يتفقوا على معظم الحقائق المتعلقة بموضوعات التصورات والمفاهيم الفكرية، وهذا وضع لن ينتهي إلا بنهاية الإنسان.

**مايكل:** إذن نستطيع القول: إننا لا يمكننا الوصول إلى الحقيقة في مثل هذه الموضوعات.

**راشد:** من قال ذلك؟ وإلا فما فائدة الحوار؟! أعتقد أننا نستطيع ذلك عبر النقاش الفكري الراقي، مع أهمية التجرد للوصول للحق وترك الهوى والتعصب، من يريد أن يصل للحقيقة بصدق وإخلاص ويسلك الطريق المؤدي إليها سيهديه الله سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك أنه رغم وجود هذه التناقضات فقد تحقق تقدم في هذه المفاهيم والتصورات في فترات مختلفة من التاريخ على يد أنبياء أو مصلحين أو مفكرين، بل أحيانًا من خلال دول، ولكن المقصود أن الحيرة والتناقض سمة مصاحبة للقضايا الفكرية أو الإنسانية، وهي مشكلة قديمة وحديثة.

ولكن دعني ألفت النظر إلى نقطتين مهمتين بهذا الخصوص، وهما:

الأولى: أن التقدم في العلم المادي لا يعني بالضرورة التقدم في الفكر والتصورات والمفاهيم، إذ لا رابط بين الموضوعين، والدليل على ذلك تقارب التقدم المادي الأمريكي والياباني مثلًا مع اختلافاتهما الجذرية في التصورات والمفاهيم والفكر الإنساني والديني، وهذا يعني أن تقدم بعض المجتمعات البشرية في العلوم المادية لا يعني بالضرورة تقدمها في العلوم الفكرية.

والثانية: أن الحقيقة لا تكتسب صحتها وقوتها من تأييد جماعة الناس أو رفضهم؛ لأن الاجتماع البشري كثيرًا ما يقع على الباطل؛ بل وقد سجل التاريخ البشري اجتماع كثير من الناس على تصورات خاطئة أو أفعال غير أخلاقية أو حتى جرائم شنعاء.

**راجيف:** أوافقك على ذلك، ولكن أرى أننا من جذور ثقافية مختلفة، وكذلك كل منا يحمل عقائد وتصورات متباينة، لذا لا بد أن نتفق أولًا على الأسس أو الحجج التي بها نستدل على صحة حقيقة ما أو عدم صحتها.

**مايكل:** أرى أنه لا سبيل إلى ذلك إلا من خلال طريقين: العقل، أو العلم.. هذا ما نتفق عليه جميعًا.

**راشد:** أوافقك من حيث المبدأ، ولكن أي عقل تقصد؟ فإن عقلي غير عقلك، وكذلك أي علم، هل تقصد العلم التجريبي فقط؟

**مايكل:** أقصد بالعقل البدهيات العقلية التي لا يختلف عليها اثنان، أو البراهين العقلية التي نتفق عليها، وأظن أننا لا نختلف على قبول الحقائق العلمية التي ثبتت علميًّا، وهذا طبعًا خلاف الفرضيات العلمية أو النظريات أو التجارب التي لم تصل إلى حد الحقائق.. ألا تتفق معي على ذلك؟

**راشد:** أتفق معك، ولكني أشير أيضًا إلى حجة أخرى لا تقل أهمية عن هاتين الحجتين، وهي حجة الفطرة، كما أني أشير إلى نقطة مهمة أخرى في حجية العقل والعلم، وهي أن هناك فرقًا بين ما يقطع العقل بخطئه أو استحالته وما يصعب على العقل تصوره أو إدراكه.

**راجيف:** ما الذي تعنيه بحجة الفطرة؟

**راشد:** أعني: الشعور أو الميل الداخلي للإنسان الأَوَّلي الذي يشترك فيه جميع البشر، فهناك طبائع وخصائص مودعة في الموجودات، سواء الجماد أو النبات أو الحيوان أو الإنسان، فمثلًا: نقول إن في الماء خصيصة الغليان عند مئة درجة، أو جسم الإنسان تلزمه أن تكون درجة حرارته بين ٣٤ – ٤٢ درجة مئوية ليبقى على قيد الحياة، وهذه أمور موجودة في هذه الموجودات تكوينًا دون أن يكون لها دور في ذلك.

**مايكل:** تقصد الغريزة الموجودة في البشر والحيوانات؟

**راشد:** الغرائز موجودة في الإنسان والحيوان، وهي عبارة عن خصائص داخلية تهديها في حياتها، كغريزة الافتراس في الوحوش، لا أحد يغرز في الوحوش الميل والرغبة في الافتراس، أو الاهتداء إلى الموطن الأصلي في بعض الطيور والأسماك المهاجرة، وغريزة الأمومة في الأنثى، وصاحب الغريزة قد يعيها ولكنه لا ينتبه إلى سر علمه بغريزته.

أما الفطرة والأمور الفطرية فإنها توجد في الإنسان فقط، وهي أيضًا أمور أصيلة فيه وليست مكتسبة من الخارج، وهو يعرفها ويدركها، ولكن الفرق بين الفطرة والغريزة، أن الغريزة تكون في الأمور المادية، بينما الفطرة تتعلق بالأمور الإنسانية، مثل: حب المعرفة، وطلب الحقيقة، والرغبة في الابتكار والإبداع، والميل إلى الخير والفضيلة، والميل إلى الجمال.. فالإنسان يرغب هذه الأمور ويطلبها وينجذب إليها من غير أي تدخل من بيئته المحيطة به ومن غير أن يكتسبها من تربية أو تنشئة اجتماعية، فالأمور الفطرية مزروعة في الإنسان وتنبع من ذاته، مثلها مثل الغرائز الحيوانية، ولكنها خاصة بالأمور الإنسانية المعنوية، وهذه الفطرة في الإنسان هي التي تجعل البشر يقبلون الطيب وينفرون من القبيح، فلا تجد في البشر سليم الفطرة من ينفر مثلًا من رائحة طيبة ومنظر بديع وينجذب إلى رائحة خبيثة ومنظر بشع.

**راجيف:** ولكن كيف نحدد هذه الأمور الفطرية، بحيث نحكم على هذا الأمر أنه فطري أو غير فطري؟

**راشد:** الأمور الفطرية عند الإنسان تتصف بأوصاف عدة، أهمها أنها:

- شاملة وعامة لجميع الأفراد.
- ممتدة زمانًا، فلا يمكن لها أن تقتضي شيئًا في زمان وتقتضي شيئا آخر في زمان آخر.
- تأتي من باطن الإنسان وذاته ولا تأتي من تعليم واكتساب، وإن كان التعليم قد يقويها وينميها.
- لا تخضع لتأثير العوامل المحيطة، ولكنها قد تتأثر في ظروف ما ببعض العوامل، فالأمور الفطرية قد يتغير نقاؤها وتفسد طبيعتها شأنها في ذلك شأن حواس الإنسان من سمع وبصر وتذوق إذا أصيب بمرض، ولكنها عمومًا لا تنمحي، بل قد تضعف أو تخبو دون أن تُلغى أو تُزال من الأساس.

**مايكل:** أرى أننا متفقون على ما طرح، ولكني بسبب هذه النقطة الأخيرة متشكك بعض الشيء أن تكون الفطرة أحد وسائل الاستدلال في موضوعنا.

**راجيف:** يمكن مناقشة المسألة المتوقفة على موضوع الفطرة حينها، فإن قبلناها جميعًا اتفقنا عليها وإن لم نقبلها بحثنا عن حجة أخرى.

**راشد:** بالمناسبة، أود التنبيه بعد اتفاقنا على هذه الوسائل للاستدلال أنه قد يظن بعض من لا يعرف الإسلام أن اتفاقنا على هذه الوسائل لا يتفق مع دين الإسلام، وهذا خطأ.

**مايكل:** ما أعرفه أن الدين قائم على الإيمان بنص مقدس، والتسليم بصحة قضاياه تسليمًا لا يقبل النقاش أو التردد، ولهذا حدثت معارك كبيرة في تاريخ أوروبا بعد الاكتشافات العلمية، حيث كانت الكنيسة تحارب هذه الاكتشافات وتناهض التفكير العقلي المنفصل عن الكتاب المقدس.

**راشد:** كلامك صحيح مع بعض التحفظ، ولكنه لا ينطبق على الإسلام، فصحيح أن الدين يقوم على الإيمان بنص مقدس، والتسليم بصحة قضاياه تسليمًا مطلقًا، ولكن الإسلام جعل العقل والتفكر والعلم المنبثق عن التأمل والنظر والتجربة في الأنفس والآفاق.. طريق الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبالقرآن كتاب المسلمين المقدس وبالرسول.. ولم يشهد تاريخ الإسلام هذا التناقض والصراع الذي تتحدث عنه بين الدين والعلم أو العقل.

**راجيف:** مدهش جدًّا أن يحض كتابكم المقدس على احترام العقل والتفكر والعلم!

**مايكل:** أرى مسؤولي الصالة يشيرون إلينا أن وقت إغلاقها قد اقترب، لنقف عند هذه النقطة ونكمل غدًا.

**راجيف:** أنا مشغول غدًا، يكون من دواعي سروري أن تقبلا دعوتي لكما لرحلة على ضفاف نهر السين بعد غد.

**مايكل وراشد:** رائع، بكل سرور.

https://www.path-2-happiness.com/ar

# تعرف على إلهك!!



# تعرف على إلهك!!

في عصر يوم مشمس صافٍ، التقى الأصدقاء الثلاثة حسب الموعد المحدد على ضفاف نهر السين، دعا راجيف صديقيه لاستقلال باخرة نهرية بدا أنها فاخرة.. وقف الأصدقاء الثلاثة يستمتعون بالمناظر الرائعة للنهر والخضرة المحيطة بجانبيه.. أطلق راشد بصره في الأفق وخاطب صديقيه:

إن الأنهار والبحار والنباتات والحيوانات والجبال والإنسان وكل ما نشاهده في هذا العالم، بل كل ما لا نشاهده ولا نراه.. يمثل دلالة واضحة على حكمة خارقة جعلت هذه الأشياء تنبض بالحياة، ويدل على أن لهذا العالم خالقًا وربًّا.. ألا تتفقان معي على ذلك؟

**راجيف:** لقد اتفقنا في الجلسة قبل الماضية على ضرورة أن يكون لهذا العالم خالق، ولكن هناك بعض القضايا المتعلقة بهذه القناعة تستحق مناقشتها وتمحيصها.

**مايكل:** أرى أن أهم ما نبدأ به ما سبق أن ذكره المهندس راجيف بشأن التساؤل عن الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الإله الحق.

**راشد:** إن ما نعيشه ونشاهده من إبداع خلق الكون وثيق الصلة بما تطلبه؛ إذ إن أصل الإيمان واليقين بأن الله هو الحق هو أن يكون لديك «تصورًا صحيحًا» لهذا الكون بما في ذلك نفسك التي بين جنبيك؛ وذلك بمعرفة عناصره وتراكيبه وغايات خلق كل مخلوق فيه.

**مايكل:** لقد سلمنا بوجود إله خالق للكون، ولكن تصور هذا الإله يختلف باختلاف الأديان، بل إن بين هذه التصورات من الاختلاف والتباين ما يدفع بعض الناس إلى الهروب من البحث في هذا الموضوع والعيش حياة أقرب إلى الإلحاد، حتى وإن لم يقروا بذلك صراحة.

**راشد:** معك حق يا صاحبي، ولكني أضيف أن ذلك الهروب لم يمنعهم من الإحساس بالحاجة إلى التأله لإله ما، بل إن بعضهم في الحقيقة عندما ينكر وجود إله فإنما هو يؤله نفسه.. يتخذ إلهه هواه، فعتاة الملاحدة هربوا من الاعتراف بالله والإيمان به إلى أشياء أخرى أعطوها القدر نفسه والصفات نفسها التي لا ينبغي أن تكون إلا للإله الحقيقي دون أي مسوغ إلا الهروب من تصور منحرف للإلوهية شاهدوه أو عايشوه.

**راجيف:** إذا دخلنا في موضوعنا فإننا نستطيع القول: إن الإله لا بد أن يكون مهابًا محبوبًا مرهوبًا في الوقت نفسه، يشعر الإنسان تجاهه بالحاجة إليه؛ هذا من جهة الإنسان، ولكن هذه الصفات هي في حقيقتها تمثل حالة للإنسان قد تتحقق في أكثر من شخص تجاه أكثر من إله، إذن: لنستعرض صفات الإله الحق الذي ينبغي أن يتفق عليه البشر.

**راشد:** كلامك جميل وصحيح.. والأمر موصول بما بدأناه، فمن خلال إقرارنا بحتمية وجود إله، واتفاقنا على أن لهذا الكون البديع المتناسق خالق قدَّر هذا الكون وأوجده من العدم، هذا الخالق هو الذي نصفه بأنه الرب، وهذا الرب - الذي هو خالقنا وخالق كل شيء - هو في الحقيقة هذا الإله الذي يستحق التأله والعبادة وينبغي ألا يعبد أحد سواه؛ أي: كما قلت أنت ينبغي ألا يتوجه أحد إلى غيره بالمهابة المطلقة والمحبة والخوف والرجاء المطلق.. ومن هنا نستطيع تلمس صفات هذا الإله الحق.

**راجيف:** إذا أقررنا بكلامك، أستطيع القول: إن الصفات الأولى البدهية أن يكون هذا الإله موجودًا وحيًّا، كما أن هذا الإله الرب ينبغي أن يكون خالقًا.

**راشد:** هذا صحيح، وهذا يقتضي بداهة أيضًا ألا يكون هذا الإله بذاته وصفاته مخلوقًا؛ فالخالق لا يمكن أن يكون مخلوقًا؛ لأنه لو كان مخلوقًا لاقتضى ذلك أن يكون مثلنا، له خالق؛ فلا يكون إلهًا ولا تجوز عبادته؛ وعلى ذلك لا تصلح جميع المخلوقات أن تكون آلهة.

**مايكل:** إذن، لا بد أن نعرف ما معنى الخالق؟

**راشد:** باختصار أستطيع القول: إن الخالق هو مخترع الأشياء من غير مثال أو نموذج سابق، أي: الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وهو أيضًا القادر على إيجادها من العدم، وهو الذي يقدِّر هذه الموجودات والتركيبات، على تقدير أوجبته الحكمة، أي: ليست عبثية ولا على سبيل المصادفة.

أما صفات المخلوق اللازمة: فإن أهمها ألا يكون موجودًا قبل خلقه؛ أي: إنه محدَث له بداية، كما أنه لا بد أن يبلى ويفنى؛ أي: لا بد له من نهاية، وأيضًا فإنه محدود القدرات والإمكانات، ومحتاج دائمًا إلى غيره.

**راجيف:** وإذا كان هذا الإله الرب خالقًا، فطبيعي أن يكون مالكًا لما خلقه.

وإذا قلنا إن ما في السماوات والأرض لله، مخلوقٌ له، لزم أن يكون جميع ذلك معلومًا له؛ لأنه لو خفي عليه شيء لكان العبد – في حالة اختفاء حاله عن علم الله– مستقلًا عن خالقه، كما أنه يدل على علمه: الإحكام والإتقان الذي نراه في المخلوقات، فهذا لا يكون إلا بكامل العلم.

**راشد:** ويترتب على الملكية: التصرف في السماوات والأرض وما بينهما: ويترتب عليها وعلى العلم: أن يكون له حق التسيير ووضع سنن الأشياء وقوانينها.

**مايكل:** ولكني أنا أيضًا أملك أشياء، وأنا أيضًا أعلم أمورًا كثيرة، فهل يدل ذلك على أن بي صفات إلهية؟.. لا أظن أن ذلك صحيحًا!

**راشد:** ملحوظتك مهمة جدًّا يا صديقي، وأرى أن الاسترسال في ذكر الصفات بهذه الطريقة سيطول رغم أهميته، ويمكننا التوصل إلى قاعدة عامة نجعلها معيارًا لهذه الصفات، ونستطيع – إلى حد كبير– استخراج الصفات من خلالها؛ اسمحا لي أن أعرض ملامح هذه القاعدة؛ وهي في الحقيقة حسب تصوري القائم على ثقافتي الإسلامية.

**مايكل وراجيف:** تفضل..

**راشد:** يمكن تلخيص هذه القاعدة في الآتي:

أولًا: يمكن تقسيم الصفات الذاتية عمومًا إلى قسمين: صفات نقص، وصفات كمال.

الكمال هو: أن تتصف بالصفة الحسنة مع انتفاء نقيضها السلبي عن الموصوف.

والنقص هو: أن تتصف بالصفة السلبية مع انتفاء نقيضها الحسن عن الموصوف.

وعليه: فلكي يكون نفي الاتصاف بصفة سلبية نفي تنزيه، يجب الاتصاف بنقيض هذه الصفة، أي: بصفة من صفات الكمال؛ وإلا يكون النفي نفي نقص؛ لأن عدم الاتصاف بحد ذاته نقص وعجز.

ثانيًا: الشيء الذي يستنكف المخلوق منه، لا يمكن إثباته للخالق، فكل ما ينزه عنه المخلوق ويوصف به المذموم المعيب، فالرب تعالى أحق أن ينزه ويقدس عنه، ولا يصح أن يدخل ذلك المذموم في صفاته بوجه من الوجوه، لأن الإله هو الأكمل بكل وجه.

ثالثًا: الفصل التام بين الخالق والمخلوق؛ فالخالق ليس كمثله شيء.. وأما ما جاء من الأوصاف التي يمكن أن تطلق على الخالق والمخلوق؛ كالملك والعلم والرحمة والمحبة... فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، لأن صفات الخالق سبحانه بخلاف صفات المخلوق، إذ صفات المخلوقين لا تنفك عن النقص والأغراض والأعراض.

**مايكل:** ليتك توضح ما تقوله بالأمثلة.

**راجيف:** وليتك توضحها مقرونة بالنقاط التي ذكرتها، وأن تكون هذه الأمثلة مما مر الحديث عنه، أو أمثلة واقعية.

**راشد:** حسنًا، النقطة الأولى: أن جميع العقلاء يتفقون أن الضعف صفة نقص، وكذلك الحاجة إلى الآخرين أو الأشياء صفة نقص؛ فعليه لا يصح أن يكون الإله الحق متصفًا بإحدى هاتين الصفتين، بل لا بد أن يكون منزهًا عن هاتين الصفتين ومتصفًا في الوقت نفسه بضدهما من صفات الكمال، التي هي: القوة، والاستغناء عن الآخرين.. ولذلك فإن قرآننا نفى الألوهية عن المسيح وأمه عليهما السلام بثلاث كلمات أصابت صميم المسألة، وهي قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]، فالذي يحتاج أن يأكل الطعام إنما يأكله لإحساسه بالجوع وما يصاحبه من ضعف ووهن، ومن يأكل الطعام يكون – كغيره من البشر – محتاجًا لهذا الطعام، وعلى ذلك لا يصح أن يكونا أو أحدهما إلهًا؛ لأنهما لا تتحقق فيهما صفات الإله الحق.

وكذلك: اتخاذ الولد: يتنزه الإله الحق عن نقص مشابهة المخلوقين المحتاجين، فمن يطلب الولد يطلبه لامتداد الذكر وللعون وللإرث أو ما إلى ذلك، وكلها صفات نقص واحتياج لا تجوز على الإله الحق.

أما النقطة الثانية: فجميع العقلاء يستنكفون مثلًا أن يتصفوا بصفة العجز، فأولى ألا يتصف الإله الحق بهذه الصفة، بل لا بد أن يتصف بصفة الكمال المقابلة لها، وهي صفة (القدرة)، وهكذا إذا كان المسيح عاجزًا عن أن يدفع عن نفسه أذى أعدائه، أو لا تستطيع الأصنام أو الحيوانات المتخذة آلهة عند بعض الناس أن تدفع عن نفسها.. فإنهم يكونون عاجزين أن يدفعوا عن غيرهم وعن عابديهم ومحبيهم، وهذا يدرك بالبديهة، وعليه فإن العاجز لا يصلح أن يكون إلها يعبد بحق.

والعقلاء يستنكفون أن يوصفوا مثلًا بالظلم، وعليه: فالإله الحق لا يظلم لأنه العدل.. وهكذا كل نفي نقص يقابله إثبات لنقيض المنفي..

أخيرًا، النقطة الثالثة: فنأخذ مثلًا: صفة العلم، وهي صفة حسنة ونقيضها السلبي هو الجهل.. الكمال هو أن تتصف بالعلم وينتفي عنك الجهل.. والنقص أن تتصف بالجهل وينتفي عنك العلم.. الله سبحانه له الكمال المطلق في صفة العلم، لأنه يتصف بالعلم المطلق وينتفي عنه الجهل مطلقًا..

أما الإنسان فله كمال نسبي في صفة العلم، لأنه يتصف بالعلم لأمور في ذات الوقت الذي يتصف بالجهل لأمور أخرى.. فكماله نسبي فقط.. وهلم جرا في باقي الصفات..

**مايكل:** أحس ببرودة في الجو خاصة مع حلول الظلام، وأظن أن هذا يكفي الليلة.

# نور السماء

# (حاجة الإنسان إلى الرسالة)



# نور السماء (حاجة الإنسان إلى الرسالة)

عندما دخل راشد الصالة الاجتماعية في بيت الشباب المقيمين به، وجد مايكل يجلس على إحدى الطاولات مطلقًا بصره في سقف الصالة وكأنه يتأمل الثريا المعلقة فيه.. توجه إليه راشد وألقى عليه التحية.. لم ينتبه مايكل له.. سحب راشد الكرسي المواجه له، وخاطبه:

يبدو أنك مهموم بشيء مهم.. هل يمكنني مشاركتك همومك؟

**مايكل:** أوه.. عفوًا، لم أنتبه لوجودك..

لم يحضر راجيف بعد؟

**راشد:** بقي على موعدنا خمس دقائق..

ها هو آت إلينا..

**راجيف:** تحية طيبة صديقاي.. لقد اشتقت إلى لقائكما.

**راشد:** ونحن كذلك..

**مايكل:** في الحقيقة إني سعيد جدًّا بهذه الحوارات المثمرة.. لقد كنت أفكر بعمق قبل مجيئكما في أمر مهم، أمر أحب أن تشاركاني فيه.. لقد تمخض هذا التفكير عن عصف حوارنا السابق.. إذا كان الرب الذي خلقنا هو الذي ينبغي أن نتخذه إلهًا.. فهل من المعقول أن يتركنا الله بغير اتصال به ولا طريقة تعرفنا عليه.. هل من المعقول أن يتركنا هكذا وشأننا؟!

**راجيف:** لقد كنت أفكر في هذه النقطة نفسها قبل أن أحضر إليكما.

**راشد:** تساؤلاتكما وجيهة جدًّا، وفي محلها.. إن الله الذي خلق البشر في أحسن تقويم، وسخر لهم جميع ما على الأرض وأنزل عليهم الخيرات من السماء من غير استحقاق لهم، لا يجوز عقلًا أن يكون خَلَقَ هذا الكون وخَلَقَ البشر وأسدى إليهم هذه النعم عبثًا أو بغير غاية ولا هدف.

**مايكل:** جميل جدًّا أن نتطرق إلى هذه النقطة، إذن: ما هي الغاية والهدف الذي لأجله خلق الله الكون والبشر وأسدى إليهم نعمه؟

**راجيف:** أتوقع أن يكون ذلك مرتبطًا بصفات الإله الحق التي سبق ذكرها في الحوار السابق، لأنه الرب كان موجودًا قبل وجود هذا الخلق.. ولكني لا أستطيع استخلاص ذلك تحديدًا.

**راشد:** صحيح ما ذكرته يا راجيف، وأنا أحاول تحديده وتقريبه بهذا المثل الذي أقصد به المقاربة وليس المطابقة: أنت عندما تحب شيئًا فبدهي أن تحب تحقيقه في الواقع.. أليس كذلك؟

**راجيف:** بلى.

**راشد:** إذن، ما الذي يمكن أن يمنعك أن تحققه في الواقع؟

**راجيف:** السبب الذي يأتي على خاطري الآن: ألا أقدر على تحقيقه.

**راشد:** إذن عندما تتحقق فيك القدرة فإنك ستوجِده.. وهذا هو الأمر.

**مايكل:** لقد زادني مثلك إبهامًا لا إيضاحًا.

**راشد:** معك حق، ولكني سأكمل.. لقد اتفقنا في الحوار السابق أن للرب تعالى صفاتٍ هي أحسن الصفات وأبهاها، وهذه الصفات صفات محبوبة؛ يحبها الله تعالى وتحبها مخلوقاته، ومن هذه الصفات أنه تعالى: خالق، وقادر، وملك.. ومحبة هذه الصفات تقتضي فِعلها وتنفيذها.

وبما أن الله تعالى قادرٌ لا يمنعه شيء من تنفيذ إرادته فإن الله تعالى خلق الخلق ليكون أثرًا من آثار صفاته المحبوبة؛ فلأنه خالق فهو يحب أن يَخلق، ولأنه منعم فهو يحب أن يُنعِم، ولأنه رحيم فو يحب أن يَرحم.. ولأنه قادر فإنه لا يمنعه شيء من إنفاذ كل ما يريده ويشاؤه.

**مايكل:** إذن: ما موقعنا نحن في هذه المعادلة؟!

**راشد:** موقعنا أن الله تعالى خلقنا لنتعرف عليه وننزهه عن النقائص والعيوب، وأعطانا النعم، لا لنستمتع بها فقط، بل أيضًا لنشكره عليها ولا نضيعها؛ فهو تعالى يحب شكره وحمده، وهذا يقتضي الإذعان بالعبودية له وحده؛ لأنه وحده المنعم والخالق المستحق للعبادة.

**راجيف:** هناك نقطتان يثيرهما كلامك، الأولى: هل معنى ذلك أن يظل أحدنا ماكثًا في المعبد ليحقق ما تقوله؟

**راشد:** لا لا، لم أقصد ما ذكرته في ملحوظتك، فهذا المعنى للعبودية لله معنى قاصر لا يقره الإسلام الذي أدين به، فالعبودية لله معنى يشمل أنشطة الحياة كلها، بما فيها إعمار الأرض وإقامة الحضارة الإنسانية.

**مايكل:** ولكننا نعمر الأرض ونقيم حضارتنا المعاصرة بغير الرجوع إلى الدين.

**راشد:** ولذلك نجد مظاهر شقاء الإنسان نتيجة هذه الحضارة؛ كانتشار القلق والانتحار، والشذوذ، والتمزق الاجتماعي، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان خاصة إذا أمن غياب الرقيب عنه.. وهي عندما تكون كذلك تكون أقرب إلى المدنية، أي المنظومة التي تهتم بالأشياء والمخترعات وتنميتها، بينما يغيب البعد الإنساني عنها؛ فإذا ما أخذنا هذا البعد في الاعتبار فإنه لا بد من ملاحظة مكونات الإنسان، والتي على رأسها المكون الروحي، وعندما ترتبط الحضارة والنشاط الإنساني بخالق الإنسان فإن جميع جوانبها تتسق مع إنسانية الإنسان، بل مع البشرية كلها ومع الكون كله؛ لأنه ببساطة: الذي خلق هذا الإنسان وهذا الكون هو أعلم بما يصلحه ويفسده.

**مايكل:** هل يعني ذلك أن المهندس راجيف مثلًا لكي يتقن عمله عليه الرجوع إلى كتب الدين؟.. كيف يكون ذلك؟! ثم إذا سلمنا بكلامك فكيف نصل إلى ما يريده الله منا لتستقيم حياتنا؟

**راشد:** لا يعني كلامي أن الدين يتدخل في المسائل الفنية للعلوم والأنشطة الدنيوية، ولكنه يضع أطرًا وقواعد أخلاقية لأنشطة الحياة، ونظمًا لأوجه الحياة، كما أنه ينظم علاقات الإنسان مع الآخرين، ومع مجتمعه، وبين المجتمعات بعضها بعضًا، إضافة إلى تعريف هذا الإنسان بمكانته في هذا الكون، وعلاقته بربه.

وأضرب لكما مثالين للتوضيح: الله تعالى خلقنا وخلق الأرض وما عليها، وأنبت لنا من الأرض بما أنزل من ماء السماء أغذية، ثم أنبت منها الأدواء والسموم القاتلة، ومنح في عقولنا القدرة على إعمالها لنعرف المؤذي من المغذي، ووهبنا القدرة على استخدام تجاربنا في اكتشاف هذه النباتات والانتفاع بها واستخلاص العقاقير والأدوية منها.. ثم وضع لنا قاعدة في دينه: أن كل ما يضرنا أو يضر غيرنا محظور علينا إتيانه.

ومثال آخر: أن جميع البشر يتفق على حُسن العدل وقُبح الجور، ولكن عند الدخول في تفاصيل هذا العدل، تجد اختلافات كثيرة؛ ذلك لأن العقول مختلفة في مقاصدها وغاياتها، إضافة إلى تضارب مصالح كل فريق؛ لذا: نحن في حاجة إلى أن يكون مصدر هذا العدل مَن يملك سلطة أعلى من جميع البشر، ومَن يتساوى جميع البشر أمامه، وتنتفي في حقه مجاملة طرف أو الميل والهوى أو المصلحة والمنفعة الشخصية.

أما كيفية الوصول إلى معرفة ما يريده الله منا؛ فإن ذلك مرتبط أيضًا بصفات الله تعالى، فهو تعالى ملك وحكيم.. ومرتبط بما سبق أن ذكرناه في أول حوارنا أن الله خلق هذا الكون لحكمة ولم يخلقه عبثًا.. هل تتصور أن من الحكمة أن شركة مثلًا تُؤسَّس وتُبنى منشآتها ويعمل عمالها وموظفوها وتدور آلاتها وتسوَّق منتجاتها.. بدون نظم عمل وإدارة ولوائح!!

**مايكل:** بالطبع لا.

**راشد:** فما بالك بهذا الكون وهذا الخلق.. لذا: أنزل الله تعالى كتبه ومواثيقه؛ لتكون دليل البشر وهاديهم إلى مصلحتهم في دينهم ودنياهم، وذلك بواسطة سفراء بينه وبين عباده، هم رسله عليهم الصلاة والسلام، الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه، ليعرِّفوا البشر بربهم، ويدلوهم على معالم العدل ومضار الظلم؛ وليبينوا للناس ما ينفعهم وما يضرهم في دنياهم وأخراهم.

فالإنسان في حاجة ضرورية إلى الرسالة، لأنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والرسالة هي بمثابة النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره؛ فهي نور الله في أرضه، وعدله بين عباده.

وليس هدف الرسالة التمييز الحسي بين النافع والضار، فإن ذلك يحصل للحيوانات غير العاقلة؛ فإن الحمار مثلًا يفرق ويميز بين الشعير والتراب، بل المقصود: التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في دنياه وآخرته، والأفعال التي تنفعه في دنياه وآخرته، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش.

**راجيف:** أما النقطة الثانية فهي: أننا نرى الناس متفاوتين في موقفهم من الرب والخضوع له، فكيف يستوون في استمتاعهم بنعمه؟!

**راشد:** هذا لحكمة الابتلاء والاختبار ليظهر موقفهم من ربهم، ولكنهم قطعًا لا يستوون في الجزاء والمصير، وهذا الجزاء سيكون أساسه رسالات الرسل التي هي بمثابة اللوائح والمواثيق التي ينبغي الرجوع إليها.

**مايكل:** أضيف نقطة ثالثة، وهي: كيف يستمتع البشر جميعًا بنعم الله، بينما منهم المخادع والكاذب والظالم، وقد يفلت بعض هؤلاء من عقوبة المجتمع ولا يطبق عليه القانون؟!

**راشد:** هذا أيضًا لحكمة الابتلاء والاختبار، ولكن هؤلاء إذا أفلتوا من العقوبة وتطبيق المجتمع العدل عليهم، فإنهم لا يفلتون من تطبيق العدل الإلهي عليهم، وهذا من حكم البعث والحساب بعد الموت في يوم الدين، أي: يوم الجزاء، جزاء على أعمال الإنسان الحسنة والسيئة تجاه ربه وتجاه نفسه وتجاه الآخرين، ففي هذا اليوم يكون القضاء الحق بين الخصوم.

ولكن لا بد من وجود مرجع يتحاكم الناس على أساسه ويكون معلومًا لهم ويمكنهم الرجوع إليه.. وهنا يأتي أيضًا دور رسالات رسل الله، الذين سيعرفون البشر الأساس الذي سيحاسبون عليه، ويعرفونهم ما الذي سيترتب على موافقتهم أو مخالفتهم لهذا الأساس، ويعرفونهم ما الذي ستكون عليه الحياة الأخرى من نعيم أو عذاب أليم، وما الذي سيجري في هذا اليوم.

**راجيف:** سيد راشد، هل تذكر أننا قلنا بضرورة مناقشة صفات الدين الحق؟

**راشد:** صحيح، أذكر ذلك.

**راجيف:** أرى أنه آن الأوان لفتح هذا الملف.

**مايكل:** معك حق يا راجيف.. أرى أن نخصص حوارنا القادم لهذا الموضوع.

# صفات الدين الحق



صفات الدين الحق

استقبل راشد صاحبيه أمام مدخل متحف اللوفر حسب الاتفاق بينهم، دعاهم إلى جولة في المتحف قائلًا:

لقد حددت هذا المكان لدعوتكما إلى جولة في المتحف لنسترجع جانبًا من تاريخ البشرية قبل حديثنا عن موضوع اليوم.. ما رأيكما في هذه الفكرة؟ يمكننا التراجع عنها في حال ارتأيتما ذلك..

**مايكل:** غريب أمرك يا راشد.. تأخذ رأينا بعد أن نحضر إلى هنا، كان الأولى أن تشاورنا قبل الحضور.. عمومًا لا مانع عندي.. ما رأيك راجيف؟

**راجيف:** لا مانع عندي أيضًا، ولكن أرى أن تكون الجولة سريعة إذا كنا نريد مناقشة موضوعنا حسب الاتفاق؛ فمتحف اللوفر كبير والاستغراق فيه سيأخذ وقتنا ويستهلك طاقتنا.

**راشد:** أعتذر عن خطأي هذا؛ لقد قصدت أن أجعلها مفاجأة لكما، ولكني أخطأت التصرف.

**مايكل:** لا عليك، علينا الآن الإسراع، فمجموع أطوال قاعات المتحف نحو ١٣ كيلو متر مربع، وبه أكثر من مليون قطعة.

**راشد:** لم أقصد من زيارتي استكشاف متحف اللوفر، ولكني كنت أقصد أن يزودنا ببعض المعلومات الحية عن الموضوع الذي سنناقشه.. أظن أن اهتمامنا سينصب على المقتنيات الآثارية للحضارات القديمة، ومعظمها يقع في الطابقين الأرضي والأول...

وبعد نحو ساعتين خرج الأصدقاء الثلاثة من المتحف، وقد بدا عليهم بعض إرهاق التجول.

**راشد:** نستطيع الاستراحة وتناول الغداء في مطعم قريب تعرفت على مكانه عن طريق الإنترنت..

وبينما هم يسيرون إليه، استأنف راشد حديثه:

ألا تلاحظان أن معظم ما رأيناه من مقتنيات لمختلف الحضارات له علاقة بشكل أو بآخر بالدين، أليس لذلك دلالة على مكانة الدين عند الإنسان أيًّا كان تاريخه أو مكانه؟!

**راجيف:** ما تقوله مسَلَّم به تقريبًا عند علماء الأنثروبولوجيا، فهم يقولون إنهم في بحثهم في تاريخ الإنسان وآثاره خلصوا إلى أنه قد توجد حضارات بلا مصانع وحضارات بلا قصور وحضارات بلا علوم وبلا فلسفات.. ولكنهم لم يجدوا حضارات بلا معابد.

**مايكل:** الحقيقة أن أي عاقل يقول إن الدين ليس شرًّا، بل هو من المكونات الحضارية الأساسية للوجود الإنساني، ولكن المشكلة هنا أن كل أصحاب دين يعتقدون أن الحق فيه دون ما سواه، ويدعون الناس إليه، وكل أصحاب عقيدة يدعون الناس إلى اتباع صاحب عقيدتهم، وتعظيم قائد طريقهم، كل صاحب ملة يعتقد أن ملته هي الحق، ويقع الشخص في حيرة: هل الدين الحق هو اليهودية، أم النصرانية، أم البوذية، أم دين الإسلام؟.. فكيف يكون السبيل لمعرفة أيهم على الحق أم نقول إنهم جميعًا على صواب ما دام ما هم عليه يشبع حاجتهم إلى التدين؟!.. شيء محير، أليس كذلك؟!

**راشد:** نعم محير، ولكن يمكننا بشيء من التأمل والبصيرة الخروج من تلك الحيرة.. إننا الآن ونحن جوعى لا نكتفي ولا نرضى بأن نلتهم أي طعام سواء أكان صالحًا للإطعام البشري أو الحيواني، فنحن لا نرضى بأن نملأ بطوننا بأي طعام لأجل إشباع جوعنا.. فما بالنا بإشباع غريزتنا الروحية.. لا بد لها من انتقاء الغذاء الصحيح المناسب لها..

يستحيل أن يكون الجميع على حق؛ لأن الحق واحد لا يتعدد، ويستحيل أن تكون كل هذه الأديان والملل البشرية من عند الله وأن تكون جميعها حق، وإذا تعددت - والحق واحد - فيظل السؤال قائمًا: أيها الحق؟ إذن: فلا بد من ضوابط نعرف بها الدين الحق من الدين الباطل، فإذا وجدنا هذه الضوابط منطبقة على دين علمنا أنه الحق، وإذا اختلت هذه الضوابط أو واحد منها في دين علمنا أنه باطل.

**راجيف:** ولكنك وضعت في سياق كلامك الآن أول ضابط، وهو أن يكون هذا الدين من عند الله، فهل لا بد أن يكون الدين سماويًّا؟ في الأرض أديان غير سماوية يتبعها ملايين البشر كالبوذية والهندوسية والكونفشيوسية وغيرها..

**راشد:** هذا بديهي؛ لأن أساس أي دين هو عبادة الإله أو الآلهة!! فإذا كنا مقرين حقًّا أن الرب وحده الذي خلق الكون والبشر، ووحده الذي سخر لهم ما في الأرض ورزقهم النعم؛ فلا بد أن نقر أنه وحده المستحق للعبادة وأنه وحده يُعبد ولا يكون معه شريك؛ إذ كيف يَخلق ويَرزق وحده، ويُشكَر ويُعبَد غيره؟! وإضافة إلى ذلك: لا بد أن يدعو الدين الصحيح لعبادة الرب وحده، ويُثبت له صفات الإله الحق، وأن يبجل رسله ويحترمهم.

وقد اتفقنا في اللقاء الماضي أن صفات الإله الحق وحاجة البشر تقتضي وجود دليل يهدي البشر وينظم حياتهم ويحقق سعادتهم، وليس هذا الدليل إلا الدين الذي يرتضيه الذي يعلم من خلق.

واتفقنا أيضًا: أنه من الضروري وجود يوم آخر يُحاسَب فيه البشر على أعمالهم وترد فيه المظالم، فإذا كان الله سبحانه وحده هو الذي يدين ويحاسب الخلائق يوم القيامة، فإنه لا بد أن يكون حسابهم وفق الدين الذي أنزله إليهم، وبناء على ذلك: فأي دين يأتي به شخص ما وينسبه إلى نفسه فهو دين باطل لا محالة.

ولكني أحب أن أشير هنا إلى أن معظم أتباع الديانات حينما تسألهم عن دليل اعتقادهم يحتجون بأنهم وجدوا آباءهم على هذا الدين وهذه الطريقة، ثم يذكرون حكايات وأخبارًا لا تصح، ويعتمدون على كتب متوارثة لا يُعلم من قالها ولا من كتبها، ولا في أية لغة كتبت أول مرة، ولا في أي بلد وجدت؛ إنما هي أخلاط جمعت فعظّمت فتوارثتها الأجيال دون تحقيق علمي؛ وهذا ما علينا تجنبه، ومن هنا يتضح أن من أهم صفات الدين الحق: ثبوت نسبته إلى مصدره، وصحة حجج الرسول المبلغ للدين عن الله.

**راجيف:** لا بأس، إذن: علينا الانطلاق من جملة الأسس التي اتفقنا عليها، سواءً في حجيات الاستدلال: العقل، والعلم، والفطرة، أو في الحقائق التي سبق أن اتفقنا عليها؛ كوجود الرب وصفات الإله الحق، ومسوغات حاجة البشر إلى الرسالة.

**مايكل:** إذا اتفقنا على ذلك، فتكون الصفة التالية، بعد أن يكون الدين من عند الله، وأن يعبد الله وحده: أن يُجِل الدين العلم ولا يعارضه، ويكون متفقًا مع العقل الصحيح؛ فإننا إذا قلنا إن الدين الصحيح هو دين الله، والعقل الصحيح هو خلق الله، فمحال أن يتناقض دين الله وخلقه.

**راشد:** أوافق على ذلك، مع التأكيد على أمرين:

الأول: ما سبق أن قبلناه بأن هناك فرقًا بين ما يجزم العقل باستحالة حدوثه أو إثباته، وما يصعب على العقل تصوره، فهناك دائرة في الدين يصعب عقلاً تصورها أو الاقتناع بكيفيتها، وهي دائرة الغيب.. وعلى سبيل المثال: وجود الملائكة والشياطين، وكيفية الوحي إلى الرسول البشر، وتفاصيل يوم القيامة.. ولكن هذه الأمور تختلف عما يجزم العقل باستحالة وقوعه..

فمثلًا: قبل مئة سنة كان يصعب على العقل تصديق أن الإنسان يمكن أن يصعد أو حتى يرسل مركبة إلى القمر، أو أن يسمع إنسانًا آخر ويراه على بعد آلاف الكيلومترات، ولكن لم يكن في العقل ما يقول باستحالة ذلك الذي يصعب تصديقه، ولكن إذا قلنا إن الإنسان نفسه يوجد بجوهره في مكانين مختلفين في ذات الوقت، أو أن ١+١+١=١، فإن العقل يحكم باستحالة ذلك.

الثاني: بناءً على النقطة السابقة: فإن بعض تفاصيل الدين قد لا يظهر لنا فيها تعليل عقلي، وإن لم تعارض عقلنا، وهنا يجب أن نسلِّم بها ما دمنا أقمنا إيماننا على أساس سليم من الحجية، فإنك لو بعقلك أدركت أن شخصًا أهلٌ للثقة ١٠٠٪ ولا يوجد أي شك في ثقتك به، وأراد هذا الشخص اختبار ثقتك به بقوله (وقع لي على هذه الأوراق البيضاء)، فإنك سوف توقع بدون التساؤل عن ماهية هذه الأوراق مثلًا، أما إذا كانت ثقتك به ليست كاملة فإنك تسأل عن هذه الأوراق، وبالمثل: فإن (الإيمان أو العقيدة) هو بناء الثقة في الله عن طريق العقل والفكر، و(تفاصيل الدين) هي الدليل الذى سوف تقدمه على ثقتك في الله.

**مايكل:** إذن، من صفات الدين الحق: ألا يكون متناقضًا ولا مختلفًا بعضه مع البعض الآخر، فلا يأمر بأمر ثم ينقضه بأمر آخر، ولا يحرم شيئًا ثم يبيح ما يماثله من غير علة، ولا يحرم أمرًا أو يجيزه لفرقة ثم يحرمه على أخرى.

**راجيف:** وإذا قلنا إن هذا الدين بمثابة دليل للبشرية لما يريده خالقهم منه، فلا بد أن يتضمن هذا الدين: الهداية إلى طريقة عبادة الله، ودلالة الإنسان على مراد الله منه، والنظام الذي ينبغي على الإنسان اتباعه، وأن يجيب عن جميع أسئلة الحياة الكبرى، فيخبر من أين أتى وإلى أين المصير؟.. وأن يحقق للنفس الأمن والطمأنينة، وأن يكون متفقًا مع الفطرة الإنسانية السوية.

**مايكل:** وأرى أنه من المهم أن يدعو الدين إلى مكارم الخلق والأفعال، وينهى عن سيئها، وأن يكون رحمة للخلق من ظلم أنفسهم وظلم بعضهم لبعض، سواءً أكان هذا الظلم بانتهاك الحقوق، أم بالاستبداد بالخيرات، أم بإضلال الأكابر للأصاغر.

**راشد:** هناك شرط مهم نسيناه، وهو أن يجمع الدين جميع هذه الصفات، ولا تتخلف صفة منها.

**مايكل:** أريدك يا راشد أن تحدثنا عن دينك بشيء من التفصيل، فلقد اكتشفت أن معلوماتي عنه قليلة، وبعضها مشوهة.

**راشد:** أعدك بذلك في اللقاء القادم.

https://www.path-2-happiness.com/ar

# أعظم عظماء البشر



# أعظم عظماء البشر

في همة ونشاط أقبل راشد على صاحبيه يتأبط كتابًا ويحمل حقيبة بها حاسوبه المحمول.. وما إن اقترب منهما حتى حياهما تحية سريعة لم ينتظر الرد عليها، ثم بادرهما قائلًا:

اليوم أبدأ بتلبية رغبة صديقي مايكل.. ها أنا ذا أوضح لكما أهم المعالم التي يختص بها الإسلام، لا يختلف اثنان على أن أهم هذه المعالم: الإيمان برسول الإسلام.. محمد صلى الله عليه وسلم.. لقد أحضرت لكما كتابًا لمفكر غربي يتحدث فيه عن محمد.. اسمعا ماذا يقول..

**مايكل:** مهلًا عزيزي راشد.. لقد كنت أظن أن أهم ما يختص به الإسلام هو تصوره عن الإله.

**راشد:** هذا صحيح في الجملة.. ولكني تجاوزت ذلك لأسباب، أهمها:

أن الإسلام بصفته رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يزعم أن هذا التصور عن الألوهية تصور مستحدث على يد رسول الإسلام، بل هو دين الأنبياء والرسل من لدن آدم حتى المسيح وصولًا إلى محمد، عليهم جميعًا الصلاة والسلام، بل هو أصل دين البشر جميعًا.. وما حدث هو أن البشرية انحرفت عن هذا الدين وشوهت هذا التصور، فجاء الإسلام وأعاد تصحيح الإيمان بالله ودعا الناس جميعًا إلى الرجوع إلى توحيد الله تعالى وعدم الشرك بعبادته.. فالإيمان بالله وتوحيده في الإسلام حلقة تجديدية في سلسلة ممتدة عبر التاريخ تبدأ منذ خلق الإنسان نفسه ولا تنتهي إلا بفناء الدنيا.. إنه دين وُجِد قبل أن يولد رسول الإسلام.

الأمر الثاني: أنني تصورت أن ما توافقنا عليه في اللقاءات الماضية كافٍ في تجاوز هذه النقطة.

**راجيف:** هل تقصد أن الإسلام تتحقق فيه صفات الإله الحق التي تحدثنا عنها؟

**راشد:** نعم، هذا صحيح!

**راجيف:** إذن، ليتك تذكر لنا باختصار تصور الإسلام عن الألوهية قبل أن ننتقل إلى ما كنت تود عرضه.

**راشد:** حسنًا.. في الإسلام فإن ربًّا واحدًا خلق الإنسان وخلق هذه العوالم كلها من العدم، لا يشبهه شيء مما في العوالم، هو الذي وضع نواميس الكون التي نسميها (قوانين الطبيعة)، وجعل كل شيء فيها بمقدار وسنن، هو أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء..

ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، له الكمال المطلق ولا يعتريه نقص من أي وجه كان، فهو سبحانه لم يلد ولم يولد، ولا كفؤ له ولا ند، وحده الذي يحيي ويميت، لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها...

هذا الرب هو وحده الإله الأحد الذي ينبغي ألا يُعبَد سواه، لا شريك له في ملكه ولا ند له ولا وزير ولا مشير يُعبد معه، ولا وسيط يقرب اليه ويشفع عنده بلا إذنه، فالعبادة له وحده خالصة بكل مظاهرها.

**مايكل:** عن أي شيء يتحدث الكتاب الذي أحضرته؟

**راشد:** يتحدث عن الخالدين في التاريخ الإنساني، للكاتب الدكتور مايكل هارت، وهو عالم فلكي رياضي كان يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية.

**مايكل:** فما دخله بالدراسات التاريخية؟!

**راشد:** تعد الدراسات التاريخية متعة لهذا العالم، وهو لاحظ أن من بين عشرات الألوف من ملايين الناس لم تذكر دوائر المعارف كلها سوى عشرين ألف شخص، فحدد عدة أسس لاختيار أعظم الشخصيات الخالدة من بين هؤلاء، أهم هذه الأسس: أن تكون الشخصية حقيقية لا أسطورية ولا مجهولة، وعميقة الأثر سواءً أكان هذا الأثر طيبًا أو خبيثًا، وأن يكون هذا الأثر عالميًّا، وأن يكون أثرًا ممتدًا في التاريخ الإنساني.. أراها أسسًا جيدة لهذا الموضوع.

**راجيف:** فما هي أعظم شخصية خالدة في نظر هذا الكاتب؟!

**راشد:** لقد اختار هذا الكاتب محمد رسول الإسلام على رأس الخالدين المئة الذين اختارهم، وقد كانت لهذا الاختيار أسباب وضحها هو...

ثم يفتح راشد الكتاب ويقرأ:

«لقد اخترت محمدًا في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك، ولكن محمدًا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدًا سياسيًّا وعسكريًّا ودينيًّا.. وبعد ١٣ قرن من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قويًّا متجددًا».

ثم يقول: «... وربما يبدو غريبًا أن يكون محمد على رأس هذه القائمة رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدا غريبًا أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد في هذه القائمة، بينما عيسي عليه السلام هو رقم ٣ وموسى عليه السلام رقم ١٦.

ولكن لذلك أسبابًا: من بينها أن الرسول محمدًا قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى في الديانة المسيحية. وعلى الرغم من أن عيسي هو المسؤول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضًا المسؤول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب (العهد الجديد).

أما الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية. كما أن القرآن الكريم نزل عليه وحده، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم».. أتعجبون من هذا الكلام؟!

**راجيف:** كلام يستحق التوقف عنده فعلًا، ولكن اسمح لي بالقول: إن هذا الكاتب غير متخصص بالدراسات الإنسانية.

**راشد:** حتى لو لم يكن متخصصًا في الدراسات الإنسانية، فإن كلامه مقنع ومبني على أسس موضوعية، ولا شبهة في تحيزه لمحمد صلى الله عليه وسلم، فهو يهودي، وإن كنت تريد شهادات لآخرين فدعني أسرد لك بعضها..

ثم يخرج راشد حاسوبه المحمول، ويقرأ من بعض ملفاته، فيقول:

انظر يا سيدي:

يقول الشاعر الفرنسي لا مارتين: «أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد؟! وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ؟! لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق».

ويقول شاعر الألمان الأول غوته: «بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم».

ويقول الأديب والفيلسوف الروسي العالمي ليو تولستوي: «أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضًا آخر الأنبياء».

أما الكاتب والمفكر الأيرلندي أشهر رافض لجائزة نوبل في الأدب، جورج برنارد شو، فيقول: «قرأت حياة رسول الإسلام جيدًا مرات ومرات، فلم أجد فيها إلا الخُلُق كما ينبغي أن يكون، وكم ذا تمنيت أن يكون الإسلام هو سبيل العالم. لقد درست محمدًا باعتباره رجلًا مدهشًا، فرأيته بعيدًا عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يُدعى (منقذ الإنسانية)».

**مايكل:** هذا الحديث يدور حول عظمة محمد، ولكن ما الذي يثبت أن محمدًا رسول الله فعلًا؟

**راشد:** اسمع يا عزيزي ما يقوله عالم اللاهوت السويسري د.هانز كونج: «محمد نبي حقيقي بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعدُ إنكار أن محمدًا هو المرشد القائد إلى طريق النجاة».

وهناك أدلة عديدة تثبت أن محمدًا رسول الله فعلًا.

**مايكل:** إذا كنت تستحضرها فقدمها لنا، أو بعضها على الأقل.

يواصل راشد تصفح بعض الملفات على جهازه، ثم يقول:

من الأدلة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم: بشارة الكتب السماوية به؛ ففي التوراة، في سفر التثنية (الإصحاح ١٨، فقرة ١٥-٣٠)، يقول الرب لموسى: «سأقيم لبني إسرائيل نبيًّا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي في فِيه، ويقول لهم ما آمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي، أنا أنتقم منه ومن سِبْطه»، ومعروف أن إخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل (أي العرب)، كما أن أوجه الشبه بين موسى ومحمد أكثر من أي رسول آخر، وعبارة (أجعل كلامي في فِيه) إشارة إلى أمية الرسول عليه السلام.

وفي إنجيل يوحنا) الإصحاح ١٤، فقرة ١٥): «أن المسيح قال للحواريين: إني ذاهب، وسيأتيكم الفارقليط، روح الحق؛ لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يُقال له، وهو يشهد عليَّ وأنتم تشهدون؛ لأنكم معي من قبل الناس»، وأصل كلمة الفارقليط الكلمة اليونانية: (بيركليتوس) (PERIQLYTOS)، التي تعني صيغة المبالغة من الحمد، وتعني: أحمد أو الحامد أو (كثير الحمد)، وهي نفسها معنى اسم الرسول في العربية: (محمد).

ومن الأدلة أيضًا: إخباره بالغيبيات، بل بوصف دقيق لبعض الغيبيات، وإخباره بالنهايات في البدايات، والإعجاز العلمي لرسالته، والإحكام التشريعي لها..

**مايكل:** أين؟.. أين كل ذلك؟! اعرض لنا أمثلة منها.

**راشد:** هي كثيرة في القرآن، الكتاب الذي أُوحي إلى محمد، والمعجزة الكبرى له.

**راجيف:** إذن، من المهم أن نتعرف على هذا القرآن؛ فمن خلاله سنعرف مدى صدق رسولكم، ونعرف أسس هذا الدين.

**راشد:** هذا صحيح، وهذا ما أقترح عليكم أن نؤجله إلى اللقاء القادم.

**مايكل:** قبل أن ننصرف أود أن أعرف: من أين أستطيع اقتناء هذا الكتاب الذي معك؟

**راشد:** الكتاب معي منذ زمن، ولكني شاهدت طبعة حديثة منه في مكتبة قريبة من النُزُل، يمكننا زيارتها قبل اللقاء القادم.

# الخطاب الأخير



# الخطاب الأخير

التقى الأصدقاء الثلاثة أمام مدخل النُزُل كما كان مقررًا بينهم.. قادهم راشد إلى المكتبة التي شاهد فيها كتاب (الخالدون مئة.. أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم)، وعند ركن الصحف وقف مايكل يطالع العناوين. وفجأة نادى على راشد:

راشد.. طالع هذا العنوان المثير.. إنه يخص موضوع حوارنا اليوم: «الإعلان عن وجود مخطوط قديم للقرآن في إحدى المكتبات الإسرائيلية»..

**راشد:** تقصد التساؤل عن كيفية وصول هذا المخطوط إلى مكتبة إسرائيلية؟.. لقد قرأت هذا الخبر أمس على أحد المواقع.. بعض التحليلات أشارت إلى سرقة هذا المخطوط من العراق بعد غزوه بقوات التحالف.

**مايكل:** لا، لا.. لا أقصد ذلك، أقصد علاقة ذلك بأصالة القرآن الموجود بين أيديكم، وعلاقة ذلك بمدى صحة ثبوت القرآن؛ فالخبر يقول إن المخطوط مكتوب قبل نحو ١٢٠٠ سنة، أي: ٢٠٠ سنة فقط بعد تدوين أول نسخ من القرآن، إنه خبر مدهش.

**راشد:** أولًا: هذه ليست أقدم نسخة للقرآن اكتشفت حتى الآن؛ فالروس يقولون إن أقدم نسخة للقرآن في حوزتهم؛ فقد أكد الباحث الروسي يفيم رضوان أن التحليل الإشعاعي الكربوني الذى أجرى في هولندا يدل على أن المخطوطة القرآنية التي بحوزتهم تعود إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين.

في حين أن المصريين يقولون إن أقدم نسخة للقرآن محفوظة لديهم في المشهد الحسيني بالقاهرة، ويقترب عمرها من ١٤٠٠ عام، وأنها أحد المصاحف الستة التي نسخت بأمر خليفة الرسول الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لحفظ القرآن من الضياع.

وفي اليمن يقولون إنهم عثروا أثناء أعمال ترميم الجامع الكبير بصنعاء سنة ١٩٧٢ على مخطوطة للقرآن ترجع إلى عهد الخليفة الأول للرسول أبي بكر الصديق.

وقد يكون كل ذلك صحيحًا؛ لأن نسخ القرآن التي كتبت وأرسلت إلى الأمصار عديدة.

ثانيًا: القول بأن القرآن الذي بين أيدي المسلمين هو نفسه الذي كان موجودًا في العهد النبوي قول مستقر بين علماء الأديان ويعترف بذلك المستشرقون، ولكنهم لا يعترفون بكونه منزلًا من عند الله، في حين لم تثبت أصالة الكتاب المقدس بعهديه ابتداءً.

يقول المستشرق عالم الاجتماع الفرنسي أرنست رينان: «لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف..».

ويقول الأمريكي الدكتور مايكل هارت، صاحب الكتاب الذي جئنا لنشتريه الآن: «لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملًا دون تحوير سوى القرآن الذي نقله محمد»، أما الشاعر الألماني غوته فإنه تجاوز ذلك إلى القول: «القرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقده كل مسلم»، بل إنه أعلن على الملأ لما بلغ السبعين من عمره، أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بتلك الليلة المقدسة التي أنزل فيها القرآن الكريم على النبي محمد.

**راجيف:** وهذا موضوعنا اليوم.. ما الذي يثبت فعلًا أن القرآن وحي من عند الله، وأن الإسلام دين الله المنزل من السماء؟

**راشد:** ليس فقط دين الله المنزل، ولكنه الدين الوحيد الصحيح الآن..

**مايكل:** دعونا ننتحي جانبًا؛ حتى لا نؤذي رواد المكتبة بأصواتنا.

**راجيف (مخاطبًا راشد، وهم يتجهون إلى ركن مخصص للتحاور):** فليكن ما تقوله، ما الذي يثبته؟!

**راشد:** سأثبت لكم، بما يتسع الوقت، حقيقة القرآن وأنه كلام الله وليس كلام محمد، وسأبيِّن بعض جوانب إعجازه الذي يُظهر علم الله الشامل المتجاوز لحدود البشر.

**مايكل:** حدثنا بما نقتنع به وبما اتفقنا عليه، حدثنا بالعلم والعقل.

**راشد:** المتبعون للكنائس يسمون كتاب دينهم الكتاب المقدس، والقدسية تتنافى مع الخطأ ومع التناقض، نظرًا لتناقض ذلك مع صفات الإله الحق الذى من المفترض أن يكون كاملًا ومنزهًا عن النقص؛ حتى يستحق هذه الألوهية.. لن أتحدث عن موقف الكنيسة من العلم والمعركة التي قامت بينها وبين العلماء بسبب تصادم نصوص الكتاب المقدس مع العلم، ولكن لننظر في القرآن وتحديه في هذا المجال:

تحدث أحد علماء المسلمين المعاصرين الشيخ عبد المجيد الزنداني مع البروفيسور جولي سمسون أستاذ أمراض النساء والولادة في جامعة نورث وستون بأمريكا، حول النصوص القرآنية التي تتحدث عن المراحل الأولى لخلق الجنين عندما يكون نطفة، وكيف أن القرآن يقرر أن الإنسان يخلق بعد أن تجمع النطفتان فيتقرر خلق الإنسان، وبعد ذلك يقرر تفاصيل الإنسان الذي يولد، لون العينين، لون الجلد، لون الشعر...، حيث أثبت العلم الحديث أنّ

تفاصيل الإنسان الوراثية تقدّر وهو في مرحلة النطفة، وهذا مطابق لما قاله الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩)﴾ [عبس:١٧-١٩].. وبعد أن سمع هذا البروفيسور هذه التفاصيل وقف في أحد المؤتمرات يعلن رأيه حول هذا الموضوع فقال: «لقد جاء القرآن قبل عدة قرون مؤيدًا لما تطرقنا إليه؛ مما يدل على أن القرآن هو كلام الله....».

دعني أفتح حاسوبي لأستطيع قراءة بعض الاستدلالات بدقة.. وهذا البروفيسور كيث مور صاحب كتاب (The Developing Human) (أطوار خلق الإنسان)، وهو مرجع علمي عالمي مترجم بثمان لغات.. وقف في أحد المؤتمرات فقال: «إنّ أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع.

الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله؛ إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل؛ لأنه كان أميًّا، ولهذا لم يكن قد نال تدريبًا علميًّا». ولم يكتف د. كيث مور بذلك، وإنّما قام بوضع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتحدثة عن حقائق علم الأجنة في كل صفحة من كتابه.

وهذا البروفيسور يوشيودي كوزان- مدير مرصد طوكيو، يقول: «لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله؛ فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع، الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله».. هل تريدون المزيد؟!

**راجيف:** هل في القرآن حديث عن مجالات أخرى؟

**راشد:** فيه كثير من الآيات في مجالات عديدة.. فهناك مثلًا آيات تتحدث عن حقائق تاريخية لم تثبت إلا بالعلم الحديث، فمثلًا في قصة موسى وفرعون تحدث القرآن عن موت فرعون غرقًا، ونجاة جثته لتعتبر بها الأجيال اللاحقة، أي إنه سيكون في مقدور الأجيال مشاهدة هذه القصة وتذكر هذه العبرة، وذلك في قول الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٢]، فهنا ثلاث إشارات:

١) طريقة موت فرعون؛ غرقًا.

٢) إنقاذ جثته وانتشالها من الماء.

٣) المحافظة على هذه الجثة في صورة يمكن للناس معاينتها (التحنيط).

وهذا بالفعل ما أثبته العلم الحديث، ولكن على جثة محنطة (مومياء) لم تكتشف إلا في عام ١٨٩٨م، أي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحوالي ١٢٠٠ سنة، ولم يُكتشف سبب موت هذه المومياء وأنه الغرق إلا سنة ١٩٨١م، بواسطة أجهزة متقدمة وتجارب وتحاليل معقدة قام بها فريق من العلماء الفرنسيين على رأسهم البروفيسور موريس بوكاي، الذي ما علم بأن قرآن المسلمين يثبت ذلك حتى أعلن إسلامه، ثم ألف كتابه المهم (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة).

وفي القرآن آيات تحتوي على إعجازات في أكثر من مجال في الوقت نفسه؛ ففي سورة الروم يقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:١ـ٣]... وفيها وجهان للإعجاز؛ أولهما: إخبار القرآن الكريم بانتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم، بعد بضع سنوات، أي: بين سنة وتسع سنوات، وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات، حيث وقعت معركة أخرى بين الفرس والروم سنة ٦٢٧م، وانتصر فيها الروم.

الوجه الثاني لإعجاز الآية: أنها قررت حقيقة جغرافية لم تكن معروفة في ذلك الوقت، وهي أن المعركة كانت في أدنى منطقة من الأرض، وكلمة أدنى عند العرب تأتي بمعنيين: أقرب، وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر بـ ١٣١٢ قدم (حوالي ٤٠٠ متر)، وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة كما ذكرت ذلك الموسوعة البريطانية، فالحقيقة التاريخية تشهد أن المعركة وقعت في أكثر مناطق العالم انخفاضًا في حوض البحر الميت والتي لم تكن لتقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة.

**مايكل:** أظن أن هذا يكفي يا راشد.

**راجيف:** ولكن يهمني أن أعرف، هل تحدث القرآن أيضًا في مجالات أخرى، كالفلك مثلًا وعلوم الأرض والبحار.. وغيرها؟

**راشد:** نعم، في القرآن إشارات إعجازية في هذه المجالات وفي غيرها: كنشأة الكون، ونشأة الإنسان، وعلوم الطب، وعلم النبات، وعلم الحيوان، والفيزياء وعلم الضوء، وأيضًا إشارات إعجازية تاريخية ورقمية... إضافة إلى إعجازه في بلاغته وتشريعه.. وغيرها كثير.

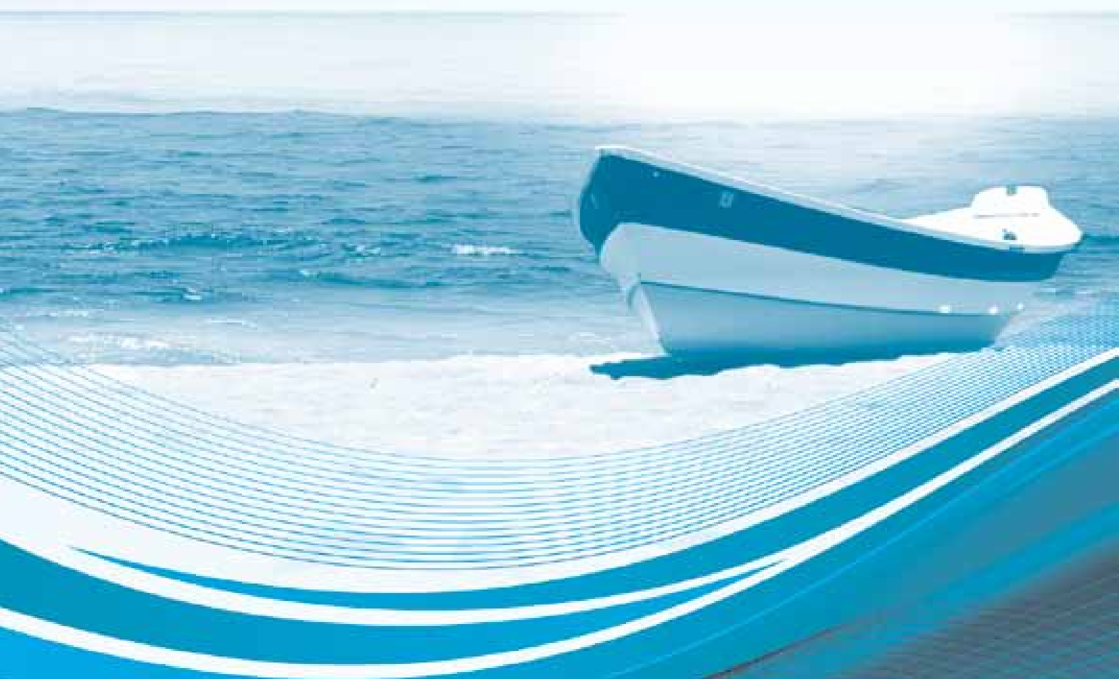
**مايكل:** الموضوعات التي ينبغي الحديث فيها كثيرة، ولكنا للأسف سوف نفتقد صديقنا راجيف؛ فموعد سفرنا غدا.

**راجيف:** هذا يحزنني كثيرًا؛ لقد سعدت بمعرفتكما واستفدت من حواراتكما.. يمكننا التواصل والتحاور عبر مواقع التواصل على شبكة الإنترنت.

**راشد:** فكرة جيدة، وإليكما فكرة أخرى: ما رأيكما أن نحتفل بهذه المناسبة، لنختمها بذكرى جميلة؟

**مايكل وراجيف:** فكرة رائعة.

# بر الأمان



# بر الأمان

استقل راشد ومايكل القطار عائدين إلى لندن، وبعد أن انطلق القطار في رحلته بادر مايكل راشد، قائلًا:

لقد ذكرت أكثر من مرة في أحاديثك نقطة أراها مهمة ولم توفها حقها.. كثيرًا ما كنت تقول: «الغاية من خلق الإنسان»، وأذكر أنك ذكرت ذات مرة أن هذه الغاية هي عبادة الله... إن هذه المسألة مما يشغلني ويشغل كثيرًا ممن أعرفهم..؛ كثيرًا ما يتعرض الإنسان لفترات ومواقف يتساءل فيها: لماذا أنا موجود في هذه الدنيا؟ لماذا هذا الشقاء؟ لماذا هذا الصراع بين بني البشر، بل بين البشر والكون؟.. أليست هذه أسئلة مهمة؟

**راشد:** بلى، مهمة بالطبع، وأظن أن مرجع ذلك إلى التكوين القيمي والثقافي للإنسان الغربي؛ فحتمية الصراع أحد المكونات الأساسية التي قامت عليها الثقافة المادية الغربية، وهي مستمدة من الحضارتين اليونانية والرومانية القديمتين اللتين قامت على أنقاضهما الثقافة الغربية المعاصرة، حيث كانت (حتمية الصراع) إحدى الأفكار الأساسية في هاتين الحضارتين: الصراع بين الآلهة، والصراع بين الإنسان والإله، والصراع بين الإنسان والطبيعة، والصراع بين قوى الشر وقوى الخير، إضافة إلى الفراغ الروحي الناتج عن النزعة المادية التي تميزت بها الحضارة الغربية المعاصرة..

**مايكل:** أنت تتكلم وكأنك تمتلك وصفة سحرية بديلة يمكنك تقديمها للإنسان.

**راشد:** الأمر عند المسلم صحيح الإيمان ليس بهذا التمزق والحيرة؛ يعرف المسلم ـ أي مسلم ـ من خلال إسلامه: من أين أتى، وإلى أين مصيره، وما حقيقة الدنيا التي يعيش فيها، وما غاية هذه الحياة، وما قدرها، وما وظيفته الإنسانية فيها؟

**مايكل:** ما زال تساؤلي قائمًا، بل لقد زدت عليه تساؤلات كثيرة، ما هو تصور الإسلام للإجابة على هذه التساؤلات؟

**راشد:** المسلم يحس أنه في توافق وانسجام مع الكون وعناصره، وأن هذه الأشياء تشترك مع العبد الصالح في الخضوع لله تعالى وتسبيحه، إن بصورة اختيارية وكيفية واضحة كما في عالمنا البشري، أو بصورة فطرية وكيفية غير معلومة لنا.. لقد تكرر في القرآن ذكر أن «من في الكون يسبح الله» أكثر من ثلاثين مرة بلفظ (التسبيح)، وتكرر هذا المعنى بغير لفظ (التسبيح) مرات أخرى كثيرة، وهكذا فإن المسلم الواعي يدرك أنه عضو في فريق إنشاد كوني يشدو بتسبيح الله تعالى، فهو في حالة انسجام مع الكون وعناصره وليس في حالة تنافر وصراع.

كما أنه يشعر بإلف للطبيعة وأنس معها، ويعدها صديقة وليست عدوة؛ فالقرآن يقرر أن ما في الكون مسخر للإنسان، جنس الإنسان، وهذا تقرر صراحة بهذا اللفظ أكثر من عشرين مرة في القرآن، وتكرر عدة مرات بألفاظ أخرى.

**مايكل:** وماذا من وراء ذلك؟.. ما الذي يترتب على ذلك؟

**راشد:** إذا نظرنا: ما الذي يريده الإنسان ليطمئن قلبه ويسكن، ويحقق سعادته ويعيش إنسانيته.. نجده يتمثل في خمس كلمات: الاستسلام، والخضوع، والطاعة، والإخلاص، والطمأنينة، وهذا ما يحققه عمليًّا انضواء الإنسان تحت مظلة العبودية التي تشمل الكون كله، ونلاحظ أن هذه الكلمات الخمس هي معنى الإسلام.

**مايكل:** أرجو أن توضح كلامك أكثر.

**راشد:** من أهم ثمرات ذلك التصور لعلاقة الإنسان بالكون: ما ينعكس على معتنقه من شعور داخلي بالسلام مع نفسه ومع ما حوله، ومعايشته مبدأ الوحدة، وهو ما يسهل عليه الانتقال من الوحدة في المشاعر إلى الوحدة في تنظيم السلوك، ويوجِد حالة من التوازن في حياته، توازن يراعي جميع الأبعاد الإنسانية؛ الروحية والعقلية والجسدية.

كما أن المسلم الذي يعلم أن الله الذي أخبرنا بأنه خلق لنا ما في الأرض جميعًا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]، يعلم أن الله لن يخلقها لنا ويسخرها لنا ثم لا تكن لنا بها أية علاقة أو صلة! فلا بد من إيضاح علاقة الإنسان بما سخره الله له، فإن كان الأمر كذلك فلا بد حينها من أن ينزل الله عز وجل من العلم ما يحكم به هذه العلاقة بين الإنسان وبين كل هذه الأشياء لأنه قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي يتصرف في هذا العالم بلا ضوابط وأمر ونهي، فإن كان ذلك كذلك فلا بد أن

يتعلم المسلم ويبحث في دينه ما يحقق العدالة الكونية والشرعية على الأرض.

والإسلام ينطلق من هذا الأساس ليقدم منهجًا شاملًا للحياة، فينظم للمسلم علاقته بربه، من عبادات وروحانيات، كما ينظم حياته في تعاملاته؛ كزواجه وطلاقه وبيعه وشرائه.. وعاداته كآداب الأكل والشرب والنوم واللباس ودخول المسكن والخروج منه، وحتى نظافته الشخصية.. وأيضًا ينظم علاقته بمجتمعه وعلاقته بدولته وعلاقته بالمجتمعات الأخرى، ليشمل جميع المجالات الحياتية الأساسية المختلفة من تشريع واقتصاد وسياسة وثقافة واجتماع.. فالإسلام ينطلق من ذلك ليشكل منظومة كاملة تشمل جميع جوانب الحياة وتنظمها.

دين كما يوجه للمسلم مشاعره، فإنه يشرع له قوانينه ويقيم له موازين العدل والقسط، يأمره بعمارة الأرض والسعي الدائم لاكتشاف آفاق الكون والأنفس... وكل ذلك ينطلق من إطار الارتباط بالله تعالى والخضوع لعبوديته، فعندما تكون هذه السلوكيات الحياتية المعتادة مرتبطة بمنهج الله؛ فإنها تتحول إلى عبوديات لله تعالى.

**مايكل:** ولكن ما ذكرته أثار تخوفاتي من الجنوح إلى الغلو والتشدد، أو قل بصراحة: من سيطرة الدين على الحياة.

**راشد:** لا بد أن نعرف أن لكل شيء نظام تنتظم فيه عناصره، فيكون لكل عنصر موقعه ومنفعته، وبربط هذه العناصر بشكل تكاملي تنتج منفعة هذا النظام ويتم تفعيله ويتحقق الهدف العام منه، وهذا ما سماه الله عز وجل بالميزان في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧-٩]. والميزان هو العدل، وهذا الميزان الذي هو العدل يكون في كل شيء، وكما أن هذا الكون قائم على الوزن والتقدير وعليهما يقوم النظام الكلي والجزئي، فإن هذا الدين المنزل من خالق هذا الكون قائم أيضًا على الميزان والعدل.

فالتوازن وعدم طغيان الحقوق على بعضها سمة عامة في الإسلام، يعبر عنها بالعدل والاعتدال والتوسط في سلوك الإنسان في نفسه وفي معاملته لغيره..

وتوسط الإنسان واعتداله في تصوره عن نفسه وحكمه عليها يَحْكُم في الغالب تصوره عن غيره وحكمه عليه، وفي معنى هذا التوسط والاعتدال ما وصف الله به الأبرار في دعائهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة:٢٠١]، وفي هذا المعنى الآيات الكريمات: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩].

**مايكل:** يؤرقني أيضًا أن الإنسان أصبح يمتص دم أخيه الإنسان، وتدهورت الأخلاق الإنسانية حتى أفضى بها الأمر إلى أن القوى التي كان وهبها الله للإنسان، عادت تصرف فيما يرجع على الإنسان بالشقاء والدمار والهلاك بدل أن تصرف في ما يرجع عليه بالسعادة والأمن والرفاهية... كيف ينظر الإسلام إلى هذه المشكلة؟

**راشد:** هذه دار العقاب التي أعدها الإنسان لنفسه بنفسه في هذه الدنيا، ليس لها من سبب سوى أن الإنسان عبثًا حاول أن يتولى تسيير جهاز لا علم له بتركيب أجزائه، إن هذا الجهاز الإنساني لا يعرف أسراره إلا الذي قد صنعه، وهو يعرف طبيعته، وهو الذي يعرف كيف يمكن أن يسير بتوافق وانسجام. أما الآن فإن كف الإنسان نفسه عن ارتكاب هذه الحماقة والتزم باتباع القانون الذي قد شرعه الذي صنع هذا الجهاز، فعسى أن يصلح من جديد ما قد فسد حتى الآن، وإلا فلا علاج لما هو فيه الآن من المصائب والمهالك ومهاوي الشقاء والخسران والويل والثبور.

**مايكل:** أنت تقصد أنه لا نجاة إلا باتباع منهج الإسلام، وإلا فإن البشرية ستعيش في شقاء؟!

**راشد:** هذا بدهي، على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، في الدنيا وفي الآخرة؛ فلا يوجد ما بإمكانه أن يضع حدًّا لجموح الإنسان وشراسته في هذه الدنيا، إلا شعوره بما عليه من التبعة والمسؤولية؛ فإن أيقن شخص في هذه الدنيا بأن له أن يفعل ما يشاء وليس هناك من يسأله عما يفعل ولا هناك قوة فوقه تعاقبه على ما يفعل، فلن يكون ثمة حد لجموحه وشراسته. وكما أن هذا صحيح فيما يتعلق بفرد، فإنه صحيح كذلك في ما يتعلق بأسرة أو أمة أو سكان الأرض جميعًا، إنه اختبار لنا جميعًا، اختبار الاعتراف بعبوديتنا وخضوعنا لخالقنا وملكنا.

أنا وأنت وكل هؤلاء الذين مكنهم الله في أرضه نواجه هذا الاختبار، وكلنا ممتحَنون في عقلنا ومروءتنا وشعورنا بالواجب ووفائنا، فعلى كل واحد منا أن يقرر: هل هو حقًّا وفيًّا أم خائنًا لملكه الحقيقي؟

أما أنا فقد قررت في نفسي أن أتبع سبيل الطاعة والوفاء، وأنا خارج من طاعة كل من قد خرج من طاعة الله... إن هذا هو بر الأمان.

**مايكل:** لقد وصل القطار إلى محطته النهائية.. هيا بنا.

# شريعة ربانية



# شريعة ربانية

بعد التقائهم حسب الموعد المحدد طلب مايكل الكلمة أولًا، ثم قال:

لقد قرأت اليوم كتابًا مثيرًا لأحد المتخصصين في الدراسات الشرقية، يذكر فيه أمورًا عديدة عن التشريع الإسلامي، أحب أن أناقشها معكما.

**راجيف:** موضوع في غاية الأهمية.

**راشد:** إذا أمكن أن تذكر هذه الأمور واحدًا واحدًا حتى نستطيع مناقشتها.

**مايكل:** جيد، سأذكر أكثر ما أثار انتباهي، ولا مانع إذا طرأ عند راجيف تساؤل في هذا الموضوع أن يطرحه أيضًا بغير التقيد بما جاء في الكتاب.

**راشد:** تفضل.

**مايكل:** ذكر الكتاب أن الشريعة الإسلامية مقتبسة من القانون الروماني، وأن بعض التفاصيل متشابهة بينهما.

**راشد:** اسمحا لي أن أقول لكما إن هذا الكلام قديم لا يقول به معظم المستشرقين اليوم، وقد قابلت بنفسي أحد كبار المستشرقين الروس المتخصصين في القانون والشريعة الإسلامية، اسمه ليونيد سوكيانن، وقال بالنص: «ليس هنالك الآن من الباحثين الغربيين من يلتزم بفكرة أن التشريع الإسلامي أُخذ من القانون الروماني، هذا كان في القرن التاسع عشر، كانت الفكرة موجودة عند بعض الباحثين الغربيين؛ الآن الفكر القانوني الغربي يعترف بدون أي قيود ولا شروط أن التشريع الإسلامي نظام قانوني مستقل، لم يتأثر بالقانون الروماني».

هذا أولًا، وثانيًا: إن مصدر التشريع الإسلامي يختلف تمامًا عن غيره من التشريعات، فكما ذكرت لكما مرارًا فإن الإسلام منظومة متكاملة، وبالنسبة للتشريع فإنه يرتبط بحق الخالق على خلقه في أن يكلفهم بتكاليف تحقق الغاية من خلقهم، وحقه في ألا يخرجوا عن طاعته باعتبارهم عبيدًا في مملكته، ولذلك فإن مصدر التشريع الأصيل في الإسلام هو الوحي المتمثل في القرآن والسنة النبوية، وجميعنا يعرف أن رسول الإسلام كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وطبيعي ألا تتوفر أي فرصة لمن في مثل ظروفه للاطلاع - فضلًا عن الاقتباس - من مصادر أخرى خاصة إذا كانت أجنبية عنه.

وهذا ما يقوله المستشرق دافيد دي سانتيلانا: «عبثًا نحاول أن نجد أصولًا واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأي على ذلك، إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا؛ لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلًا..».

أما ما قد ينشأ من تشابه بين أنظمة تشريعية فمرده إما إلى تشابه المشاكل البشرية ثم التشابه في إيجاد المعالجات لها الذي قد يحدث اتفاقًا إذا كان أساسه تقدير المصالح والمفاسد في بيئات متشابهة، أو في الأمورِ الفِطرية الإنسانيَّة، مثل قول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: «البَيِّنة على المدَّعي واليمين على من أنْكَر».

**مايكل:** ولكن يبقى احتمال اقتباس الشريعة الإسلامية من الشريعة اليهودية والقانون الكنسي، باعتبارهما ديانتين سماويتين سبقتا الإسلام.

**راشد:** سأجيبك بكلام رجل من أبرز المفكرين الغربيين المتخصصين في هذا الشأن، يقول المستشرق الألماني الأصل جوزيف شاخت: «تعتبر الشريعة الإسلامية مثالًا له مغزاه على نحو خاص لما يمكن أن يسمى قانونًا دينيًّا، بل إن التشريعين المقدسين الآخرين اللذين يُعَدَّان نماذج من القانون الديني، وهما أقرب ما يكونان إلى الشريعة الإسلامية من الناحيتين التاريخية والجغرافية - وهما الشريعة اليهودية والقانون الكنسي - يختلفان عن الشريعة الإسلامية اختلافًا ملموسًا؛ ذلك لأن الشريعة الإسلامية أكثر تنوعًا في صورتها مما في التشريعين المذكورين، لأنها جاءت نتيجة نظر وتدقيق من الناحية الدينية في موضوعات للقانون كانت بعيدة عن أن تتخذ صورة واحدة..».

بل إنه يقول عكس الاحتمال الذي تطرحه، يقول: «.. في الطرف المقابل من البحر المتوسط نجد التشريع الإسلامي قد أثّر تأثيرًا عميقًا في جميع فروع القانون.. وهناك تأثير التشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلامية.. وليس هناك شك في أن الفرعين الكبيرين للكنيسة المسيحية الشرقية وهما اليعاقبة والنسطوريون لم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي، وهذا الاقتباس كان في كل تلك الموضوعات التي يمكن أن يتصور المرء أنها تدخل في نظر القاضي المسلم..».

**راجيف:** إذن، لعلك تحدثنا عن الفروق بين الشريعة الإسلامية وغيرها من التشريعات.

راشد: يصعب أن أذكر لك الفروق، خاصة أنك لم تحدد تشريعًا معينًا يمكن المقارنة معه، ولكن من الممكن أن أذكر سمات الشريعة الإسلامية، وأنت تقارن بين هذه السمات وغيرها.

**راجيف:** لا بأس.

**راشد:** تتمثل أهم سمات الشريعة الإسلامية في كونها:

١) ربانية المصدر - كما ذكرتُ لكما-، وهي تستقي موادها من أصلين رئيسين، هما: القرآن الكريم، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، أما دور البشر فيتمثل في الاستنباط من هذه الشريعة وتقنينها، وإنزالها على الوقائع الحياتية، ومن ربانية مصدرها: أن أحكامها تهدف إلى ربط الناس بخالقهم.

٢) الجمع بين الثبات والمرونة، فثباتها يكمن في: أصولها وكلياتها وقطعياتها، التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تجري عليها التعديلات، بما يحفظها من الميوعة والذوبان في غيرها من الشرائع، ومرونتها تكمن في: فروعها وجزئياتها وظنياتها، بما يكسبها القدرة على توليد التشريعات حسب الحوادث، ويجعلها مستجيبة لكل مستجدات العصر.

٣) الشمول (زمانًا، مكانًا، إنسانًا، أحكامًا)، فزمانًا بمعنى أنها شريعة حاكمة في جميع العصور والأزمان، ومكانًا بمعنى صلاحيتها للتطبيق بدون أن تحدها حدود جغرافية، وإنسانًا بمعنى: أنها تخاطب جميع الناس بأحكامها، وأحكامًا بمعنى: أنها شاملة لكل شئون الحياة، حيث إنها تخاطب الإنسان في جميع مراحل حياته وجميع شؤونه، وتتعايش معه في جميع مراحله: جنينًا، وطفلًا، وشابًّا، وشيخًا، وتكرمه ميتًا، وتحكم جميع علاقات الإنسان بربه وبنفسه وبغيره.

٤) الواقعية، وتتجلى في مراعاتها واقع المكلفين عند تشريع الأحكام وفي التعامل معهم، كما أنها راعت كل جوانب الإنسان البدنية، والروحية، والعقلية، الفردية، والجماعية، ولم تهمل طاقة الأفراد والجماعات عند تطبيقها.

٥) الوسطية والاعتدال، ويتمثل في التزام أحكام الشريعة الإسلامية لنقاط الاتزان بين جميع المتقابلات، فهي وسط بينها، هذا ما يكسبها القوة والدوام؛ فمثلًا: فقد نصت الشريعة على التملك الفردي المنضبط وسطًا بين إلغائه كما في النظم الشيوعية وتحريره من كل القيود كما في النظم الرأسمالية، وحثت على الشجاعة وهي وسط بين الجبن والتهور، وأمرت بالإنفاق وهو وسط بين البخل والتبذير... وهكذا.

٦) الجمع بين الجزاء الدنيوي والأخروي، تتفق الشريعة مع الشرائع والنظم القانونية الأخرى في توقيع الجزاء على المخالف لأحكامها في الدنيا، وفي حين لا تمتد يد القانون الوضعي إلى معاقبة الإنسان في آخرته فإن الشريعة تتوعد مخالفيها بالعقاب في الآخرة، فهي تجمع بين الجزاءين معًا.

٧) مراعاتها المصالح وعدم مصادمتها للعلم في الأمور التي لها علاقة بذلك.

**مايكل:** أنت يا راشد تحاول دائمًا تحسين صورة دينك بلباقة ومهارة.

**راشد:** المسألة يا صديقي ليست مسألة تعصب لديني، وإلا فما قولك فيما يقوله الشاعر الألماني الكبير غوته: «إن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد»، هل كان غوته يقول ذلك أيضًا لأنه مسلم؟!

**راجيف:** النقطة الأخيرة من سمات الشريعة التي ذكرتها تحتاج لإيضاح!

**راشد:** سأضرب لك مثالًا على عدم مصادمة الشريعة للعلم: من الأمور التي تشتهر بها الشريعة الإسلامية إصرارها على طريقة معينة في ذبح الحيوانات التي تأكل، فضلًا عن حصر هذه الحيوانات في أنواع معينة، إضافة إلى شروط الذبح الأخرى، سأناقش هنا فقط طريقة الذبح.

الطريقة الإسلامية تقتضي ذبح الحيوان حيًّا من رقبته من الوريد إلى الوريد، مع عدم قطع رقبة الذبيحة (نخعها)[١] وهذا يحافظ على حركة العضلات بعد الذبح ويتيح للحيوان حرية الحركة، مما يساعد على التخلص من أكبر قدر ممكن من الدم (الإدماء الكامل)، أما في الطرق غير الإسلامية للذبح فيقتل الحيوان بدون التسمية أو ذكر الله[٢] وبطرق خاطئة كالخنق بالغاز أو الصعق بالكهرباء أو بإطلاق الرصاص، وهذه الطرق تفقد الحيوان القدرة على الحركة العضلية؛ مما يسبب احتقان الجسم بالدماء[٣] فيبقى الدم في جسد الحيوان، ليشكل مرتعًا خصبًا تنمو فيه الجراثيم المختلفة، وعندما يتحلل هذا الدم تنتج عنه مركبات سامة في جسم الإنسان، وإضافة إلى ذلك فإن هذه الطرق تجعل الحيوان يعاني الألم.

ولكن دعني أضيف لك إضافة لطيفة، وهي اشتراط التسمية على الذبيحة، رغم عدم الحاجة إلى ذلك عند النظرة الأولية أو النظرة المادية التي لا تهتم بغير القضاء على الحيوان لتحويله إلى طعام، ولكن في الإسلام فإن كل شيء مرتبط بتوحيد الله عز وجل، والتشريع مرتبط بالمنظومة الكاملة للدين حسب الإجابات على الأسئلة الكبرى (الله- الكون- الإنسان- المصير)، وفي هذه الحالة فإن الإنسان بصفته مخلوقًا من مخلوقات الله ليس له الاعتداء على مخلوق آخر وإزهاق

روحه إلا بإذن خالق هذه الروح، حتى عندما يكون ذلك لإقامة حياته، ومن هنا فإن التسمية عند الذبح هي إيذان بإعلان سيادة الله تعالى، وأن هذا التصرف من قبل المسلم لم يكن إلا بإذن خالقه الذي أحل له هذا الفعل، وأن المسلم في غاية الانقياد له سبحانه.

**مايكل:** أعترف لك أن التعرف على الشريعة الإسلامية وفهم كنهها وأسرارها يحتاج إلى دراسة واطلاع متعمق.

# الحقائق الحضارية



# الحقائق الحضارية

استهل راجيف اللقاء مع أصدقائه بعرض بعض الصور التي التقطها حديثًا، موضحًا:

هذه صور التقطتها أثناء زيارتي لتركيا بدعوة أحد أصدقائي، لقد أدهشني ما رأيته من آثار ومظاهر حضارية في هذا البلد العريق، فاجأني صديقي بمعلومات عن مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاده، وجعلني استرجع معه ما شاهدته في بلادي الهند.

**مايكل:** ولكني لديّ معلومات أخرى بشأن الحضارة الإسلامية تمثل وجهًا آخر للحضارة الإسلامية.

**راشد:** أرى أن نحدد أولًا مفهوم الحضارة، ثم نقيِّم إذا أردنا الحضارة الإسلامية.

**مايكل:** أظن أننا متفقون على هذا المفهوم!

**راشد:** لا بأس، نحدده أولًا، وإذا كنا بالفعل متفقين عليه انطلقنا منه.

**مايكل:** الحضارة هي نتاج النشاط البشري والإنساني (المادي والفكري) الذي يعبر به مجتمع ما عن إبداعاته وتقدمه خلال وقت محدد.

**راجيف:** أضيف تفصيلًا قليلًا على كلام مايكل، وهو أن الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون.

وترتكز الحضارة على البحث العلمي والفني التشكيلي بالدرجة الأولى، فالجانب العلمي يتمثل في الابتكارات التقنية وعلم الاجتماع.. أما الجانب الفني التشكيلي فهو يتمثل في الفنون المعمارية والمنحوتات وبعض الفنون التي تساهم في الرقي، فالفن والعلم هما عنصران متكاملان يقودان أي حضارة.

**راشد:** أريد أن أعلق أولًا على كلام صديقي مايكل؛ فإذا اعتمدنا هذا المفهوم الذي ذكره فإنه لا بد من ملاحظة أن الحضارة نشاط إنساني في المقام الأول، وينتج عن هذه الملحوظة أنه لا بد من النظر في أبعاد المكونات الإنسانية جميعها بغير إغفال لشيء منها، وإلا عُدَّت حضارة ناقصة، أو لا توصف بأنها حضارة أصلًا.. هذه واحدة.

وثانية: أن مظاهر الحضارة قد تختلف من مجتمع إنساني لآخر، بوصفها انعكاسًا للقيم التي يتأسس عليها هذا المجتمع، ومن ثم: يكون النظر في صحة هذه القيم أو خطئها وتوافقها مع إنسانية الإنسان وتناسقها مع بيئته معيارًا لصلاح حضارة ما أو فسادها.. وهذا ما سيظهر لنا البون الشاسع بين الحضارات المختلفة والمأساة التي تعيشها البشرية في ظل الحضارة الغربية خاصة المعاصرة.

**مايكل:** أرى أن السيد راشد يتهرب من مناقشة الجوانب المظلمة في الحضارة الإسلامية، التي كنا سنتعرض لها.

**راجيف:** لعل هذا الكلام يدعونا إلى مطالبة راشد بذكر خصائص الحضارة الإسلامية، وأوجه اختلافها عن الحضارات الأخرى.

**راشد:** حسنًا، الحضارة الإسلامية تقوم على التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، وسأذكر لكما أهم خصائصها، ولكن اسمحا لي أن أضيف أيضًا مقابلة هذه الخصائص بنظائرها في الحضارة الغربية المعاصرة.

تتمثل أهم خصائص الحضارة الإسلامية في أن:

- الإنسان في التصور الإسلامي- الذي تقوم عليه هذه الحضارة- مخلوق مربوب، ومستخلف في هذه الأرض، ومؤتمن على منهج الله تعالى، حرٌّ مختارٌ، وعليه: فإنه مأمور بالعمل الصالح المبني على هذا المنهج، وهو كذلك مسؤول عن تصرفاته الإرادية في هذه الحياة وفي الآخرة.

أما نظرة الحضارة الغربية المعاصرة للإنسان فهو أنه سيد الكون، حرٌّ طليق لا يقيده شيء إلا فيما يحدده هو من منطلق سيادته لنفسه وللكون، تدور اهتماماته حول شهواته وملذاته، وهي اهتمامات تشترك فيها الحيوانات الأخرى معه، والحضارة الغربية ترى أن الإنسان خلق عبثًا ولا حساب عليه إلا في إطار ما حدده هو، كما أن أهداف الإنسان كلها في الحضارة الغربية دونية دنيوية.

- الكون في التصور الإسلامي مخلوق مربوب أيضًا كالإنسان، ولكنه مسخر لخدمة الإنسان، ومن ثمَّ يتناغم الإنسان المتبع منهج الله مع هذا الكون ويتكامل معه ويحس بالسلام معه.

أما نظرة الحضارة الغربية للكون فمحورها أن هناك صراعًا بين الإنسان والكون، وليس تناغمًا، ومن ثم: فالمعركة حامية الوطيس بينهما.

- الحياة في التصور الإسلامي ملكٌ لخالق الإنسان والكون، وهي محطة في مسيرة حياة أكبر من التي نشاهدها؛ فهناك حياة دنيا تنتهي بموت جميع البشر، وهناك حياة أخرى تنتظرنا بعد الموت، والإنسان مأمور بعمارة الحياة الدنيا بما يرضي الله تعالى خالق الإنسان والكون والحياة؛ فهي مزرعة للآخرة، وهناك حساب وجزاء على تصرفات الإنسان في حياته الدنيا.

أما الحضارة الغربية، فهي تنظر للحياة على أنها الدنيا فقط، ولا تؤمن بآخرة ولا بحساب ولا جزاء، ومن ثمَّ: تتمثل فرصة الإنسان في هذه الحياة فقط.

ومن كل ذلك نستنتج أنه يستحيل أن تلتقي الحضارة الغربية مع الحضارة الإسلامية في التصور، فهما على طرفي نقيض.

**مايكل:** ولكن اسمح لي سيد راشد أن أبدي ملحوظتين على كلامك:

الأولى: أنك أغفلت جانبًا مهمًّا في الحضارة الغربية وهو الدين المسيحي وأيضًا اليهودي، فأنت مثلًا تقول إن نظرة الحضارة الغربية إلى الحياة أنها لا تؤمن بآخرة ولا حساب ولا جزاء، وهذا غير صحيح؛ فالديانتان تؤمنان بالآخرة وإن كانت تفاصيل هذا الإيمان تختلف من ديانة إلى أخرى.

الثانية: أن كلامك هذا يعد حديثًا عن الأسس التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية مع مقارنتها بالحضارة الغربية، ولم تتطرق إلى الخصائص التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية كما طالبك صديقنا راجيف.

**راشد:** الملحوظة الأولى اختلف معك فيها؛ فهناك فرق بين الأسس التي تقوم عليها الحضارة ومكونات المجتمع الذي أبدع هذه الحضارة، لا شك أن هناك تأثيرًا للمسيحية واليهودية في الحضارة الغربية، ولكننا لا نستطيع إطلاقًا الزعم بأن الحضارة الغربية قامت على أساس من هذين الدينين، بل نستطيع التأكيد على عكس ذلك تمامًا، وهي أنها قامت على مناقضة الدين عامة وسيطرة الكنيسة خاصة، أي: العقلانية المجردة والدنيوية المحضة، وهو ما تبلور في العلمانية التي تعني فصل الدين عن الحياة، وأظن أنكما تتفقان معي في ذلك.

أما الملحوظة الثانية فأتفق معك فيها، ولكني أضيف أن من هذه الأسس تُستخلَص خصائص الحضارة الإسلامية، وهي:

- أن الصناعة الثقيلة في الحضارة الإسلامية هي صناعة الإنسان، الهادفة إلى: مراعاة مكوناته، وإشباع إنسانيته، وتحقيق تناغمه مع الكون، وبلوغ الغاية من خلقه.

- الارتباط والتمازج بين الدين والدنيا من جهة، وبين الدين والعقل والعلم من جهة أخرى، ونشأة السلوك والنشاط الحضاري على هذا الأساس.
- التوازن والانسجام في مصادر المعرفة الإنسانية؛ فكل الحقائق، المتصلة بالمادة والمتصلة بما وراءها، هي في متناول الإنسان؛ يستطيع أن يتوصل إليها بمداركه العديدة المدرَّجة، المستند بعضها إلى بعض.. فالمدركات الغريزية وراءها المدركات الحسية، ثم المدركات الحسية وراءها المدركات العقلية، ثم المدركات العقلية تؤدي إلى المقدمات المفضية إلى تلقي المدركات الغيبية الآتية عن طريق الوحي وإلى التسليم بها والإذعان لها.
- الانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى تأثرًا وتأثيرًا، بما يعني هضم ما يتوافق مع أسس الحضارة الإسلامية من نتاج الأمم الأخرى، وفتح المجال لاستفادة الأمم الأخرى من نتاج وتجليات الحضارة الإسلامية.

**راجيف:** عفوًا سيد راشد، لقد قال مايكل إن لديه معلومات عن جانب غير مشرق للحضارة الإسلامية، استأذنك أن نستمع إليه لتكتمل الصورة.

**مايكل:** إن أهم ما في هذا الجانب أن الدولة التي أسست هذه الحضارة أقيمت بحد السيف، وأنها ارتبطت بالقوة والعنف.

**راشد:** إن السيف يا صديقي لا ينشئ حضارة؛ لأن أحد أهم شروط الحضارة: الاستقرار، وهو ما يتعارض مع حالة الحرب، كما أن الانتصار العسكري لا يعني بالضرورة انتصارًا في ميادين الفكر والثقافة والحضارة، ولك أن تتأمل تاريخ التتار والمغول وغيرهما من الأمم التي كانت لها قوة عسكرية كاسحة ولكنها لم تصنع بهذه القوة حضارة..

ولكن إن كنت تقصد مزاعم انتشار الإسلام وتوسعه بالجهاد، فإني أشير فقط إلى أن الإسلام انتشر وأقام حضارة في رقعة كبيرة من العالم لم تصلها الجيوش الإسلامية، وهذا الموضوع تفاصيله كثيرة، ولكني سأحيلك إلى شهادات بعض المفكرين الغربيين بهذا الخصوص؛ يقول المؤلف الأمريكي لوثروب ستودارد (Lothrop Stoddard)، صاحب كتاب (حاضر العالم الإسلامي): «.. العرب لم يكونوا قط أمة تحب إراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا، على الضدّ من ذلك، أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسّجايا، توّاقة إلى ارتشاف العلوم، محسنة في اعتبار نعم التهذيب، تلك النعم التي قد انتهت إليها من الحضارات السالفة، وإذ شاع بين الغالبين والمغلوبين التزاوج وتلقيح الأفكار، كان اختلاط بعضهم ببعض سريعًا، وعن هذا الاختلاط نشأت حضارة جديدة: الحضارة العربية».

ويقول المقدم في الجيش الفرنسي الكونت هنري دي كاستري: «.. إننا نعتقد أن استطلاع حال هذا الدين في العصر الحاضر لا يبقي أثرًا لما زعموه من أنه إنما انتشر بحدّ الحسام، ولو كان دين محمد صلى الله عليه وسلم انتشر بالعنف والإجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لا نزال نرى القرآن يبسط جناحيه في جميع أرجاء المسكونة..»

إنني لا أجد كلمة معبرة عن أثر الحضارة الإسلامية في تاريخ الإنسانية أصدق من عبارة المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون:

«لا نرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب؛ فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حينًا من الزمن..».

أخيرًا: لكما أن تنظرا كيف تبدو الحياة الإنسانية مهددة بتدمير الإنسان عن طريق تدمير خصائصه الإنسانية، في ظل الحضارة القائمة، الأمر الذى يجعل قيام المجتمع الإسلامي ضرورة إنسانية، وحتمية فطرية.

# شمس المسلمين تشرق على الإنسانية



# شمس المسلمين تشرق على الإنسانية

بعد تبادلهم التحية، لاحظ راجيف وراشد حرص مايكل على بدء الحديث، فمازحه راشد قائلًا:

هيه مايكل، هل أعددت سهامًا نافذة هذا اللقاء، سأحاول الابتعاد عن مواجهة الشاشة توقيًا لسهامك!!

**مايكل:** لا لا، اطمئن.. يمكنك هذه المرة أن تحدق في شاشتك بلا قلق.. في الحقيقة، لقد حفزني الحوار الماضي على التنقيب الثقافي ومحاولة التعرف على مساهمة المسلمين في التقدم الإنساني، فوجدت هذا الفيلم التسجيلي الذي بعنوان «ألف اختراع واختراع ومكتبة الأسرار»، زمن الفيلم قصير يستغرق ١٣ دقيقة فقط، ولكنه ممتع وشيق في هذا الموضوع.. يصف كيف ساهمت الحضارة الاسلامية في التطور الحديث للبشرية، وقد فاز هذا الفيلم بأكثر من عشرين جائزة عالمية.

يتبنى الفيلم أسلوب القصة القصيرة، حيث يرشد أمين مكتبة بعض اليافعين أثناء زيارتهم لإحدى المكتبات في رحلتهم المدرسية، وخلال هذه الزيارة يستكشفون الحقبة المسماة بالعصور المظلمة، ويقوم أسطورة الشاشة «سير بِن كينغزلي» بدور أمين المكتبة، الذي يتقمص لاحقًا دور العالم المسلم الجزري، الذي يقدم للفتيان بعض شخصيات العلماء المسلمين الذين عاشوا في هذا الزمن، فيعرّفهم بالثروة العظيمة من المخترعات والإبداعات التي شهدها العالم الإسلامي في الحقبة التي امتدت من القرن السابع إلى القرن السابع عشر، التي تعد تاريخًا مثيرًا لم يعط حقه من التقدير.

**راشد:** وما ملخص الفيلم؟ وما يهدف إليه؟

**مايكل:** يهدف الفيلم إلى إثبات أن العامل الرئيس والحافز لولادة عصر النهضة في أوروبا كان ما شهده العالم الإسلامي من منجزات علمية وثقافية فتحت آفاقًا جديدة واسعة على أيدي علماء ومبدعين روّاد من مختلف الأديان، ويُلمِح الفيلم إلى أن هذا المفهوم حقيقة تاريخية ظلّت منسيّة إلى حد كبير.

**راجيف:** لقد زدتني شوقًا يا مايكل أن أتعرَّف على تفاصيل ما تقوله.

**مايكل:** هناك تفاصيل عديدة في هذا المضمار؛ منها: أن الجزري، أحد أعظم المهندسين والكيميائيين والمخترعين في التاريخ، اخترع ساعة الفيل التي أصبح ذكرها كالأساطير، كما اخترع آليات عديدة تستخدم في الآلات التي نستعملها في حياتنا اليومية في كل مكان على ظهر الأرض، إن أجهزة ميكانيكية تم إنتاجها حسب المواصفات القديمة تبين كيف أمكن استخدام طاقة الرياح والماء لإحداث ثورة في عالم الزراعة.. ومنها أيضًا: أن الطبيب الأندلسي الزهراوي اخترع مئات من الأدوات والتدابير الجراحية قبل أكثر من ألف سنة، وأن مخترعاته لا تزال اليوم تنقذ حياة المرضى في المستشفيات الحديثة، مع الأخذ في الاعتبار مراعاة التدابير الجراحية.. ومنها: أن الحسن بن الهيثم، أول مَن شرح كيف تعمل العين، وخلال الفيلم نشاهد أنموذجًا ضخمًا لآلة التصوير بالثقب الدقيق، كي نعرف كيف وضع ابن الهيثم أسس التصوير وعمل الأفلام.

**راجيف:** لقد أضفت معلومات قيمة يا سيد مايكل، ولكن لست وحدك الذي اهتم ونقَّب في هذا الموضوع، لقد بحثتُ أنا أيضًا فيه، ووقعتُ على كتاب مثير لكاتبة ألمانية اسمها زيجريد هونكه، بعنوان: «شمس الله تسطع على الغرب».

**مايكل:** وماذا وجدت فيه من جديد؟

**راجيف:** لقد لفت نظري إلى أشياء كثيرة لم أكن أتوقعها، هل تعلم أن كثيرًا من الكلمات الدارجة في اللغات الأوربية هي في الأصل كلمات عربية؟!

**مايكل:** غريب فعلًا! هل أنت جاد فيما تقول؟!

**راجيف:** بالفعل لا أمزح، خذ مثلًا: كلمة (Coffee) في الإنجليزية، وشبيهاتها في اللغات الأوروبية الأخرى، مأخوذة من الكلمة العربية (قهوة)، ومنها اشتقت الكلمة التي تدل على المكان الذي يحتسى فيه هذا المشروب.. وكلمة (Rice) مأخوذة من الكلمة العربية (أرز)، وكذلك كلمة (Sofa) هي كلمة (صُفَّة) بالعربية، التي تعني المقعد المظلل في جوار جامع.. بل إن كلمات كثيرة ذات مدلول علمي بحت وجدتها أيضًا، مطابقة للنطق العربي؛ ككلمة (Alcohol)..

لقد عرفني الكتاب بحقائق كثيرة كانت غائبة عني، لخصتها الكاتبة بقولها: «إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية، وإن الدَّيْن الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدًّا، وكان يجب على أوربا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة».

**راشد:** لقد شوقتني راجيف للتعرف على أكثر ما لفت انتباهك من هذه الحقائق التي قلت إنها كانت غائبة عنك.

**راجيف:** من ذلك مثلًا: أنني لم أكن أعلم أن أول من نفذ ببصره إلى أخطاء جالينوس ونقدها، ثم جاء بنظرية الدورة الدموية لم يكن سارفيتوس الإسباني ولا هارفي الإنجليزي، بل كان رجلًا عربيًّا أصيلًا من القرن الثالث عشر الميلادي، وهو ابن النفيس، الذي وصل إلى هذا الاكتشاف العظيم في تاريخ الإنسانية وتاريخ الطب قبل هارفي بأربعمائة عام وقبل سارفيتوس بثلاثمائة عام.. ولم أكن أعلم أن العالم العربي المسلم ابن الهيثم هو أول من صحح خطأ إقليدس وبطليموس، عندما ادعيا أن العين المجردة ترسل أشعة إلى الأشياء التي تريد رؤيتها، فجاء ابن الهيثم وأعلن أن هذا الادعاء خاطئ؛ لأنه ليس هناك أشعة تنطلق من العين ليتحقق النظر، بل إن شكل الأشياء المرئية هي التي تعكس الأشعة على العين فتبصرها هي بواسطة عدستها.. كما لم أكن أعلم أن العالم العربي المسلم البيروني هو الذي اكتشف دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها وليس كوبرنيكوس أو غيره كما يشاع.. كما ذكرت هذه المستشرقة المبهرة أن الطبيب المسلم الرازي يعده جميـع المؤرخين واحدًا من أعظم الأطباء في جميع العصور، حيث عُدَّت مقالته عن الجدري والحصبة أول عمل محكم في الأمراض المعدية، معبرة عن قدرة فذة في الملاحظة والتحليل التمريضي، واشتهرت في أوربا، لدرجة أنها طبعت أربعين مرة باللغة الإنجليزية منذ سنة ١٤٨٩ إلى ١٨٦٦م.. كما ذكرت أن العرب في هذه العصور التي تسمى في أوربا عصور الظلام كانوا يعرفون التخدير الطبي الذي ظُنّ أنه من مبتكرات العصر الحاضر، في حين أن الحقيقة تقول، والتاريخ يشهد: أن فن استعمال الإسفنجة المخدرة فن عربي بحت لم يُعرف قبلهم.. وهناك تفاصيل كثيرة يصعب ذكرها في حوار كهذا.

**راشد:** إن ما ذكرته يرد على دعاوى بعض من لا يعرفون حقائق التاريخ أو ينكرونها بأن العرب والمسلمين لم يضيفوا جديدًا للإنسانية، خاصة في العلوم التجريبية، في حين أن البشرية لم تعرف المنهج التجريبي إلا على يد المسلمين والعرب، واسمحا لي أن أنقل لكما بعض مقولات علماء الغرب في هذا المجال:

يقول المستشرق الفرنسي كلود كاهن: «... وإذا كان علماء المسلمين- رغم نزعتهم الفكرية- أقل قوة في التجريد من اليونان، لكنهم عوّضوا عن ذلك بميلهم الشديد إلى التجربة، ولقد بيَّن التقدم العلمي اللاحق أهمية هذا الميل؛ فالعلم الذي خلفه العرب هو علم مارسوه في حياتهم اليومية، ولهذا السبب ظل على قيد الحياة وقدّر له البقاء، وكان الرازي (وهو أحد كبار

العلماء) قد عبر تعبيرًا واضحًا جدًّا عن إمكانية استمرار التقدم العلمي، وذلك مبدأ غريب على معظم مفكري العصر الوسيط».. وتتساءل الباحثة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري: «... ألم يكن العرب أول من اصطنعوا الطرائق التجريبية قبل أن يعلن بيكون ضرورتها بزمن طويل؟! وتطور الكيمياء، وعلم الفلك، ونشر العلم الإغريقي، وتعزيز دراسة الطب، واكتشاف مختلف القوانين الفيزيائية، أليست هذه من مآثر العرب؟».. ويقول الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي وِل ديورانت: «.. إن العلوم العربية نمّت في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية، وهي أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره.. ولما أن أعلن روجر بيكون هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر [ابن حيان] بخمسمئة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من عرب الأندلس، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبسًا من نور المسلمين في الشرق».

وهذا يعد نذرًا يسيرًا مما يمكن أن يقال في مجال إبداعات الحضارة العربية الإسلامية التي قدمتها للإنسانية.

**مايكل:** هذه بالفعل إنجازات لا تنكر، ولكن لا يمكن أن نغفل أيضًا أن هذه الحضارة استفادت مما سبقها من حضارات كالحضارة اليونانية.

**راشد:** هذه يا صديقي طبيعة التقدم العلمي: أنه سلسلة متصلة من إنجازات البشر عمومًا، وهو ما يعرف بالدورات الحضارية، وهو ما يؤكده المستشرق الفرنسي ألدو مييلي: «... هذا العلم العربي يكوّن حلقة الاتصال والاستمرار بين الحضارة القديمة وبين العالم الجديد، وإذا نحن لم نواجه ذلك العلم العربي ولم نتفهمه فسنجد فراغًا يتعذر تفسيره بين الحضارات القديمة وبين حضارتنا الحديثة».

ويرى د. توبي هف بقسم تاريخ العلم بجامعة هارفارد صاحب كتاب (فجر العلم الحديث.. الإسلام- الصين- الغرب) أن انتقال المعرفة العلمية والفلسفية التي تراكمت واختزنت في الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب من خلال الجهود العظيمة للترجمة التي قام بها أوربيو العصور الوسطى، كان له أثر عظيم في مسار التطور الفكري الغربي.

ولكن دعني أقول: إن إنجازات الحضارة العربية الإسلامية تميزت بصفات لم تتصف بها أي حضارة أخرى، أهمها:

أن العِلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قط، بل كان الدين هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة.

وأن علوم المسلمين لم تكن أسرارًا، بل حرصوا على نشرها بين البشر بمختلف انتماءاتهم؛ فجامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوروبيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم..

إنني فخور بتلك الحضارة.

# الإنسان.. عندما يكون منبوذًا



# الإنسان.. عندما يكون منبوذًا

سبق راجيف وراشد مايكل في دخول غرفة الحوار، فدار بينهما حوار بدأه راجيف بقوله:

هناك أمر أحب أن نتحدث فيه ويهمني أن أطلع على تصور الإسلام فيه؛ لأن هناك علاقة بين هذا الأمر وهذا التصور.

**راشد:** تفضل، بكل ترحيب..

**راجيف:** يوجد في بلادي الهند طبقة كانت تسمى (المنبوذون)، ويطلق عليها الآن هاريجان، أو (أبناء الله)، وهذا الاسم أطلقه عليهم الزعيم التاريخي للهند المهاتما غاندي.. ورغم أن الحكومة الهندية حظرت في عام ١٩٤٩م استخدام كلمة «منبوذين»، إلا أن الواقع بل والدراسات أظهرت أن النبذ لا يزال موجودًا في المناطق الريفية والمدن الصغيرة من الهند.

**راشد:** ولكن ما هي مشكلة هذا النبذ؟

**راجيف:** إنها ليست مشكلة، إنها مأساة بمعنى الكلمة.. مأساة إنسانية تتجلى فيها إهدار حقوق الإنسان في أبشع صور الإهدار..

وهنا يلحق مايكل بصاحبيه، ويلقي عليهما التحية..

**راشد:** مرحبًا مايكل، لقد بدأ راجيف حديثه منذ قليل، تستطيع التعرف على الموضوع أثناء استكمال راجيف لحديثه.. تفضل راجيف..

**راجيف:** الأمر يعود إلى التقسيم الطبقي حسب الديانة الهندوسية، فأعلى هذه الطبقات هم: البراهمة، وبحسب اعتقادهم هم الذين خلقهم الإله براهما من فمه: ويكون منهم المعلم والكاهن والقاضي، يليهم: الكاشتر، وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه؛ يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع، يليهم: الويش، وهم الذين خلقهم الإله من فخذه، يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية، ويستقر في قاع الطبقات: الشودر، وهم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم مع الزنوج الأصليين يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة.

**راشد:** فهمتُ ما تقصده..

**راجيف:** عفوًا، لم تعرف بعد.

**مايكل:** هل هناك أسوأ من ذلك؟ وهل هذا التقسيم ما زال معمولًا به إلى الآن؟!

**راجيف:** نعم، لقد ذكرت لراشد أن معاملة المنبوذين وفق هذا التقسيم ما زالت قائمة خاصة في المناطق الريفية، وهناك ممارسات لا يمكن تخيل أنها لبشر تقع على هذه الطبقة؛ فقوانين منو الهندوسية التي وضعت في القرن الثالث قبل الميلاد مبنية على احتقار طبقة الشودر والمنبوذين؛ ومنها: أن أي شخص يعلم شودريا أمور الدين الهندوسي فسيذهب مع الشودري إلى جهنم.. وأن على المنبوذين أن يسكنوا خارج القرية، وألا يستعملوا الأواني غير المكسرة، ولا يحق لهم امتلاك شيء غير الكلاب والحمير، وألا يلبسوا إلا لباس الأموات، وأن يسيروا دائمًا حفاة، وأن تكون حلي نسائهم من الحديد، وأن تكون جميع علاقاتهم مقصورة عليهم، وألا يتزوجوا إلا فيما بينهم.. وتقول تلك القوانين- التي لا زالت تحكم المجتمع الهندوسي- إذا تحدث أحد الشودر في أمور الدين يصب الزيت المغلي في فمه!!.. بل الأدهى من ذلك أنه في القرى والأرياف لا يزال المنبوذون ممنوعين من الخروج من بيوتهم قبل التاسعة صباحًا وبعد الثالثة عصرًا؛ لأن ظلهم يكون طويلًا خلال هذه الساعات، والبراهمة يخشون أن يصيبهم ظل المنبوذين فينجسهم.. والبرهمي لا يستطيع تناول طعام أو شراب حتى يغتسل من نجاسة ظل المنبوذ!!..

**مايكل:** غير معقول! أهذا يحدث في عصرنا؟! وكم تبلغ نسبة هؤلاء في المجتمع الهندي؟

**راجيف:** المنبوذون يشكلون نسبة ٤٥٪ من مجموع سكان الهند، أي: ٨٠٪ من الهندوس، بينما الطبقات الهندوسية الثلاث الأخرى تشكل ١١٪ من الهندوس.

**راشد:** ولكنك قلت إن الحكومة الهندية حظرت منذ أواخر أربعينيات القرن الماضي استعمال وصف المنبوذين، وبالطبع يكون محظورًا هذه الممارسات، ولا بد أن ذلك يكون بقانون.

**راجيف:** هذا صحيح، ولكن المشكلة تكمن في أن عقدة العرق النقي والعرق غير النقي، والتفرقة بين البشر على هذا الأساس، تعد من أهم المبادئ الأساسية للديانة الهندوسية؛ حيث إنهم يعتبرون غير الهندوسي ومن لم يكن من الطبقات الثلاث العليا إنسانًا قذرًا وغير نظيف.

**راشد:** إنه نظام قائم على الظلم وامتهان آدمية الإنسان والتمييز على أسس لا يد للإنسان فيها، ولكن ما علاقة ذلك بما ذكرته من أن للمشكلة علاقة بتصور الإسلام؟

**راجيف:** علاقته أن معظم المنبوذين، خاصة قبل صدور الحظر الذي ذكرته، يتحولون إلى الإسلام دون غيره من الأديان، رغم أنهم كانوا يعيشون في ظل احتلال إنجليزي ديانة أصحابه المسيحية، ورغم وجود إرساليات كثيرة للتبشير بالدين المسيحي.

**راشد:** لعل ذلك راجع إلى ما لمسوه من احترام الإسلام للإنسان، فمن يتعرف على حقيقة الإسلام وحقوق الإنسان فيه، ومساواته بين الكبير والصغير والغني والفقير، والحريات التي منحها للبشر، لا بد أن ينقاد لهذا الدين ويدخل فيه.. وأتوقع أنهم لمسوا ذلك خلال معايشتهم للمسلمين.

**مايكل:** تريد إفهامنا أن الإسلام يحترم الحريات وحقوق الإسلام؟.. الحريات وحقوق الإنسان لم تعرف من خلال الأديان، بل أرساها فلاسفة ومفكرون غربيون، وانتزعتها الشعوب عبر كفاح طويل خاضوه ضد الظلم وانتهاك حقوقهم ومصادرة حرياتهم.. وهذه الحقوق لا توجد في الإسلام، أين حرية الاعتقاد وحق التحول عن الإسلام في الإسلام؟ أين حرية التعبير؟ أين حقوق المرأة؟.. لا تكن شدة إيمانك بدينك مدعاة لإخفاء الحقيقة..

**راشد:** لقد فتحت جبهة واسعة من المساجلة الفكرية يا صديقي.. ولكني ألاحظ أنك تتكلم بلهجة الواثق المنتصر، وكأن الغرب قد ارتقى إلى حالة النموذجية في حقوق الإنسان.. فإذا كان الغرب قد وصل إلى هذه الحالة، فبم تفسر الإدانات القضائية العديدة التي وقعت ضد أكثر من مفكر وكاتب ومؤرخ؛ لمجرد أنهم (عبروا عن رأيهم) بالتشكيك في محارق النازية لليهود (الهولوكست) نفيًا لوجودها أو تقليلًا من عدد ضحاياها، أليس هذا مصادرة لحق الوصول إلى المعلومات والبحث، ولحرية الفكر وحرية الرأي وحرية التعبير؟! وهل يستطيع أحد ممارسة حقه في تأسيس حزب جمهوري في بريطانيا الملكية، أو حزب نازي في ألمانيا؟.. بل، هل أستطيع أنا المسلم في بريطانيا أن أتزوج بشكل رسمي زوجة ثانية رغم أن ديني يعطيني الحق في ذلك؟ ألن تتدخل السلطات لمصادرة هذه الحقوق وتقييد هذه الحريات..

**مايكل:** هذه الحريات والحقوق تتعارض مع حقوق الإنسان أصلًا، لقد استقرت هذه الحقوق وانتظمت وصيغت في صورة قوانين وتشريعات يجب أن نلتزم بها جميعًا، فالتشكيك في المحرقة ينطوي على معاداة للسامية، وهي عنصرية تعمل على إشاعة الكراهية، كما أنها مضادة (للإخاء) و(المساواة)، وهي (ثوابت) و(مقدسات) لا يمكن الانحراف عنها حتى ولو قيدت حريات

أخرى، وهكذا الأمر في حظر تكوين الأحزاب التي ذكرتها في تلك البلاد، كما أن زواجك من أخرى لا يندرج تحت الحق في (حرية الاعتقاد)؛ إذ إنها خرجت عن إطار (العاطفة والضمير الشخصي)، ولأن في ذلك خرقًا للقانون وللعقد الاجتماعي وللنظام الذي ارتضاه معظم أفراد المجتمع الذي تعيش فيه، ولأن فيه تعديًا على حقوق أفراد آخرين (المرأة، حتى ولو كانت راضية)، ولكن في الوقت نفسه: يباح لك إذا أردت معاشرة نساء أخريات خارج إطار الزوجية، ما دام ذلك يتم برضاهن..

**راشد:** جميل جدًّا.. إذن: ما أعده أنا ظلمًا ومصادرة لحقي وحريتي تعده أنت ضبطًا وتنظيمًا لا ظلم فيه، وهذا بالضبط ما يفعله رجال الدين الهندوسي الذين ذكر صديقنا راجيف ممارساتهم التي استبشعناها جميعًا، أتظن أنهم يعدون ذلك اعتداءً على حقوق الآخرين؟.. بالطبع لا..

**راجيف:** وكأن كلامك يُفهم منه أنهم محقون في ممارساتهم وتمييزهم الطبقي المقيت.

**راشد:** مطلقًا.. ولكن مقصدي بيان أننا لا نستطيع فصل الحقوق والحريات عن المنظومة القِيَمِيَّة التي صدرت منها ولا عن الإطار التشريعي العام الذي يضبطها وينظمها، فإذا أردنا حقًّا مراجعة هذه الحقوق والحريات فلنمحص القيم والمبادئ التي قامت عليها وليس تطبيقاتها وممارسات أصحابها، فإذا اتفقنا على ذلك فإننا سنجد اختلافًا جوهريًّا بين النظرية الإسلامية والنظرية الغربية لا بد أن ينعكس على مجالات حقوق الإنسان والحريات.. وهذا الاختلاف يعود أساسًا إلى اختلاف النظرة إلى ماهية (الإنسان) وحقيقة (الحقوق) ومعنى (الحرية)، ضمن النظرة الكلية للإنسان والكون والحياة... وهذا ما حدث مع صديقي مايكل عندما أسقط مفاهيم (الدين) و(الإخاء) و(المساواة) حسب منظومة الفكر الغربي على الحقوق والحريات، وجعلها (ثوابت) و(مقدسات)، بينما هذه المفاهيم مختلفة في الإسلام.

أما إذا تحدثنا عن مبدأ حقوق الإنسان في الإسلام فإننا نجد أنها ارتقت إلى أن تكون ضرورات يكفلها المجتمع كله من منطلق الدين، فالإسلام قد وضع إطارًا للحقوق من الآداب العامة والرحمة وحسن الخلق، إضافة إلى منظومته القانونية، بل إن الحقوق في الإسلام لا تقتصر على الإنسان بل تتعداه إلى الحيوان.

**مايكل:** لم أكن أتصور أن للحيوان حقوقًا في دينكم.

**راشد:** لقد نهى الإسلام عن إيذاء الحيوان ما لم يُؤذِ إيذاء متحققًا أو متوقعًا، ونهى عن قتله للتسلي واللهو - كما يحدث عندما يُتخذ غرضًا للرماية أو المصارعة ـ، وأمر ألا يذبح إلا لمأكلة، وعندما يفعل المسلم ذلك فينبغي ألا يكون إلا بإذن خالقه وباسمه وبالطريقة التي شرعها، كما أن لذلك آدابًا تراعي (نفسية) الحيوان المذبوح، مما لا نجده في ذبح البشر للبشر عندما ينحرفون عن المنهج الإلهي؛ فلا تحد السكين أمامه، ولا يذبح آخر أمامه.. هل تظن أن دينًا يعطي للحيوان هذه الحقوق يهضم حق البشر؟!

**راجيف:** أرى أن الأمر يستحق تفصيلًا أكثر في لقاء آخر.

# حقوق الإنسان في الإسلام



# حقوق الإنسان في الإسلام

عندما فتح راشد حاسوبه ودخل على غرفة المحادثة وجد رسالة من مايكل تقول: «حضر نفسك للقاء القادم.. هناك مسائل مهمة علينا مناقشتها: التعامل مع الآخر، الكبت، حرية الفكر.. إلى اللقاء».

وجد راشد صاحبيه موجودين داخل الغرفة، فألقى عليهما التحية، ثم أردف قائلًا:

المسائل المتعلقة بحقوق الإنسان كثيرة وليست مقتصرة فقط على ما ذكرته صديقي مايكل، وهذا يدعوني إلى وضع إطار كلي نفهم من خلاله المسائل، مهما اختلفت أو تباعدت.

**مايكل:** ولا مانع من ضرب بعض الأمثلة؛ كالتي ذكرتها في رسالتي إليك؛ حتى يكون كلامنا عمليًّا يمكن تطبيقه.

**راشد:** بالطبع، لا مانع.

**راجيف:** لقد ذكرت في لقائنا السابق قاعدة يمكن الانطلاق منها، وهي أننا إذا أردنا حقًّا مراجعة هذه الحقوق والحريات فلنمحص القيم والمبادئ التي قامت عليها وليس تطبيقاتها وممارسات أصحابها.

**راشد:** صحيح.. فمفهوم قيم (الحريات) و(حقوق الإنسان) يصطبغ بالخلفية الفكرية التي خرجت منها هذه الحقوق، ويخضع للمنظومة القيمية العامة للمجتمع الذي نشأت فيه.. وهنا أسأل صديقي مايكل: هل لنا أن توضح الخلفية الفكرية والمنظومة القيمية الغربية التي قامت عليها حقوق الإنسان بالمفهوم الغربي؟

**مايكل:** يمكن القول: إن ملامح الإطار الفكري والفضاء القيمي الذي خرجت منه الحريات والحقوق في الغرب تتمثل في أن:

١ - العقل المجرد هو مرجعية هذا الحقوق والحريات، حتى وإن اقتبس هذا العقل بعض قيم الدين ـ كما في تأثر الليبرالية بالبروتستانتية ـ فإن العقل المجرد يبقى هو الحاكم على هذه القيم بالرفض أو القبول.

٢ - العلمانية (فصل الدين عن الحياة وعن الدولة) هي المنهجية التي تنتظم فيها هذه الحقوق والحريات.

٣ - (الحرية) و(المساواة) هما أعلى قيم المجتمع التي تخضع لها وتنتظم معها قيم المجتمع الأخرى، فهما (ثوابت) و(مقدسات) لا يمكن المساس بهما.

٤ - إعلاء قيمة (الفرد) ومصالحه، مع عدم إهمال دور المجتمع ومصالحه، بما يعود بالسعادة وتجويد حياة الفرد.

**راشد:** عرض واضح ومحدد، أشكرك عليه؛ إذن: واضح أن المرجعية في الغرب ـ بعد انقطاعه عن الكنيسة في مجالات الحياة ـ تحولت إلى العقل إضافة إلى الحس التجريبي، ومن هذه المرجعية انبثقت هذه الحقوق والحريات، وواضح أيضًا أن المنهجية التي تأسست عليها هذه الحقوق والحريات هي العلمانية.

ونستطيع القول أيضًا: إن (الحرية) و(المساواة) تتبوآن قمة ترتيب الهرم القيمي الذي استقر عليه الغرب بناءً على هذه المرجعية، وعليه: فتحقيق هاتين القيمتين - حسب المفهوم المستقر في الغرب - له الأولوية المطلقة التي ينبغي أن تخضع له، أو تتقيد به، أو تنتظم معه قيم المجتمع الأخرى، ومن هنا: أصبحت (الحرية) و(المساواة) على رأس (الثوابت) و(المقدسات) التي لا يمكن المساس بهما، والتي يمكن - أيضًا - التضحية بالقيم الأخرى والحقوق الأخرى من أجل المحافظة عليهما.

وهذا ما يختلف كلية عن الخلفية الإسلامية والمنظومة الإسلامية التي تحوي المفردات أو المصطلحات نفسها.

**راجيف:** حتى نستطيع المقارنة، وضح لنا الإطار الفكري والفضاء القيمي الذي يسبح فيه هذا المصطلح (حقوق الإنسان) في الإسلام.

**راشد:** في الإسلام و(المجتمع الإسلامي) منظومة مختلفة تمامًا:

١- فمقابل (العقل المجرد) و(الحس التجريبي) نجد في الإسلام أن (الوحي) هو المرجعية الأولى للقيم والمبادئ التي تنبثق منها الثوابت والمقدسات، مع عدم إهمال أهمية المرجعية المعرفية للعقل والحس في مجالاتهما.

٢- ومقابل (العلمانية) نجد في الإسلام أن (الشريعة) وانتظام الدين مع الدنيا هو المنهجية التي يقوم عليها المجتمع.

٣- ومقابل (الحرية) و(المساواة) نجد في الإسلام أن (العبودية) لله و(العدل) بين البشر (ليس بالضرورة أن يكون العدل هو المساواة كما يفهمها بعض البشر) يتربعان على قمة الهرم القيمي في المجتمع الإسلامي، وتحقيق هاتين القيمتين وعدم المساس بهما له الأولوية المطلقة التي ينبغي أن تخضع له أو تتقيد به أو تنتظم معه قيم المجتمع الأخرى بما فيها الحقوق والحريات.

٤- ومقابل (الفردية) نجد في الإسلام المسؤولية المتبادلة بين الفرد والمجتمع، والتآلف بينهما من غير جور أو تعدي أي منهما على الآخر.

**راجيف:** لعلنا نسقط هذين التصورين على بعض الحقوق المختلف عليها؛ لتتضح الصورة.

**مايكل:** نستطيع تحديد موضوع حرية الاعتقاد للمقارنة بين التصورين الإسلامي والغربي، بناءً على الخلفية القيمية لكل منظومة، التي تنبثق عنها حقوق الإنسان في كل منظومة من المنظومتين.

**راشد:** حرية الاعتقاد أو (حرية التدين) مجال خصب بالفعل للمقارنة؛ والموضوع راجع إلى اختلاف مفهوم (الدين) وعلاقته بالهرم القيمي في المنظومتين.

ففي الغرب يحق لأي شخص اعتناق أي دين أو أن يكون ملحدًا أو أن يغير دينه؛ لأن ذلك يدخل في إطار حق (حرية الاعتقاد)، وهو حق (شخصي/ فردي) لا يجوز التدخل فيه.

ولكننا في الوقت نفسه نرى أن المسلم في الغرب إذا افترضنا أنه يستطيع أن (يعتقد) ما يريد.. إلا أنه ليس له الحق أن يمارس بالحرية نفسها تطبيق ما يعتقده؛ أي إن الغرب يصادر حق المسلم في ممارسة حياته وفق دينه؛ فيمنعونه مثلًا في أكثر من دولة من الذبح الشرعي للذبائح، كما يحظر عليه التزوج بامرأة ثانية، وفي بعض البلدان يمنعون المرأة المسلمة من ارتداء الزي الذي تعتقد أن دينها يفرضه عليها، وهذه الممارسة يعدها المسلم جزءًا من دينه.. هل تستطيع تفسير ذلك؟

**مايكل:** لأن تلك الممارسة خرجت عن إطار (العاطفة والضمير الشخصي)، فكانت خارجة عن حقه في (حرية الاعتقاد)؛ ولأن في ذلك خرقًا للقانون وللعقد الاجتماعي وللنظام الذي ارتضاه معظم الأفراد، والذي يقضي بفصل الدين عن شؤون الحياة.

ولكني في الوقت نفسه أطمئنك أنه يباح لهذا المسلم قانونًا معاشرة نساء أخريات خارج إطار الزوجية، ما دام ذلك يتم برضاهن وليس على فراش الزوجية.

**راشد:** ولكن هذه الممارسة المباحة له قانونًا مخالفة لدينه الذي يعتقده وينتسب إليه!

بالطبع إني أفهم أنكم لا تعدون هذه القيود انتقاصًا للحقوق والحريات، لأنكم لا تجدون علاقة بين هذه الممارسات والدين أصلًا، بل تعدون هذه المصادرة والتضييق حماية لمكتسباتكم المدنية التي أصبحت ثوابت (مقدسة)، وضبطًا لها.

ومرد ذلك أن تصور (الاعتقاد، أو الدين) جاء منسجمًا مع النظرة العلمانية الغربية للدين التي تفصله عن الحياة؛ فالدين وفق هذه المنظومة لا علاقة له بنظام المجتمع، ولكنه عاطفة أو ضمير يكنه الشخص داخل نفسه فقط، وهو في ذلك ينبغي أن يكون منفصلًا تمامًا عن الممارسات الحياتية، كما سبق إيضاحك لها.

**راجيف:** الآن بدأت أفهم وجهة النظر الإسلامية.

**راشد:** في التصور الإسلامي فإن (حرية العقيدة) مكفولة (في إطار) مراعاة الثابت الأعلى لهذا المجتمع (العبودية والدينونة لله عز وجل)، وعلى ذلك: فالمجتمع الإسلامي يقبل أن ينضوي تحت مظلته كل من يعلن قبوله لسلطان الله عليه في الجملة، وينبذ كل من يعلن تمرده وخروجه على هذا السلطان، ومن هنا اتسع المجتمع الإسلامي لوجود التعدد الديني فيه، عندما قَبِلَ أن يتعايش فيه أفراد يعتنقون اليهودية والنصرانية، وترك لهم حرية تنظيم شؤونهم الشخصية، بينما لم يتسع لغيرهما من الديانات الوثنية أو الإلحاد، وذلك باعتبار أن اليهودية والنصرانية ديانتان ذواتا أصل سماوي ويعلنان انتسابهما إلى مظلة تلك العبودية والدينونة في الجملة.

ولكن الانحراف والتحريف الطارئ على تلك الديانتين وفق دين الإسلام - والذي يتصادم مع حقيقة (ثابت) العبودية لله - يجعل دائرة (حرية التعبير) أضيق في حقهما من دائرة (حرية الاعتقاد)، فلا يحق لهما الدعوة - أو التبشير ـ بدينهما، ولا إظهار شعائر عباداتهما ـ المعبرة عن انحرافهما ـ خارج دائرة معتنقيهما؛ فخروج (حرية التعبير) عن هذه الدائرة يخرق نظام المجتمع ويهدم الثابت الأساس والمقدس الأول في الهرم القيمي للمجتمع.

**مايكل:** وماذا عن منع الإسلام من تحول معتنقيه إلى دين آخر؟

**راشد:** هذه المسألة تتسق أيضًا مع ما ذكرته؛ فمسألة المرتد عن الإسلام تتعلق بالتصور عن (حرية الاعتقاد) وفق التصور الإسلامي؛ ففي حين أن الإسلام لا يعاقب من لم يدخل فيه ابتداء، ولا يُكره أحدًا على اعتناقه والدخول فيه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٦٥]، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦].. نجد أنه في الوقت نفسه يمنع و(يعاقب) من ينتقل

منه إلى غيره.

ونستطيع فهم موقف الإسلام من المرتد عنه، في ضوء أن ذلك الانتقال عنه يعد طعنًا في القيمة العليا والأساس الذي يقوم عليها المجتمع، أو بعبارة أخرى: إنه يعد ذلك إعلانًا بالطعن في صحة هذا الدين، أو في عدم حاجة الإنسان إليه، وذلك غير مقبول في مجتمع يستمد شرعيته ومرجعيته من اعتقاد صحة هذا الدين ومن الحاجة إليه.

وهذا بالضبط كما لو خرج في الغرب ـ مِن منطلق الحريات ـ مَن يطالب بهدم (ثابت) الحرية (المقدسة) وإسقاطه، تلقائيًّا سيكون الرد الفوري الجاهز من أنصار الحرية، هو رفع الشعار المعروف: (لا حرية لأعداء الحرية)؛ وذلك لأن هذا المطالِب سيستخدم الحرية لقتل الحرية، أي: لهدم القيمة العليا والأساس الذي قام عليه المجتمع.

**مايكل:** أشكرك يا راشد على هذا الإيضاح.. أنا سعيد بهذه الحوارات وأتمنى أن تستمر.

# لحظة من فضلك!!



# لحظة من فضلك!!

**مايكل:** لنا عشر دقائق وإلى الآن لم يظهر راشد.. شيء غريب!!

**راجيف:** صحيح، هذا يؤثر على ارتباطات ومواعيد أخرى..

وبعد قليل يدخل راشد الغرفة الحوارية، ويبادر بتحية صاحبيه، ثم يردفها بقوله:

معذرة على التأخر في الدخول، لقد عطلتني بعض المهام التي كنت أنجزها، ولم يكن مناسبًا إلغاؤها.

**مايكل:** اسمح لي يا سيد راشد بالقول: إن هذه سمة عامة معروفة عن الشعوب العربية والإسلامية، الوقت ليس له قيمة عندكم، معذرة إن كانت صراحتي قاسية.

**راشد:** كثير مما قلته صحيح، في الحقيقة نحن أسأنا لأنفسنا وأعطينا الآخرين فكرة سيئة عنا.. ولكنني فقط أصحح خطأ نسبة هذه السلوكيات الخاطئة إلى الإسلام.

**مايكل:** إذا لم تكن من الإسلام فممَ تكون؟! إني أرى أغلب الفاعلين لها من مواطني بلادكم.

**راشد:** هناك اختلافان مهمان بين شعوبنا وشعوبكم: الثقافة والبيئة.. والحقيقة أن البيئة وليس الإسلام هي المسؤولة عن سلوكيات مثل هذه.

**راجيف:** كيف ذلك، والمفترض أن الدين يشكل رافدًا مهمًّا للثقافة عندكم؟!

**راشد:** هذا صحيح، ولكن الحقيقة أن كثيرًا من المسلمين المعاصرين لا يلتزمون تعاليم دينهم، إما جهلًا منهم بهذه التعاليم، وإما تهاونًا، وعندما يخف أثر الدين والعقيدة على الإنسان فإنه يخضع لأثر البيئة المحيطة به.

**مايكل:** وما وجه أثر البيئة فيما نتحدث فيه؟

**راشد:** أوضح لك: أنتم مثلًا في بلادكم من قديم الزمان تعيشون في طقس قارس البرودة، وقوانين البقاء حتمت عليكم أن تتحسبوا لآثار هذا الطقس، فتدخروا أقواتكم لفصل الشتاء، وتجمعوا الحطب أو الوقود استعدادًا لمواجهة برودته.. وهكذا تحتم عليكم البيئة قبل التفكر والتنظيم انتهاج سلوكيات تتسم بالدقة والتحسب لعامل الزمن.

أما بلادنا فهي تقع في المنطقة المعتدلة أو المعتدلة الحارة، وهي تتميز باعتدال طقسها معظم فصول السنة، وكذلك وفرة محصولاتها وثرواتها، فكان أقل جهد وأقل تحسب وتنظيم كافيًا لاستمرار الحياة فيها؛ فأثر ذلك على سلوكيات السكان فيها، فمالوا إلى الدعة، أو قُل: الكسل والخمول - الذي يساعد عليه الطقس الحار-، ولم يشعروا بأن عدم الدقة والتحسب لعامل الزمن يؤثر على بقائهم.

**راجيف:** لا شك أن للبيئة تأثيرًا قويًّا على الإنسان، ومقاومة تأثيرها يحتاج لمؤثر أقوى منها، فهل لم يغير الإسلام هذا الأثر السلبي للبيئة لعدم اهتمامه بهذه الأمور، أم لعدم استطاعته؟

**راشد:** أما عدم استطاعته، فهذه لها عوامل كثيرة ليس محل نقاشها الآن، ولكن عمومًا يمكن القول إن الإسلام استطاع تنظيم المجتمعات التي اتخذته مرجعية لها، كما نظم حياة الملتزمين به في أي وقت كان، وهناك نماذج مضيئة في هذا المجال.

**مايكل:** هل تذكر لنا بعضًا من هذه النماذج؟

**راشد:** هناك نماذج عديدة، منها:

يحكي عمارة بن خزيمة بن ثابت أنه سمع الخليفة عمر بن الخطاب يقول لأبيه خزيمة: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدًا، فقال له عمر: أعزِم عليك لتغرسنها فقال عمارة: فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي، وقال الصحابي عبد الله بن مسعود: «إني لأمقت الرجل أن أراه فارغًا، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة»، ويقول عبد الرحمن ابن الإمام أبي حاتم الرازي- حاكيًا حال والده-: «ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه».

**راجيف:** ولكن، هل رسخ الإسلام أهمية الوقت في تعاليمه، لتظل مرشدة لمن يتبعه في أي عصر؟

**راشد:** نعم، أعلى الإسلام من شأن الوقت وأهميته في الكتاب والسنة؛ فالناظر إلى القرآن وهدي نبي الإسلام وإلى سيرة الصحابة والتابعين.. لا يجد إلا الرفع من شأن الوقت واحترام المواعيد في جميع الأحوال، ومن مظاهر ذلك: أن الله سبحانه وتعالى أقسم في كتابه أكثر من مرة بوقت معين، فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١-٢]، وقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل:١-٢]، وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ [العصر:١]، وأشار إلى أن من آياته خلق الشمس والقمر لنعلم عدد السنين والحساب.

وقد طُبِّقَ ذلك في معظم العبادات الإسلامية؛ فالعبادات جميعها مرتبطة بالوقت، بداية ونهاية، بل إن الوقت المحدد لكل عبادة منها شرط من شروط صحتها وقبولها، لذلك أكدت شريعة الإسلام على هذا البعد المهم، وهو احترام الوقت والالتزام به كشرط لقبول تلك العبادات، فمثلًا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء:١٠٣]؛ فالصلاة التي هي عماد الدين تقسم النهار والليل الى أجزاء لها مواعيد ثابتة وعلامات واضحة، وكذلك باقي أركان الاسلام: الصوم له موعد سنوي، وخلاله ينتظم المسلم يوميًّا بمواعيد محددة وصارمة، وكذلك الزكاة ـ التي هي نظام اقتصادي اجتماعي ـ تخضع لتوقيت دقيق وتقدير محدد، والأمر نفسه نجده في الحج.

وللوقت في سنّة النبي ﷺ شواهد عديدة حيث اهتمت السنة النبوية به شأنها في ذلك شأن القرآن الكريم، فقد رفع الرسول ﷺ قدر الالتزام بالمواعيد، وذلك داخل في قوله: «المسلمون على شروطهم»؛ فتحديد موعد لاجتماع أو لقاء هو اشتراط كل فرد على نفسه الالتزام بالموعد، فإن خالف فقد خالف ما شرطه على نفسه، وقد جعل الرسول ﷺ إخلاف الوعد من صفات النفاق، فقال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»، فهذا الفرد المتأخر والمتخلف عن الموعد استهتارا واستهانة قد وعد وأخلف.

**مايكل:** ولكن الاهتمام بالوقت قيمة مشتركة بين جميع الثقافات والحضارات، فماذا أضاف الإسلام إلى هذه القيمة؟

**راشد:** أضاف الإسلام إلى قيمة استثمار الوقت وتنظيمه ثلاثة أبعاد رئيسة: الأول: هو المدى، فالوقت أثْمن وأنفس ما يَملكه الإنسان، فهو حياته، ولا يمكن تقديمه أو تأخيره أو زيادته، وهو إنْ ضاع لا أَمَلَ في عودته؛ فلذلك حث الإسلام على استثمار الوقت حتى آخر مدى ممكن، ألا وهو نهاية حياة الإنسان، بل ربطه بما بعد حياته حتى بعثه وحسابه يوم القيامة، كما أن الإسلام يحثّ المسلم على الاستفادة القصوى من الوقت حتى في أشد الظروف صعوبة؛ قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».

البعد الثاني، هو: الإلزام، فالإسلام جعل قيمة استثمار الوقت وتنظيمه نابعة من اعتبار أن هذا التنظيم والاستثمار ليس خيارًا للمسلم، بل إلزامًا له، وذلك من منطلق أن عمره – الذي هو المدى الزمني لعمله – ليس ملكًا خالصًا له، بل هو هبة من ربه لاستثماره فيما يرضي الرب على أحسن الوجوه؛ ومن هنا جعل الإسلام الوقت بمثابة رأس مال يحاسب الإنسان على كيفية إنفاقه واستثماره؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع

خصال: عن عمره فيمَ أفناه؟...»، وقال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»، وقال ﷺ أيضًا: «اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتَك قبل موتك، وصِحَّتَك قبل سقمك، وفراغَك قبل شغلك، وشبابَك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»، ولا شك أنه تزداد المحاسبة حين يزداد رأس المال؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]، وقال المصطفى ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ أخَّرَ أجله حتى بَلَّغَه ستين سنة»، وروي عن الحسن البصري (رحمه الله) أنه قال: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضك».. وهذا (البعض) يتبعض أيضًا إلى ساعات ودقائق وثوانٍ.. كلما ذهبت دقيقة أو ثانية ذهب بعضك؛ فالوقت هو الحياة.

البعد الثالث، هو: الباعث والجزاء لهذه القيمة، فالوقت من المتغيرات الخارجية، التي يصعب أن يكون لغير الشخص ذاته سُلطة عليها، أو قدرة على التحكم فيها، ولذلك جعل الإسلام الحوافِزَ الداخلية للفرد المسلم تسمُو وتفوق الحوافزَ والدوافع المادية، وهنا تأتي أهمية المراقبة الضميرية (الذاتية) باعتبارها عاملًا أساسيًّا لضبط الحدِّ الأدنى المقبول من العطاء، فالرقابة الذاتية في الإسلام تتمثل في الخوف من مُحاسبة الخالق، والطَّمع في ثوابه، وهذا يدعو المسلم إلى صرف الوقت فيما يُفيد الفرد وأمَّته.

**مايكل:** غريب هذا الدين!.. يتدخل في كل شيء في حياة الإنسان، ولا يترك للإنسان خيارات حتى في حياته الخاصة.

**راشد:** لا، هو يعطي مساحات للتنوع وللخيارات الإنسانية، ولكنه لا يترك مساحة لأن تزاحمه مناهج أخرى إلا من خلال منظومته، وهذا يتسق مع الرؤية الإسلامية للإنسان والكون والحياة التي أوضحت جوانب منها سابقًا.

فالإسلام ينظر إلى قيمة الوقت ليس فقط من زاوية الاستثمار المادي الذي يدخل في الجوانب الإدارية أو الاقتصادية، بل تسمو نظرته وتعلو عن ذلك بكثير، فالإنسان من وجهة النَّظر الإسلامية قبل أن يكونَ عاملًا او منتجًا في المجالات الدنيوية أو المادية، فهو مسلم مُنقاد، يَخاف عقابَ الله ويرجو ثوابَه، ويراقبه في كل أقواله وأفعاله؛ فاستثمار الوقت وتنظيمه في الإسلام لا تعني فكرةً مُجردة بحد ذاتها ترمي إلى استغلالِ الوقت، فيترتب عليها زيادةُ الرِّبحِ المادي والإنتاج فحسب، بل هي أكثرُ سُمُوًّا؛ إذ هي هدف روحي ينطلق من رهبة يوم القيامَة؛ يوم الحساب والعقاب.

**راجيف:** عندي كلام آخر يتعلق بسلوكيات بعض المسلمين، ولكني أفضل أن أؤجلها إلى لقاء لاحق.. إلى اللقاء.

# اسمح لي!!



# اسمح لي!!

قبل الموعد المحدد بين الأصدقاء الثلاثة كان راشد مستعدًّا على جهازه في انتظار راجيف ومايكل، بعد قليل ظهر الاثنان تباعًا، وبعد تبادل التحية بينهم تحدث راشد:

لقد ذكرت يا راجيف في حوارنا السابق أن لديك كلامًا آخر يتعلق بسلوكيات بعض المسلمين بخلاف موضوع الالتزام بالمواعيد.

**راجيف:** نعم، من الملاحظ أن عدم مراعاتكم أصول التعامل مع الآخرين لا يقتصر على المواعيد فقط، بل يمتد إلى جوانب أخرى من فن التعامل.

**راشد:** كيف ذلك؟ هل لاحظت سوء أدب أو تجاوز في تعاملاتي؟!

**راجيف:** لا لا.. عفوًا، لا أقصدك شخصيًّا، ولكن هذا هو الواقع الملموس بصفة عامة؛ فخلال زيارتي لأحد المطاعم شاهدت لوحة على مدخله مكتوب عليها: «ممنوع دخول الكلاب والعرب!»، ولما ساءتني اللوحة تكلمت مع صاحب المطعم، وسألته عن سبب هذه اللوحة.. صحيح أنه بدا على محياه وتصرفاته الكبر والصلف، ولكنه قدم أسبابًا وجيهة في تسويغ إقدامه على هذا التصرف، فقد قال: إن مطعمه راقٍ يأتي إليه الأمراء والوزراء وكبراء الناس.. وحدث أنه استقبل بعض الشباب العرب من قبل، ولكنهم تصرفوا تصرفات تسيء إلى المطعم ورواده:

- فمرة أخذ مجموعة من الشباب العرب يحركون الطاولات حسب رغبتهم رغمًا عن الموظفين؛ مما سبب فوضى وإزعاجًا في المطعم...

- ومرة دبت بينهم شجارات وأخذوا يتحاورون بصوت مرتفع جدًّا...

- وبعضهم كان يغمس أطراف أصابعه في الصحن بصورة منفرة؛ مما يثير اشمئزاز الآخرين.

- بل إن بعضهم حك ظهره بالشوكة أو السكين...

وقال: إنه فقد كثيرًا من الزبائن الكبار بسبب تصرفاتهم المشينة؛ فقرر وضع حد لهذا الأمر بمنع العرب من دخول مطعمه.

**راشد:** كثير مما قلته صحيح، ولكن كما ذكرت لكما سابقًا: نحن أسأنا لأنفسنا بتصرفاتنا وأعطينا الآخرين فكرة سيئة عن أنفسنا.. ولكني مرة أخرى أصحح خطأ نسبة هذه السلوكيات الخاطئة إلى الإسلام.

**مايكل:** لعلك ترجع هذه التصرفات أيضًا إلى تأثير البيئة؟!

**راشد:** بالفعل، لا أستطيع تجاهل تأثير البيئة، إضافة إلى التنشئة الخاطئة التي نشأ عليها أمثال هؤلاء الشباب.

**مايكل:** أنا أفهم تأثير التنشئة الخاطئة، ولكن لا أفهم تأثير البيئة في أمور كهذه!

**راشد:** أضرب لك مثالًا لإدراك هذا الأثر: أنتم مثلًا تعيشون في بلاد معروف بأنها تقع في المنطقة الباردة وشديدة البرودة من الكرة الأرضية، حيث يكون فصل الشتاء فيها طويلًا والبرودة فيه قارصة، ويكثر تساقط الأمطار والثلوج وهبوب الرياح الباردة، وهذا الطقس لا يستطيع الإنسان العيش فيه بدون التحسب لهذه الظروف واتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهتها، لذا: لا بد مثلًا من تخطيط المساكن والمنشآت بطريقة تراعي هذه الظروف، وعند التنفيذ لا بد من إتقان العمل وإحكامه، فمثلًا لا بد من صناعة الأسقف والمنافذ بدقة شديدة حتى لا يتسرب منها الماء أو الهواء البارد، ولا بد أيضًا من مراعاة هذه الظروف بإنشاء أنظمة تدفئة مناسبة والاستعداد لها بتوفير احتياجات الفصل من مواد التدفئة... وهذا كله يتحول إلى سلوكيات تتمثل في الدقة والانضباط والتخطيط.

بينما في بلادنا التي لا توجد فيها هذه الظروف المناخية القاسية، لا يحس الإنسان فيها بحاجته لهذه القيم السلوكية من أجل بقائه على قيد الحياة، فإذا تُرك لتأثير بيئته هذه ستصبح الفوضى سمة أنماط حياة كثير منهم، ولا تنس أن بيئتنا التي هي في معظمها صحراوية تحمل سمات الجفاف الذي قد ينتقل إلى جفاف المشاعر.

**راجيف:** فهل نترك إذن هذا الإنسان خاضعًا لبيئته، بلا تهذيب سلوكي ولا تنظيم لحياته، ونقدم له مسوغًا ليعيش فوضويًّا ولا يحسن التعامل مع الناس؟

**راشد:** ليس الأمر كذلك، ولكني أسرد هذا التعليل لمحاولة التعرف على السبب الحقيقي في هذه المظاهر التي نشاهدها.

**راجيف:** إذا كنا نجد اختلافًا بين الشعوب الغربية والشعوب الشرقية أو الإسلامية في البيئة المناخية، فإننا نجد أيضًا اختلافًا في الدين الذي يغلب عليها؛ فلماذا لا يكون الإسلام أيضًا سببًا في هذه المظاهر التي نتحدث عنها؟!

**راشد:** الإسلام نظم حياة المسلم ووقته؛ ليجعل عمله كله عبادة لله عز وجل بمفهوم العبادة الواسع الذي سبق أن أوضحته لكما؛ وقد لا يعلم كثيرون أن نظريات فن التعامل مع الآخرين (الإتيكيت) أغلبها يثبت أن هذا الفن يعود للدين الإسلامي الذي وصل إلى بلاد الأندلس عن طريق المسلمين، وبعد سقوطها أُخذ هذا العلم من المسلمين واهتمت به دول كثيرة منها فرنسا وإسبانيا وبريطانيا وطوروه وأضافوا له تفاصيل أخرى ونظموه، حتى وصل الينا بصورته الحالية.

**مايكل (ضاحكًا):** أنتم أيها المسلمون من فرط تعصبكم لدينكم تحبون أن تنسبوا أي شيء حسن إلى دينكم.. لن أقول لك اثبت لي هذا الادعاء، فأنا أعرف أن ذلك يحتاج إلى بحث مطول، ولكني فقط أطالبك بأن تثبت لي أن هذه القواعد موجودة في الإسلام.

**راشد:** لقد عدّل الإسلام سلوك الفرد وأخلاقه في جميع مناحي حياته، وهناك قواعد كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية يمكن أن تصنف في مجال فن التعامل (الإتيكيت).

**مايكل:** هذا كلام عام يا صديقي، أرجو تقديم أمثلة لما تقوله ليكون للكلام مصداقية.

**راشد:** سأضرب لكما بعض الأمثلة لإيضاح كلامي؛ لننظر مثلًا إلى تعامل رسول الإسلام مع الزوجة والأولاد:

إننا إذا رأينا رجلًا يفتح باب السيارة لزوجته قلنا عنه إنه رجل غاية في الرقة والذوق، ولكن الرسول كان يجلس على الأرض ويضع يده ويطلب من زوجته أن تقف على رجله وتركب الناقة.

وكان تعامل الرسول مع زوجاته وأطفاله وخَدَمه بكل رحمة وحلم وعفو عن الضعيف؛ ففي إحدى المرات كان الرسول ساجدًا على الأرض وهو يؤم المسلمين في الصلاة، فأتى أحد أحفاده الصغار وتعلق على ظهره، فلم يتحرك الرسول حتى نزل الصغير عن ظهره، مراعاة لهذا الطفل.

ودعا الإسلام إلى دماثة الخلق والتواضع، وقد اتصف رسول الإسلام بذلك؛ فرغم أنه صلى الله عليه وسلم كان نبيًّا معظمًا بين أصحابه وأنه ترأس الدولة الإسلامية، إلا أنه كان شديد التواضع، ومن شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم مع خدمه أنه كان يغسل ثيابه بنفسه، ولا يحمل من يخدمه فوق طاقته، وقد يعينهم إن طلب منهم شيئًا، وكانت له لفتات إنسانية حتى مع غير المسلمين؛ ففي إحدى المرات مرت جنازة يهودي بجانبه فوقف لها، وعندما تعجب من حوله من

ذلك أوضح لهم أن حرمة الموت لا تفرق بين البشر.

بل إن الإسلام ربط بين طريقة مشي الإنسان وسلوكه وأخلاقه، فالقرآن حدد القواعد الأخلاقية للمشي، وهي ألا ترفع رأسك كثيرًا أثناء المشي فتتعالى على الناس، ولا تخفضه وتكون منحنيًا فتظهر وكأنك ذليل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٨-١٩].

**راجيف:** وهل إذا قابلت صاحب المطعم هذا أستطيع أن أنقل له صورة مباينة لما رآه وشاهده من تصرفات هؤلاء الشباب؟

**راشد:** سأذكر لك بعض الآداب الإسلامية التي تتعلق بما ذكرته من ممارسات سيئة لهؤلاء الشباب وغيرهم في هذا المكان أو غيره:

من هذه الآداب: أن الإسلام أمر بإلقاء التحية على الآخرين، ورغب في إفشاء السلام في المجتمع، ونبه على أنها سبب للمحبة، وجعل رد التحية واجبًا دينيًّا وليس فقط أدبًا اجتماعيًّا، كما نهى عن السلام على الآكل إذا كان الطعام في فيه، وكذلك عن السلام على من كان في بداية النوم، ونبه إلى خفض الصوت إذا وُجِد أناس نيام.

نفَّر القرآن من رفع الصوت لغير ضرورة: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩]، بل وصف من يصيح بمناداة صاحبه خارج مسكنه بأنه لا يعقل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحُجُرات:٤]، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصرخ على أي شخص، ولم يعلُ صوته قط.

دعا الإسلام للنظافة باستمرار وفي كل مكان: في المجلس، في المأكل، في المنزل، خارج المنزل، ووضع آدابًا للأكل والشرب؛ وحيث لم تكن البشرية تعرف بعد أدواتٍ للأكل كالمعالق والشوك ولا تتوفر لها أطباق، نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأكل بأكثر من ثلاثة أصابع.. ونهى عن أن تطيح يد الآكل في القصعة، موجهًا بأن يأكل مما هو أقرب له، وألا يشرب الماء مرة واحدة بل على ثلاث مرات يتنفس بينها، وألا يشبع ويملأ بطنه من الطعام والشراب.. وراعى البعد الاجتماعي والعاطفي الذي يمكن أن ينشأ أثناء الأكل، فجعل الأكل بابًا للتآلف والمودة بين أفراد المجتمع، ورَغّب في الحديث أثناء الطعام مع الضيف؛ حتى لا يستوحش أو يخجل أثناء أكله، وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يطعم زوجته بيده، ويقول: «خير صدقة: لقمة يضعها

الرجل في فم زوجته»، وكان يشرب عليه الصلاة السلام من نفس مكان شفاه زوجته عائشة رضي الله عنها على الكوب.. وربط الإسلام بين الأكل والعبودية لله تعالى، فأمر بذكر اسم الله تعالى قبل الأكل، وحمده بعده.

**مايكل:** اسمح لي أن أقول لك يا راشد إن هناك فرقًا كبيرًا بين دينكم وسلوكياتكم، وأننا نحن أقرب إلى تعاليم دينكم في هذا المجال منكم.

**راشد:** للأسف، كلامك صحيح.

# خُلق القرآن



# خُلُق القرآن

استهل راجيف الحديث موجهًا كلامه إلى مايكل وراشد قائلًا:

إن حديثنا السابق عن سلوكيات بعض المسلمين يدفعنا إلى الحديث عن الأخلاق في الإسلام، ألا ترون أن هذا الموضوع جدير بالمناقشة؟

**مايكل:** نعم، أنا أتعجب من بعض المسلمين، حيث أراهم في جانب على درجة عالية من الأخلاق النبيلة، وفي جانب آخر أرى أخلاقًا لهم لا تتناسب مع الصورة الأولى.

**راشد:** هذا راجع إلى عاملين: منظورك أنت للأخلاق.. والعامل الثاني: مدى انتظامهم هم وتعبيرهم حقيقة عن منظومة أخلاقية معينة، فالأخلاق الشخصية يظهر فيها أيضًا أثر البيئة والتنشئة بوضوح إضافة إلى العامل الذاتي الوراثي.. وهذا ما أشار إليه رسول الإسلام وأثبتته التجارب والبحوث العلمية.

**راجيف:** ليتك توضح هذه الإشارة.

**راشد:** هذه الإشارة مستخلصة من حديثين للرسول صلى الله عليه وسلم: الأول، يخاطب فيه الرسول أحد أصحابه بقوله: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلم والأناة»، فقال له الصحابي: «يا رسول الله، أنا تخلَّقْتُهُما، أو جبلني الله عليهما؟»، فقال: «بل الله جبلك عليهما»[1] ففي هذا الحديث إثبات أن الحلم والأناة قد يتصف بهما الشخص جبلَّةً ضمن مكوناته الجينية، وفي حديث آخر يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه»، وفيه يثبت الرسول أن خلق الحلم (الذي كان في حالة الصحابي السابق وراثيًّا) يمكن اكتسابه.. وهذا بالطبع يكون عبر التربية التي تساهم فيها عملية التنشئة الاجتماعية.

**مايكل:** إن هذا يجرنا إلى مبحث فلسفي عميق وكثير التفاصيل، ولكن بغض النظر عن هذه الإشكالية الفلسفية، أود أولًا تقرير أن الشعور الخلقي في الإنسان شعور فطري، يحمله على حب بعض الصفات وكراهة أخرى، وهو، وإن كان متفاوتًا وعلى أقدار متنوعة في مختلف أفراد البشر، إلا أن الشعور العام للإنسانية، بقطع النظر عن الأفراد، لا يزال يحكم على بعض السجايا الخلقية بالحسن وعلى بعضها بالقبح في كل زمان؛ فالصدق والأمانة والعدالة والوفاء بالعهد مثلًا.. كل ذلك مما عدته الإنسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح في كل دور من الأدوار، ولم

تستحسن الإنسانية حتى الآن الكذب والظلم والغدر والخيانة.. وهكذا أمر المواساة والتراحم والسخاء وسعة الصدر والتسامح.

فهل نستطيع القول إن الإسلام يختلف في ذلك عن عموم البشر، وهل يستطيع أحد الزعم بأن الإسلام يمتلك منظومة أخلاقية مستقلة ومتميزة عن غيرها من المنظومات؟

**راشد:** مع تحفظي على تقرير الحقيقة التي ذكرتها، وتحفظي أيضًا على حقيقة مضمون الفضائل والنقائص الأخلاقية التي ذكرتها، فإني أضيف على كلامك: أنه رغم ذلك نشأت نظم أخلاقية مختلفة، ليس في الإسلام فقط، بل في جميع الأديان والنظم الاجتماعية الوضعية؛ لأنها اختلفت في تحديد معيار الحسن والقبح في الأخلاق ووسيلة العلم التي يعرف بها الخير من الشر، ولأنها لم تتفق في تقرير القوة النافذة التي تعمل عملها وراء القانون والمواظبة عليه، وسبب هذا الاختلاف اختلافها في التصور لهذا الكون ومنزلتها في نظامه الواسع وغاية الحياة الإنسانية فيه.

فمثلًا: إن كثيرًا من النظريات الأخلاقية تتخذ من الأنانية أساسًا لها؛ ففي عصر النهضة الأوربية قرر كل من هوبز واسبينوزا بطرق مختلفة أن حفظ بقاء الذات هو الخير، كما أن فرويد منذ كتاباته الأولى قدّم نظرية - ما زالت تشكل سلوكيات كثير من الغربيين - سيطر عليها تمامًا مفهومه عن إرضاء الذات self-gratification، بل لقد عدَّ هذا المفهوم أوليًّا بالقياس إلى غيره من المفاهيم النفسية، في حين نظر إلى الغيرية والإحسان بوصفهما ظاهرتين ثانويتين تستمدان كل ما لهما من تأثير من ارتباطهما بالصور المختلفة لإرضاء الذات.

وفي مقابل هذه الأخلاق الفردية تنهض الأخلاق التي تتخذ من الجماعة والمجتمع أساسًا لها، ويتبنى هذا النوع من الأخلاق نظريات تشدّد على أهمية الجماعة بدلًا من التشديد على أهمية الفرد.

**مايكل:** إذا قلنا إن الإسلام يمتلك بالفعل منظومة أخلاقية متميزة عن غيرها، فعلى أي أساس تقوم تلك المنظومة؟ وما هي سماتها وخصائصها؟

**راشد:** كما ذكرت في حوارات سابقة: إن الإسلام منهج حياة، حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها؛ فكما أنه منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة (الوجود)، ويحدد مكان (الإنسان) في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني.. فإنه أيضًا منهج يشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي، وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة البشر؛ كالنظام الأخلاقي والينبوع الذي ينبثق منه، والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها، والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسسه ومقوماته، والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته، والنظام الدولي وعلاقاته وارتباطاته..

وهذا ما يعبر عنه الدكتور م. ح. دُرّاني (Dr. M. H. Durrani)، الذي عمل قسًّا في كنيسة إنجلترا ردحًا من حياته، بقوله:

«الإسلام لديه النظام والقانون والأخلاق جميعًا، فالطقوس الدينية المفروضة على الأشخاص لها هدف خلقي.. فهي تهدف إلى تنظيم الفرد خلقيًّا وروحيًّا بطريقة معقولة، كما تهدف إلى تطهير عقله وتنقيته وكذلك تقويته كي يؤدي واجباته تجاه الآخرين الذين يعيشون معه؛ فالإسلام هو الدين الوحيد من حيث كونه نظريًّا وعمليًّا، لا يطلب من المرء أن يؤمن بمبادئ هامدة وأسرار غامضة كما هو الحال في الديانة النصرانية؛ إذ إن الإسلام يتقبل جوانب الحياة الروحية والمادية على حدّ سواء، ويضع كلًّا في موضعه اللائق به، ويقيم فلسفته على أساس أن تغطي كافة جوانب السلوك الإنساني».

**راجيف:** إذا عددنا هذا هو الأساس الذي تقوم عليه منظومة الإسلام الأخلاقية، فإن من المهم ذكر خصائص هذه المنظومة وأهم ما يميزها عن غيرها.

**راشد:** يمكن إجمال خصائص النظام الأخلاقي الإسلامي في:

الأساس العقدي: الذي يتمثل في أن: الإنسان مخلوق مربوب، وأن خالقه أعلم به وبما ينفعه، وأنه لم يتركه عبثًا، بل أرسل إليه رسله يبلغونه تعاليمه ويعرفونه منهجه، وأن هذا الإنسان سيبعث بعد الموت في حياة أخرى يحاسب فيها على ما قدم من خير أو شر في حياته الدنيا، وهذا خلاف الأخلاق في الغرب المعاصر التي انفصلت عن الدين مع انفصال العلم والحياة عن الكنيسة.

الثبات: فالأخلاق الإسلامية معبرة عن مبادئ وقيم ثابتة ومنبثقة من أسس وتصورات ثابتة للإنسان والحياة والكون، وهي موجهة إلى إنسان لا تتغير حقيقته ولا يتبدل جوهره عبر السنين، حتى وإن تغيرت حوله ظروف الحياة ووقائع الأحداث، فالصدق والأمانة والحلم ستبقى فضائل أبد الدهر، والكذب والنميمة والغيبة ستبقى رذائل أبد الدهر، والشذوذ شذوذ، سيبقى كذلك لا يغيره انتشاره بين الناس أو إباحة بعض الأنظمة له، مهما تغير نمط حياة الناس وتبدل.

المثالية مع الواقعية: إذا كانت الأخلاق الإسلامية يسمها بعض من لا يعرفها بأنها مثالية، إلا أن حقيقتها أنها مثالية واقعية تراعي واقع البشر وطاقاتهم، ويستطيع كل فرد أن يطبقها ويتواءم معها، فهي أخلاق تحافظ على حياة الفرد باعتباره كائنًا كريمًا، وتجعل حياته مستمرة دون مواجهة عثرات أو معوقات، أخلاق لا تتعارض مع الطبيعة البشرية ولا تنافيها، بل تتكامل معها وتتناسق؛ فالتصور الإسلامي يتضمن كلًا من الجانب التشريعي للحياة، الذي اهتمت به اليهودية، والجانب الروحاني الذى ركزت عليه المسيحية، وهذا ما يشير إليه الكاتب الهندي بيجي رودريك (Peggy Raderik) بقوله:

«إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجًا تامًّا بين المثالية والواقعية، فيستطيع الإنسان بفضلها أن يتعرف إلى الله، ويصبح ربانيًّا، بينما يكون منهمكًا في شؤون حياته اليومية..».

الالتزام: ويعني: تعهد الإنسان بالتمسك بهذه الأخلاق في مواجهة البشرية كلها، وذلك بناءً على كون الإنسان مكلفًا في هذه الحياة الدنيا، له رسالة ويحمل أمانة، وله حرية الإرادة التي تحكم أعماله وتكون مناط الجزاء، لذا: كان الالتزام الأخلاقي أبرز معالم المسؤولية الفردية.

المسؤولية: فلا يمكن أن يكون الإنسان صاحب خلق فاضل ما لم يتولد لديه شعور بالمسؤولية، والمسؤولية تعني هنا: إقرار المرء بما يصدر عنه من أفعال، وباستعداده تحمل النتائج المترتبة على التزاماته وقراراته واختياراته، إيجابًا أو سلبًا، أمام الله وأمام ضميره وأمام مجتمعه.

ويتعلق بالمسؤولية حدود المسؤولية، وهي في الإسلام مسؤولية شخصية فردية تقتصر على مصدر القرار أو الفعل، وهي أيضًا مسؤولية اجتماعية إذا اشترك في الفعل أو القرار أكثر من شخص، كما أن هناك مسؤولية متبادلة بين الفرد ومجتمعه، ولكن القاعدة: ألا يتحمل شخص تبعة أفعال أو قرارات شخص آخر.

تنمية الوازع الداخلي مع ربط الأخلاق بالنظام الاجتماعي العام: فالإنسان هو الذي يشكل عالمه الداخلي، ومن هذا العالم يتولد الوازع الحقيقي للالتزام الأخلاقي، وقد عمل الإسلام على تنمية هذا الوازع عبر تأكيده في كل حال على ما يعرف فيه بـ(النية)، وهي استحضار القصد الداخلي المحدد والمشروع والصالح للعمل الذي يعمله الإنسان، ولكن الإسلام يدرك أن الإنسان ليس كاملًا ولا معصومًا من الخطأ، وأنه تعتريه لحظات ضعف قد تناله وتؤثر على من حوله، لذا: لم يدع الإنسان وضميره الداخلي، بل دعم التزام الأفراد بالمبادئ الأخلاقية التي حددها من خلال تقريره لمجموعة من الزواجر والعقوبات الاجتماعية والتشريعية والأخروية لمن يخرج عن هذه المبادئ.

**راجيف:** حقيقة، نظام جدير بالتأمل والاحترام.

# الدولة الإسلامية..
# ضرورة بشرية



# الدولة الإسلامية.. ضرورة بشرية

عندما بدأ الأصدقاء الثلاثة لقاءهم لاحظ مايكل وراجيف وجود أصوات تشوش على صوت راشد، فلما استفسرا منه أخبرهما أن هذا صوت النشرة الإخبارية واستمهلهما دقائق حتى انتهائها.. بعد قليل سارع راشد إلى التحدث، قائلًا:

معذرة، لعلكما تعذراني وتدركان أهمية الاستماع إلى نشرات الأخبار هذه الأيام، على الأقل بالنسبة لي.. هل تتابعان ما يحدث في بلادي هذه الأيام؟

**راجيف:** نعم، إنها أخبار مثيرة، فالأحداث سريعة ومتلاحقة.

**مايكل:** لعل أبرز ما لفت نظري فيها هو صعود ما يسمى بالإسلاميين ومحاولتهم تحويل نظام الدولة إلى نظام إسلامي.. إنه أمر مزعج.

**راشد:** وما وجه الانزعاج في ذلك.

**مايكل:** لقد جربت البشرية الدولة الدينية وثبت إخفاقها، كانت تجربة مريرة؛ الدولة الدينية انتهت وانتهى عصرها منذ العصور الوسطى.

**راشد:** ولكن ماذا تقصد بالدولة الدينية؟

**مايكل:** هي الدولة التي تكون الطبقة الحاكمة فيها من رجال الدين الذين يزعمون أنهم يتكلمون باسم الإله.. إن من أبرز المخاطر في الدولة الدينية أنها تصادر الحق والحقيقة باسم الإله؛ وذلك راجع لأنهم يتكلمون باسم الإله؛ فيضفون على أنفسهم بمقتضى ذلك صفة العصمة والقداسة؛ ويترتب على ذلك زعم الحكام أن الاعتراض عليهم اعتراض على الله، وعليه: فلا محاسبة لهم ولا مساءلة.

**راشد:** للأسف هناك التباس ثقافي سبب هذا التصور الخاطئ عن الدولة الإسلامية، أنا أتفق معك في رفض هذه الصورة التي ذكرتها، وهي ما يطلق عليه (الثيوقراطية)، ولكن الثيوقراطية نظام حكم يستمد نفوذه وقوته (وليس فقط تشريعاته ونظمه) من الدين؛.. وإذا كانت أوروبا عانت من هذا الحكم على يد الكنيسة في العصور الوسطى، فإن الإسلام لم يعرف هذه الصورة ولم يقرها، فليس في الإسلام حكم رجال دين، ولكن فيه حكم دين على يد بشر يخطئون ويصيبون، ويحاسبون ويعاقبون، ويعزلون إن لزم الأمر، فالفارق الجوهري هنا أن الدولة الإسلامية

مرجعيتها الإسلام وتطبيقه على يد بشر لا يملكون قداسة، لا يوجد في الإسلام حاكم يزعم أنه يستمد شرعيته وسلطته من التفويض الإلهي له، بل لا بد من تفويض الأمة له في حكمها.

كما أن تجربة العالم الإسلامي في الدولة الإسلامية كانت تجربة ناجحة لدولة مزدهرة ومتقدمة في حينها؛ بعكس تجربة الدولة الدينية في أوروبا.

**راجيف:** عرفنا الفرق بين الدولة الإسلامية والدولة الدينية، فما هو الفرق بين الدولة الإسلامية والدولة غير الدينية؟

**راشد:** الفروق كبيرة وجوهرية، الذي يهمني هو أساس الاختلاف؛ الذي يكمن في الفرق بين التصور الإسلامي والتصور العلماني للكون والحياة والإنسان، فنظام الدولة في الإسلام ينبثق من التصور الإسلامي الذي يتسق فيه الدين مع الحياة، ويشكل منظومة متكاملة يعيشها المسلم، وتتكامل فيها أدوار الفرد والأمة والدولة.

ولكي ندرك ذلك علينا أن ندرك: ما هي مكانتنا الحقيقية في مملكة الله؟ فإذا كنا نقر أن الله هو الذي خلقنا، فمن الطبيعي ألا تكون لنا وظيفة سوى أن نتبع مرضاته، وإذا كنا نقر أن هذه الأرض وهذه السماوات ليست إلا مُلكه وحده، فينبغي أن نقر أنه لا يصح أن ينفذ في هذا الملك إلا إرادته، وإذا كنا نقر أن الله وحده هو الذي يربينا، وهو وحده الذي يرزقنا، فلا مكانة لنا سوى أن نكون عبيده.. وإذا كان الله هو حاكمنا وحاكم كل من في هذا العالم، فلا مكانة حقيقية لنا في هذه العالم سوى أن نكون على كامل طاعته والانقياد له.

**مايكل:** ولكن، ما الذي يدعونا إلى إعادة اجترار تجربة عليها محاذير وأقاويل، الإنسان يمكنه أن يقرر وحده كيف يعيش، وما الذي يحقق سعادته، وما الشكل المناسب لتنظيم حياته، ثم بعد ذلك لا مانع من أن يستدرك على نفسه ويطور تجاربه.

**راشد:** حقيقة المسألة هي: هل يصلح الإنسان ليكون أهلًا للسيادة أو التشريع أو مصدرًا للحكم؟ إننا نعرف أن أي جهاز من الأجهزة إذا تولى تشغيله رجل جاهل به فإنه لا بد أن يخربه.. فمثلًا إذا قاد رجل سيارة وهو لا يعرف فن القيادة، فإننا نعرف حتمًا عاقبة هذا الحمق، فلنتأمل: إذا كان هذا هو الحال لجهاز صغير من الحديد يستحيل تشغيله بدون معرفة صحيحة، فكيف يكون من الممكن بالنسبة للإنسان ذي الجوانب المركبة والمعقدة، والذي لمسائل حياته ومعاملاتها ما لا يحصى من النواحي، وفي كل ناحية ما لا يحصى من العقد والمعضلات، فكيف يكون من الممكن أن يقوم بتسيير جهاز الإنسان المرتبك المتداخل أناس لا يعرفون أنفسهم تمامًا

فضلًا عن أن يعرفوا غيرهم؟!

ومسألة أخرى: هي أنه لا سبيل لحصول العدالة إلا بألا يتولى وضع نظم الحياة الإنسانية إلا من كان أفراد الإنسانية كلهم متساوين في نظره، ولا يقرر الحقوق لهم جميعًا إلا من كان فوق كل غرض شخصي ولم يكن شغوفًا بأغراض فرد أو أسرة أو طبقة أو بلد أو أمة بصفة مخصوصة.. لا يمكن أن تقوم العدالة في الأرض إلا هكذا.

والإنسان لا يخلو من أغراض شخصية ومصالح ذاتية؛ فهذا الضعف البشري ملازم لكل إنسان؛ لننظر إلى الزعماء السياسيين والزعماء الدينيين من البراهمة والبابوات ومشايخ الطرق وأصحاب النفوذ والأموال، لنجد أنهم خصوا أنفسهم بحقوق امتيازية قسرًا، ومن هنا فإن كل ما وضع في الدنيا من القوانين والشرائع تحت نفوذهم وسلطانهم يعطيهم من الحقوق ما لا يعطيه لعامة الناس، ويقنِّنون ذلك ويُشَرْعِنُوه بشتى السبل، وبإعلامهم يوهمون الشعوب أن ذلك هو الوضع طبيعي، فهل من الممكن أن توضع أسس دولة عادلة ومجتمع متوازن في مجتمع يسيطر عليه أمثال هؤلاء؟!

لننظر إلى الدول العظمى التي استعبدت أممًا غيرها معتمدة على ما لديها من القوة؛ فأي قانون من قوانينها وأي نظام من نظمها لا تسري الأثرة في عروقه؟ فهل يُرجى من هؤلاء أن يضعوا للإنسانية نظمًا وتشريعات تقوم على مبادئ الحق والعدالة؟!

**راجيف:** ولكن يا سيد راشد ماذا تفعلون في دولة تعيش فيها أقليات دينية تعتنق أديانًا أخرى غير الإسلام.. نحن في الهند مثلًا ينتشر فيها مئات الأقليات الدينية، إنكم عندما تجعلون مرجعية الدولة هي الإسلام تضطرونهم لقبول دين غير دينهم.

**راشد:** حسنٌ أن ذكرتني بهذه المسألة، هناك ثلاث نقاط أحب أن أوضحها في هذا الخصوص:

الأولى: أني أتعجب كيف تعترضون على أن يعيش غير المسلم في ظل دولة مرجعيتها إسلامية رغم أن دينه لا يدعو إلى قيام دولته الخاصة على الأرض.. في حين تجبرون المسلم على طاعة أنظمة تخالف دينه وعلى قبول مرجعية تخالف عقيدته عندما يعيش في دولة علمانية، رغم أن دينه لا يسمح بذلك.

الثانية: أن اتخاذ الإسلام مرجعية للدولة لا يعني إجبار غير المسلمين على الإسلام، وهذا الاعتراض ناشئ من التصور العلماني للدين الذي يقصره على كونه اعتقادًا شخصيًّا ومشاعر وجدانية، بينما الإسلام لا يقتصر على ذلك؛ فالإسلام بالنسبة للمسلم شعائر وشريعة (أي: نظم وقوانين) ومرجعية حضارية، أما غير المسلم فيمكنه اتخاذ الإسلام مرجعيةً حضارية والخضوع لنظمه وقوانينه، دون الدخول في معتقداته وشعائره.. تمامًا كما تقولون بإمكانية تطبيق الليبرالية أو الاشتراكية في المجتمعات التي لم تنشأ فيها وعلى معتنقي مختلف الديانات والملل.

الثالثة: أن قيام الدولة على المرجعية الإسلامية لا يعني هضم حقوق الأقليات أو التدخل في أحكام دينهم الخاصة بهم، فالإسلام يضمن حقوق الأقليات، ولا يمانع من احتكامهم إلى أديانهم في شؤونهم الشخصية.

**مايكل:** ولكن نحن نعيش الآن في عصر غير العصر الذي ظهر فيه الإسلام وطبقت فيه تجربة دولته، وهذه الجهود لو نجحت تُعَد خطوة إلى الوراء.. خطوة رجعية!؛ أنتم بهذا تريدون أن نحجر على أفكارنا ونقف عند أوضاع لم تعد اليوم مقبولة ولا منطقية مع الحياة الجديدة.

أنتم مثلًا ما زلتم تصرّون على تحريم الربا، وهو ضرورة اقتصادية لا غنى عنها لأي دولة حديثة.

**راشد:** يا صديقي كلامك في هذا المثال وغيره من الأمثلة مبني على مسلَّمات غير حقيقية، ومنطلق من تصور محدد عن شكل الدولة والنظام العالمي هو الذي نعيشه بعد أن فرض نفسه بقوة الأمر الواقع، كما أنه يهمل الآثار السلبية الكثيرة التي اجترها على البشرية اقتران النظام الاقتصادي بالربا..

صحيح أن الإسلام يحرم الربا، ولكن ليس صحيحًا أن الربا ضرورة اقتصادية.

الربا ينادي به كبار الرأسماليين والمحتكرين في العالم، ويوهمون العالم بأنه ضرورة، وهو في الحقيقة ضرورة فقط في عالمهم الرأسمالي، ومع ذلك فكبار الاقتصاديين في الغرب الرأسمالي يندّدون بنظام الربا ويقولون إن نتيجته الحتمية على مر الأجيال هي وقوع الأزمات الاقتصادية والمالية، وما يتبعها من مشكلات اجتماعية؛ بسبب تركيز الثروة في أيدي فئة قليلة من الناس، وحرمان الجموع منها رويدًا رويدًا، ولنا أن ننظر في أزمة الديون العقارية الأخيرة وما تبعها من كوارث وأزمات عالمية، وقبلها أزمات عديدة أشهرها أزمة الكساد العالمي في ثلاثينيات القرن الماضي.. لندرك حجم المأساة.

وقد كان من معجزات النظام الإسلامي أنه حرم الربا والاحتكار – وهما دعامتا الرأسمالية – قبل ظهور الرأسمالية بما يقرب من ألف عام.. يا عزيزي إن الدولة الإسلامية ليست فقط ضرورة شرعية إسلامية، ولكنها أيضًا ضرورة بشرية.

https://www.path-2-happiness.com/ar

# رحلة الخلود



# رحلة الخلود

ألقى مايكل التحية على صديقيه فور دخوله غرفة المحادثة، فرد راجيف التحية، بينما رد راشد قائلًا:

انتظراني قليلًا.. أُجَهِّز لكما مشهدًا مثيرًا.. هل رأيتما مشهد وقوع موريسني لاعب فريق ليفورنو في مباراته مع نادي بيسكارا بالدوري الإيطالي.. لقد مات بسكتة قلبية بعد أن سقط على أرضية الملعب.. كانت صدمة للمشاهدين وهم يرونه يحتضر ويتوقف قلبه بعد أن كان يتقد نشاطًا.

**مايكل:** ولكن أعجب من هذه الواقعة: سقوط لاعب فريق بولتون موامبا خلال مباراته مع توتنهام في كأس الاتحاد الإنجليزي، لقد سقط اللاعب مغشيًا عليه مصابًا بسكتة قلبية، وجزم الجميع بموته، إلا أنه في حالة نادرة عاد قلبه إلى العمل بعد توقف لمدة ٧٨ دقيقة، وهذا ما عده الأطباء وفاة لمدة ٧٨ دقيقة، مما دعا طبيب الفريق توبين إلى التصريح متعجبًا: «إنه أمر لا يصدق، لم نكن نتوقع أن يتعافى موامبا بهذا الشكل»، لقد مات موامبا وعاد إلى الحياة مرة أخرى!

**راشد:** الموت هو الحقيقة الوحيدة التي يعترف بها ويتفق عليها كل البشر.. ولكن، ماذا بعد الموت؟ هل هي النهاية، أم بعدها بداية أخرى في (اليوم الآخر) كما يعتقد كثير من الناس؟

**راجيف:** الإيمان باليوم الآخر عقيدة أصيلة حملها الإنسان منذ نشأته وسكناه الأرض، فقد دلت الآثار وشواهد التاريخ على أن هذه العقيدة كانت موجودة في الحضارات القديمة، وعرفها قدماء المصريين وقبائل المايا والرومان وفي وادي الرافدين.. وغيرهم.. وفضلًا عن أنها عقيدة لم يَخْلُ منها دين سماوي فقد عرفتها الأديان الوضعية كالبرهمية والبوذية والكونشيوسية والزرادشتية والصابئة..

**راشد:** صحيح ما قلته، وهذه العقيدة نادى بالإيمان بها رسول الإسلام، كما عرضها سائر الأنبياء والرسل على الناس، وما زال الإيمان بها شرطًا من شروط الإسلام في جميع الأزمان، فإنه لا معنى للإيمان بالله وكتبه ورسله بدون هذه العقيدة.

**مايكل:** ولكني ألاحظ أن أثر هذه العقيدة في حياة الناس متفاوت، كما أن قليلًا منهم من يستحضرها في وعيه وسلوكه.

**راشد:** هذا صحيح؛ فالناس جميعًا يعترفون بذلك على مستوى العقيدة النظرية، ولكن قليلًا منهم من يستحضر تلك العقيدة حية في الواقع.. وشاهد ذلك: أننا إذا تخيلنا انطلاق صفارة الإنذار معلنة عن غارة جوية خلال أيام الحرب.. فإن المتوقع والطبيعي أن تصبح الشوارع خالية من المارة والحركة، حتى أنه من لا يفعل ذلك يقال عنه أبله أو مجنون.. فإذا كان ذلك في شأن صغير في الدنيا، فما بالنا بخطر أكبر وأهم من هذا الخطر.. خطر يعتقد الناس أنه سيحدث حتمًا، وأنذَر به خالق هذا الكون تبارك وتعالى، وأعلنه على لسان جميع رسله، لقد كان المنطقي أن تكون استجابتهم لهذا الإنذار الإلهي أكبر وأشد.

**مايكل:** أظن أن السبب في ذلك أن الناس يرون ويسمعون الخطر الذي تنذر عنه صفارة الإنذار، حتى وإن لم يجربوه فقد شاهدوه في حالات أخرى أو في مواطن أخرى وقد يكونوا عاينوا آثاره، أما في اليوم الآخر فإنه يحول بيننا وبينه جدار الموت، وهو لا يتراءى لأعيننا اليوم.. وهذا ما أنشأ فرق اليقين بين الحالتين.

**راشد:** كلامك صحيح، ولكن يُفترَض أن الإنسان يصل إلى الحقائق ويتيقنها بعقله وليس فقط بحواسه. إن سبب ضعف اليقين عند هؤلاء الناس هو أنهم لا يستخدمون عين عقلهم، فهم لو نظروا في الأمر بإمعان وأعملوا الفكر فيه لأدركوا أن ما يرونه بأعينهم ليس أكثر يقينًا من الغائب عن نظرهم.

ثم إن هناك أمورًا يكون انتظار رؤيتها أو تجربتها هلاكًا على صاحبها؛ لأنها لا تحتمل إلا المرور بها مرة واحدة؛ فلو أن شخصًا تحدى آخر قائلًا إنه يستطيع إلقاء نفسه من فوق بناية شاهقة دون أن يصاب بأذى، وقال له الآخر فلنجرب! فإنها ستكون التجربة الأولى والأخيرة وتكون نهاية هذا المجرِّب، فليس بهذه التجربة نثبت صحة هذا الزعم أو خطئه، ولكن بإعمال العقل وبالنظر في السوابق والمتشابهات يمكننا الوصول إلى النتيجة المتوقعة للتجربة بدون خوضها.

**راجيف:** إذن، علينا لكي نصل إلى هذا اليقين أن نبرهن على هذه العقيدة بالأدلة العقلية وبالنظائر العلمية.

**راشد:** لا مانع من ذلك، ولكني أقول إن الدليل الأكبر في ذلك هو الثقة في صدق مَن أخبرنا بذلك، وهو الله تعالى على لسان رسله، وهذا هو مقتضى الإيمان به سبحانه، فهو أعلم منا وأحرص منا على ما ينفعنا ويصلحنا.

أما ما طلبته من أدلة عقلية ونظائر علمية، فإنه كثير.. أذكر منها الآتي:

الحجة الأولى: الاحتجاج بالإبداء على الإعادة، ومفادها: أننا إذا كنا مقرين بأن الله تعالى خلقنا أول مرة، فإن الذي خلقنا في المرة الأولى من العدم بقادر على إحيائنا مرة أخرى بعد الموت؛ بل إن إمكان حدوث الحياة الأخرى أقوى (نظريًّا) من إمكان الحياة الأولى..

الحجة الثانية: استحالة المواد والأشياء من حالة إلى أخرى ومن طبيعة إلى أخرى، وقد ضرب القرآن لذلك مثالًا يمكن تجربته من كل الناس، وهو إخراج النار من الشجر الأخضر، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات ولا تستعصي عليه، يمكنه أن يحيي العظام وهي رميم.

الحجة الثالثة: تقليب المخلوقات، موت فحياة ثم موت فحياة، فمن الحبة الجامدة الصماء تخرج نبتة غضة خضراء تزهر وتثمر، ثم تعطي هذه النبتة الحية حبوبًا جامدة لا تنمو، ومن الطيور الحية النامية يخرج البيض الميت، ومن هذا البيض تخرج الطيور الحية المتحركة مرة أخرى، فالحياة كامنة فيما نظنه جامدًا ميتًا.. وهكذا الإنسان وجميع الحيوانات.

الحجة الرابعة: مشاهدة ظاهرة البعث في حياة الإنسان والحيوان والنبات، فجسم الإنسان العادي يتألف من ٢٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ خلية، تتغير في كل ثانية، فهي تنقص بسرعة، وهذا النقص يعوضه الغذاء؛ إذن فالجسم الإنساني يغير نفسه بنفسه باستمرار كالنهر الجاري، وهكذا جسمنا يخضع لعملية تغيير مستمرة، حتى إنه يأتي وقت لا تبقى فيه أي خلية قديمة في الجسم.. تتكرر هذه العملية في الشباب والطفولة بسرعة، بينما تستمر بهدوء في الكهولة.. وهذا التغيير يحدث بمعدل مرة كل عشر سنوات.

من هذا نستنتج أن تغير الجسم المادي الظاهري مستمر، ولكن الإنسان في الداخل لا يتغير: علمه، عاداته، حافظته، أمانيه، أفكاره.. تبقى كلها كما كانت. ولو كان الإنسان يفنى بفناء الجسم لكان لزامًا أن يتأثر على الأقل بفناء الخلايا وتغيرها الكامل.. وهذا يؤكد أن الحياة الإنسانية شيء آخر غير الجسم، وهي باقية رغم تغير الجسم وفنائه بفناء الخلايا بصفة مستمرة.

الحجة الخامسة: يشير العلم الحديث إلى أن أجهزة الكون تقوم بتسجيل كامل لكل أعمال الإنسان، فمن أهم أهداف الآخرة: المجازاة على أعمال الدنيا خيرًا كانت أو شرًّا، وفق ما سُجِّل على الإنسان، وهو يشمل: النية، والقول، والعمل.. والشواهد العلمية تثبت أن هذه الأبعاد لا تذهب سدًى؛ بل يمكن استدعاؤها واسترجاعها بعد انتهائها:

فالأفكار أو النوايا التي تخطر على بالنا وننساها.. نراها خلال النوم أو نتكلم عنها في حالات الهيستريا أو الجنون دون أن ندري، وهذا يثبت قطعيًّا أن العقل أو الحافظة ليست تلك التي نشعر ونحس بها فحسب، وإنما هناك أطراف أخرى من هذه الحافظة لا نشعر بها، وهي ذات وجود مستقل، وأثبت العلم أننا غير قادرين على محوها.

أما القول: فإن العلم الحديث يثبت أن الأصوات التي نسمعها عبارة عن موجات في الهواء، وقد ثبت قطعًا أن هذه الموجات تبقى في الأثير بعد حدوثها أول مرة، ومن الممكن سماعها مرة أخرى حتى بعد مرور قرون عليها، وإن لم يتمكن العلماء من تطبيق ذلك عمليًّا حتى الآن، وهذا يثبت أن كل ما ينطق به الإنسان فهو مسجل عليه.

أما مسألة العمل، فتصدق بصورة مدهشة إمكان حدوث الآخرة؛ فالعلم الحديث يثبت أن جميع حركاتنا وأعمالنا في الضوء أو الظلام موجودة في الفضاء في حالة الصور، ومن الممكن في أي لحظة تجميع هذه الصور؛ فالأجسام جامدة كانت أو متحركة تصدر عنها حرارة بصفة دائمة، وهي بدورها تعكس أشكال الأجسام وأبعادها، وقد اختُرِعت آلة دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن، لكن هذه الآلات لا تستطيع تصوير الموجات الحرارية إلا خلال ساعات قليلة من وقوع الحدث.

**مايكل:** إذا سلمنا بحتمية وقوع اليوم الآخر، وعرفنا مكانته في الإسلام، فما أهم معالم هذه العقيدة فيه؟

**راشد:** تفاصيل هذه العقيدة في الإسلام تختلف كثيرًا عما جاء في معظم الديانات الأخرى، ولكن عمومًا يمكن إجمال هذه العقيدة في:

١) أن الله سيمحو هذا العالم، وكل ما فيه من الخلائق، في يوم يعرف بيوم القيامة.

٢) ثم يحييهم - سبحانه وتعالى - مرة أخرى، ويجمعهم بين يديه، وذلك هو الحشر أو البعث.

٣) ثم يقدم إلى محكمة إلاهية كل ما يكون الناس قد كسبوه من خير أو شر في حياتهم الدنيا، بدون نقص ولا زيادة.

٤) والله تعالى يزن لكل واحد من البشر أعماله الصالحة والسيئة، فمن رجحت كفة أعماله الصالحة غفر له، ومن رجحت كفة أعماله السيئة عاقبه.

٥) والذين يغفر لهم يدخلون الجنة، والذين يعاقبهم يدخلون النار.

**راجيف:** حقيقة، الأمر جد خطير.

# الإسلام والإرهاب



# الإسلام والإرهاب

في الموعد المحدد لبدء المحادثة عبر الغرفة الحوارية المتفق عليها التقى مايكل وراشد وراجيف.. بدأ مايكل الكلام بعد توجيهه التحية لصديقيه:

**مايكل:** إنني أرى أن حديث راشد في اللقاءات السابقة كلام يخالف ما هو معروف عن دينه ويحتاج إلى تمحيص، لقد حاول الأستاذ راشد تقديم الجوانب المشرقة في دينه، ولكنه تغافل عن الجوانب المظلمة.. إننا نرى بأعيننا أن الإرهاب الذي يضرب العالم اليوم هو إرهاب إسلامي بامتياز.

**راجيف:** اتفق معك جزئيًّا، ولكن الإرهاب هذا سلوك يفترض أنه غير مرتبط بدين أو قومية، وهذا ما عاينته في الهند بلادي، حيث تكون حوادث العنف متبادلة لأسباب عديدة، فإلى أي شيء ترجع هذه المشاهدات حتى نستطيع مناقشتها.

**مايكل:** هذا ما أود طرحه بالفعل، فأنا أعتقد أن الإرهاب كامن في الإسلام ذاته، ومعروف أن الإسلام انتشر بالسيف.. هل تنكر ذلك سيد راشد؟

**راشد:** طبعًا أنكره، والحقائق أيضًا تنكره.

**مايكل:** أي حقائق تقصد؟

**راشد:** الحقائق الدينية والحقائق التاريخية والحقائق الواقعية.. ولكن دعني أقول أولًا: إننا ينبغي أن نخلي عقولنا من المعلومات الدعائية التي يشكل بها الإعلام وأصحاب المصالح عقولنا.

**راجيف:** أظن أننا نعيش في مجتمع حر، وأنه لا تمارس علينا صور إملاءات أو ضغوط لتشكيل عقولنا.

**راشد:** صحيح لا تمارس علينا ضغوط، وأننا أحرار في الاختيار، ولكننا في النهاية نختار مما يقدمه لنا المسيطرون على الإعلام ويوجهنا إليه السياسيون وأصحاب المصالح، فما زالت تتوالى تصريحات السياسيين والمفكرين الغربيين حول الإرهاب وربطه بالإسلام، والدعوة لحرب صليبية تحت مسمى (محاربة الإرهاب)، والزعم بأن هذه الحملة لحماية الحضارة الغربية المتسمة بالتسامح والانفتاح كما ذكروا.

**مايكل:** أعدك بأن نظل كما كنا: ننشد الحقيقة أيًّا كان مصدرها وأيًّا كانت طبيعتها.

**راشد:** إذا كان الإسلام دينًا عدوانيًّا في طبيعته وانتشر بالسيف، والمسيحية التي يزعم الغرب أنه ينتسب إليها دين تسامح، فهل تعرف يا صديقي كم مرة ذكرت كلمة (السيف) في القرآن الكريم، وكم مرة ذكرت في الكتاب المقدس؟

**مايكل:** لا أعرف تحديدًا، ولكنها بالتأكيد ذكرت في القرآن أكثر مما ذكرت في الكتاب المقدس.

**راشد:** إليكما هذه المفاجأة.. القرآن الكريم به ١١٤ سورة، تحتوي على ٦٢٣٦ آية، تحتوي على ٧٧٤٣٩ كلمة، لم تذكر كلمة (السيف) أو مرادفاتها في القرآن ولا مرة واحدة، رغم أن هذه الكلمة لها مرادفات تبلغ حوالي ٦٠ مرادفًا في اللغة العربية، بينما ذكرت كلمة (السيف) أكثر من ٢٠٠ مرة في الكتاب المقدس.

**مايكل:** أوووه... مفاجأة فعلًا.. هل هذا ما كنت تقصده بالحقائق الدينية؟

**راشد:** بل حقيقة واحدة من الحقائق الدينية التي لن أطيل فيها لأفسح المجال لذكر الحقائق الأخرى.

**راجيف:** ما أهم هذه الحقائق؟

**راشد:** أهم هذه الحقائق لا بد أنك تعرف طرفًا منها يا صديقي راجيف؛ وهي أن أكثر مناطق العالم كثافة بالمسلمين، وعلى رأسها مناطق شرق آسيا وجنوبها لم تصلها جيوش المسلمين مطلقًا، ومثلها: مناطق شاسعة من إفريقيا.

ويتعلق بهذه الحقيقة التاريخية ما شهد به المنصفون من المؤرخين أنه لم يثبت لديهم أي حالات موثقة للإكراه على اعتناق الإسلام في التاريخ الإسلامي.

**مايكل:** ولكن بغض النظر عما ذكرته من كلام بعض المؤرخين؛ إذ يمكنني إيراد أقوال مؤرخين آخرين يقولون خلاف ذلك؛ ما الذي يثبت هذا الادعاء؟

**راشد:** هناك أكثر من برهان يثبت ما قلته:

فأولًا: أن كثيرًا من المناطق التي فتحها المسلمون عسكريًّا ظل أهلها على دياناتهم القديمة في ظل حكم المسلمين، وما زال بعضهم على دياناتهم هذه حتى الآن، وهذا ما حدث في مصر وفلسطين ولبنان واليونان والهند.. وهذا في مقابل صورة أخرى مضادة تمامًا عندما سيطر المسيحيون عسكريًّا على الأندلس والقدس والفلبين.. كانت الإبادة الشاملة، أو الإكراه على الدخول في المسيحية، أو التهجير القسري.. هو نصيب المخالفين لهم في الدين.

وثانيًا: أنه عندما زالت السيطرة العسكرية الإسلامية على البلدان التي فتحوها، ولم تكن هناك أي صورة من صور الضغط من المسلمين أو غيرهم، لم نر هذه الشعوب تتخلى عن الإسلام، بل رأينا شعوبًا كشعوب مسلمي الاتحاد السوفييتي السابق تحافظ على إسلامها سرًّا تحت نير القهر الشيوعي، متربصة بفرصة زوال هذا النظام القاهر لتعود بقوة إلى إسلامها.

وثالثًا: أن التاريخ يذكر لنا قصص شعوب غزت بلاد المسلمين وكسرت شوكته العسكرية واحتلت أجزاءً كبيرة من أرضه.. تحولت إلى اعتناق الإسلام عندما عايشته، كشعوب التتار والترك.

**مايكل:** سأسلِّم معك أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، ولكن دعنا من التاريخ، ولنتحدث في واقعنا الآن؛ ألا تتفق معي فيما قلته: إن الإرهاب الذي يضرب العالم اليوم هو إرهاب إسلامي بامتياز؟!

**راشد:** لنحدد أولًا: ما هو الإرهاب؟ ثم لنلق نظرة على العالم لنر خارطة الإرهاب في العصر الحديث، مَن يُشكِّلْها؟

**راجيف:** لم تتوصل دول العالم ولا منظماته الدولية إلى اتفاق على تعريف محدد للإرهاب، ولكننا يمكن أن نتفق على أنه: «ترويع المسالمين بأي صورة من الصور للتأثير على إرادتهم أو تحصيل مكاسب سياسية أو اقتصادية للطرف المعتدي».

**راشد:** طبعًا عدم التحديد هذا مقصود من بعض الدول، ليكون المفهوم مطاطًا يمكن التلاعب به.. ولكني أضيف إلى تعريفك: «سواءً أكان هذا المعتدي فردًا أو جماعة أو دولة».

**مايكل:** لا مانع من هذه الإضافة، وبناءً عليه: إذا استعرضنا الأحداث العالمية فإننا نرى أحداث تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك عام ٢٠٠١، وما تلاها من تفجير قطارات مدريد، وتفجيرات منتجعات بالي بإندونيسيا ضد السياح الغربيين، وأيضًا العمليات التي يقوم بها الفلسطينيون ضد اليهود.. كلها عمليات إرهابية قام بها مسلمون.

**راشد:** مهلًا مهلًا يا صديقي، فالعمليات التي يقوم بها الفلسطينيون هي عمليات مقاومة ضد محتل له تاريخ أسود من الإرهاب، هل يمكن التغاضي عن احتلال أرض شعب كامل وطرده منها، وترويعه بشتى السبل، التي كان منها:

- مذبحة بلدة الشيخ، في٣١/ ١٢/ ١٩٤٧م، والتي قتل فيها ٦٠٠ شخصًا (مدنيًّا بريئًا) داخل بيوتهم.

• مذبحة قرية دير ياسين، في ١٠/ ٤/ ١٩٨٤، والتي قتل فيها أكثر من نصف سكان القرية.

• مذبحة اللد، في ١١/ ٧/ ١٩٤٨، والتي قتل فيها ٤٢٦ مدنيًّا تجمعوا في مسجد القرية، فاقتحمه اليهود وقتلوا كل من فيه.

• مذبحة كفر قاسم، في ١٠/ ١٩٦٥م، والتي قتل فيها ٩٤ مدنيًّا من الأطفال والنساء.

• مذبحة صبرا وشاتيلا، في ١٨/ ٩/ ١٩٨٢م، والتي نفذها في لبنان مجرم الحرب شارون بالتواطؤ مع قوات الكتائب المسيحية اللبنانية، فقتلوا في مجزرة استمرت ٧٢ ساعة ٣٥٠٠ فلسطينيًّا ولبنانيًّا معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، لم تكن لهم أي جريمة سوى هويتهم الإسلامية.

• مذبحة المسجد الإبراهيمي، في ٢٥/ ٤/ ١٩٩٤م، التي نفذها أحد جنود الجيش الإسرائيلي بالتعاون مع عناصر أخرى من هذا الجيش ومن المستوطنين، وقتل في هذه المذبحة ٢٩ مصليًا داخل المسجد و٥٠ خارجه وأصيب أكثر من ٣٥٠ من المصلين.

ولكن لتجعل نظرتك شاملة، أضف أيضًا حادثتي: انفجار المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما عام ١٩٩٥م، والذي أسفر عن مقتل ١٦٨ شخصًا وجرح ٥٠٠ آخرين، ومذبحة أوسلو وجزيرة أوتويا المزدوجة في ٧/ ٢٠١١م، التي أوقعت أكثر من ٩٢ قتيلًا و٩٠ جريحًا، واللتين تحملان توقيعًا مسيحيًّا متطرفًا وعنصريًّا بامتياز.

كما أننا إذا كنا نبحث في سياق علاقة الإرهاب بدين أو حضارة ما، لا نستطيع إغفال حقيقة أنه خلال العصر الحديث:

• لم يحدث أن غزت دولة مسلمة دولة غربية، وبالعكس يشهد التاريخ أن العالم القديم والعالم الجديد كانا دائمًا هدفًا لغزو الغرب.

• وأن هنود أمريكا تعرضوا لإبادة جماعية على أيدي رافعي لواء الحضارة الغربية، ليتقلص عددهم من ١٠ ملايين إلى ٢٠٠ ألف، فضلًا عن نهب قارتهم.

• وأن الغرب جر على العالم ويلات حربين كبيرتين أطلق عليهما اسم (عالميتين)، وهما في حقيقتهما ـ وخاصة الأولى ـ (أوروبيتين)، راح ضحية الأولى زهاء عشرين مليون قتيلًا ومثلهم تقريبًا من الجرحى والمعوقين، وراح ضحية الثانية حوالي ٥٥ مليون قتيلًا و٥٣ مليون جريحًا، وثلاثة ملايين في عداد المفقودين، وقد كان معظم هؤلاء الضحايا من أبناء (المستعمرات) ومن

المدنيين، حيث كان شائعًا في أخلاقيات هؤلاء المتحاربين استهداف المدنيين لتحطيم إرادة العدو.

كما أننا – وإن اتفقنا على مبدأ تجريم الاعتداء على الأبرياء – لا نستطيع تجاهل دوافع القائمين بالحوادث التي ذكرتها، فقد سوغوا هذه الحوادث بأنها لردع أمريكا والغرب عن الاستمرار في عدوانه وإرهابه للمسلمين، خاصة في حصاره للعراق وقتها ومساندته للجرائم الصهيونية في فلسطين.

**راجيف:** إذن، خلاصة القول التي نستطيع الخروج بها: إن الإرهاب لا دين له ولا حضارة له.

**راشد:** قد أوافق أنه لا دين له، ولكن أرى أنه يجب النظر في منطلقات الحضارة الغربية التي قامت على مبدأ الصراع وتقديس القوة وعلاقة ذلك بممارساتها العدوانية؛ فالحضارة الغربية الحديثة استمدت جذورها واستلهمت فكرها بشكل مؤثر من تراث (الحضارتين) اليونانية والرومانية، وقد كان شائعًا فيهما أفكار مثل: عقدة التفوق، وتمجيد القوة، وحتمية الصراع... هذه الأفكار ورثتها (الحضارة) الغربية الحديثة والمعاصرة، ولم تستطع تعاليم (المسيحية) أن تحول بينها وبين خروجها في صورة ممارسات فظيعة وفواجع وعمليات إرهابية عمّت أوربا نفسها والعالم أجمع.

**مايكل:** إلى اللقاء في حوار آخر.

# المستقبل لهذا الدين



# المستقبل لهذا الدين

تأخر راجيف – على غير المعتاد – عن موعد التقائه بصديقيه، وما إن ظهر على شاشة الحاسوب حتى بادره صديقه مايكل قائلًا:

مرحبًا راجيف، عهدنا عليك دائمًا الدقة في المواعيد، آمل ألا يكون تأخرك لسوء أصابك.

**راجيف:** معذرة صديقاي، ليس هناك من بأس، ولكني كنت منشغلًا بإنهاء بحث أردت عرضه عليكما.

**مايكل:** ممتاز، إذن سيكون الحوار ثريًّا، عمَّ يدور بحثك؟

**راجيف:** في الحقيقة لقد جذبتني المعلومات المتداولة في حواراتنا حول الإسلام فأردت أن أبحث في حركة انتشار هذا الدين توسعًا أو تقلصًا في العالم.

**مايكل:** الأمر نفسه دعاني للبحث أيضًا، ولكن في جوانب أخرى، تتمثل في التوسع في بحث الجوانب التي نتطرق إليها بعمق أكبر ومن مصادرها الأصلية.. ولكن ماذا وجدت في بحثك؟.. سيد راشد!! هل أنت معنا؟؟!

**راشد:** نعم، نعم.. أنا أتابع معكما.

**راجيف:** لقد وجدت أن جميع المصادر والمعلومات تشير إلى تزايد انتشار الإسلام في العالم، فيكشف البحث عن وجود أكثر من ٤٢٠٠ نِحلَة ومِلَّة في العالم، وتدل الإحصائيات على أن الدين الإسلامي هو الأسرع انتشارًا بين جميع المُعتقدات في العالم! وأنه ينتشر اليوم في جميع قارات العالم بسرعة ملحوظة، فإذا نظرنا إلى نسبة النمو للمسلمين وقارناها بنمو أتباع المسيحية مثلًا، نجد أن إحصائيَّة للأمم المتحدة تقول: إنَّ نسبة النمو السنوي للمسلمين في العالم(٦,٤٪)، بينما لا تزيد عن (١٪) عند المسيحيين.

لقد ركزت بحثي على أوربا، فوجدت أن الإسلام أصبح على سبيل المثال: هو الديانة الثانية في إسبانيا وفرنسا وبريطانيا.

وفي ألمانيا يتزايد المسلمون، وحسب صحيفة «دي فيلت» الألمانية اليومية فإنَّ: الإسلام ينتشر في ألمانيا بصورة متزايدة.

ولقد أكَّدت دراسة أعدتها وزارة الداخلية الفرنسية: أنَّ أكثر من ٣٦٠٠ شخصًا يعتنقون الإسلام سنويًّا، كما تشير إلى أنه بفرنسا ٢٣٠٠ مسجدًا و٧ ملايين مسلم، بل هناك توقعات بأن المسلمين سيمثِّلون ربع سكان فرنسا بحلول عام ٢٠٢٥، بينما تشير تلك التوقعات أنهم سيمثلون ٢٠٪ من سكان أوروبا عام ٢٠٥٠م، وهناك إحصاءات أخرى ترى أنَّه في عام ٢٠٤٠م سيكون المسلمون هم الأكثريَّة في أوروبا.

وتتحدث الإحصاءات أنَّ ثلث الشعب الهولندي سيصبح مسلمًا بعد مرور عشرة أعوام، وتؤكد إحدى الدراسات أن الإسلام ينتشر بشكل مثير للدهشة في أوساط الشعب السويدي، حيث أشارت الإحصاءات الرسمية إلى أن عدد المسلمين في تزايد مستمر ليقدَّر عددهم في السويد اليوم بأكثر من ١٢٠ ألف نسمة.

ويعد التوسع في بناء المساجد مؤشرًا على انتشار المسلمين، خاصة المتمسكين بدينهم؛ فتتحدث الإحصاءات عن وجود أكثر من ٢٥ ألف مسجد في أوروبا مع إقبال شديد من المسلمين عليها.

وفي المقابل تؤكد الدراسات على تدني الإقبال على ارتياد الكنائس، فقد توقعت دراسة أجراها «بنك دريسدن» تراجع أعداد الكنائس في ألمانيا خلال السنوات المقبلة، حيث من المنتظر وقف القداسات الدينية في ٩٦ كنيسة من إجمالي ٣٥٠ كنيسة بـ«أبرشية ايسن» وحدها، والاستفادة من مباني الكنائس في أغراض أخرى، وذلك بسبب تراجع أعداد زوار الكنائس وانخفاض عائدات (ضريبة الكنيسة).

ولعل مما يظهر بوضوح الضعف الشديد من إقبال المسيحيين على كنائسهم، أنه وصل الحال بإحدى الكنائس في دولة أوروبيَّة إلى أن تجري مسابقة على سحب للسيارات لكي تجتذب الناس إلى الصلاة فيها؛ لقلَّة روَّاد الكنائس!!

**مايكل:** قد يفسر ذلك ما نشاهده من تلك الحالة العارمة لأحزاب اليمين وبعض المتعصبين في أوروبا لمضايقة الإسلام والاستهزاء به وبثوابته والاعتداء على أفراده أو رموزه، بل المطالبة بخروج المسلمين من أوربا كلها، ولكن تُرى، ما أسباب هذا الانتشار.. لم نسمعك سيد راشد على غير عادتك؟!

**راشد:** بالطبع أنا سعيد بما أسمعه؛ لذا آثرت الصمت لزيادة الاستمتاع.. في رأيي هناك أسباب ذاتية في الإسلام، وأسباب ذاتية في المجتمع الغربي، وأسباب واقعية.. تكون عوامل متضافرة لزيادة انتشار الإسلام.. ولكني أشير إلى أن ذلك ليس بغريب على دين عريق تضرب جذوره وتمتد في العمق التاريخي منذ بدء الخليقة، من لدن آدم عليه السلام، ولم ينقطع هذا الامتداد التاريخي حتى يومنا هذا.

**مايكل:** ولكن سيد راشد نحن نعرف أن الإسلام لم يظهر إلا منذ ألف وأربعمئة سنة، كما أن هناك ديانات سماوية أخرى، كالمسيحية واليهودية، هل تنكر ذلك؟!

**راشد:** هناك مفهوم يجب أن يصحح في هذا الشأن، وهو أن دين الله واحد وليس متعددًا، واحد لأنه صادر عن مصدر واحد هو الله تعالى الذي خلق الخلق، ولكن هناك بعض الحالات التي يراعيها هذا الدين الواحد تقتضي وجود بعض الشرائع الخاصة بهذه الحالات أو الأمم، كما أنه قد يحدث انحراف عن هذا الدين نتيجة البعد الزماني عن مصدر الرسالة، فيقتضي ذلك إعادة تجديد الدين بإرسال رسول جديد يؤكد على ثوابت هذا الدين وأسسه، وهذا ما أشار إليه حديث رسول الإسلام: «الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى»، أي أزمانهم وشرائعهم متعددة ومختلفة.. أما وقد بلغت البشرية رشدها على عهد رسول الإسلام فقد تضمنت رسالة هذا الرسول العوامل الذاتية التي تحافظ على سلامة هذا الدين من الضياع، والتي تجدده وتعيده إلى نقائه إذا اقتضى الأمر، لذا: فإن هذا الدين لن ينقطع وسيستمر هذا الامتداد التاريخي حتى تنتهي البشرية، باعتباره الدين الخاتم الذي ارتضاه خالق البشر لهم، فطبيعي أن يرتضي لهم ما يناسبهم ويتوافق مع فطرتهم، وطبيعي أن نجد هذا الانتشار إذا تركت الأمور تتفاعل بصورة طبيعية وتلقائية.

**راجيف:** هذا مفهوم جديد ومثير بالنسبة لي، إذن لنَعُد سيد راشد إلى ما كنتَ ستذكره عن أسباب انتشار الإسلام.

**راشد:** نعم؛ أما الأسباب الذاتية في الإسلام فتتلخص في أن خصائصه تؤهله لهذا الانتشار؛ فهو:

دين بسيط في مبناه، عميق في معناه، واضح في مفاهيمه، شامل في منهجه، يسير في تعاليمه، لا يحتاج إلى مقدرة عقلية وملكات ذهنية كبيرة، ليس فيه طلاسم ولا أسرار ولا غموض ولا تعقيد.

دين إنساني، يخاطب فطرة الإنسان، ويتعامل مع ظروفه، ويلبي رغباته، ويعالج قضاياه، ويرد على تساؤلاته، ويربط في تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وواقع الحياة، كما أنه يحرم كل أنواع الظلم الاجتماعي، ويؤكد المساواة التامة بين البشر من حيث أصولهم، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومستوياتهم الاجتماعية.

دين واقعي لا يستعلي على واقع البشر ولا يذوب فيه ويضمحل ويتحور، ومن هذه الواقعية أنه دين يجمع بين الدنيا والآخرة، ولا يجد تعارضًا بينهما.

دين يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري ويضع الحجج العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق التفاهم والنقاش والجدل المفيد.

دين لا يحارب العلم والتقدم، بل يشجعه، وتتفق فيه الحقائق العلمية الثابتة التي توصل إليها العلم في العصر الحديث مع تفسير النصوص القرآنية الواردة في تلك المجالات قبل أربعة عشر قرنًا.

دين يواكب حركة التطور، فقد أثبت الإسلام قدرته على التعامل مع كل المستجدات والمتغيرات الاجتماعية التي تطرأ على الحياة بفعل تغير الزمان والمكان.

دين يحقق الحرية الإنسانية الحقيقية، التي لا تتحقق في أجل معانيها إلا إذا أفرد الإنسان ربه بالعبودية الخالصة، لأنه بذلك لا يكون عبدًا لأي إنسان، أو لأي مخلوق آخر في الطبيعة.

دين كان ولا يزال منفتحًا على الثقافات الأخرى.

**مايكل:** وأنا أقول لك الأسباب الكامنة في المجتمع الغربي:

يعيش مجتمعنا الغربي مأساة فكرية حقيقية خاصة منذ بدايات القرن الماضي وما قبلها، وقد تمخضت هذه الأزمة عن الصراعات المتعددة التي عاشها مجتمعنا الغربي، خاصة بين الكنيسة والعلم، ثم بين المذاهب الفلسفية المتباينة، وبين طبقات المجتمع المختلفة، وقد خلَّف ذلك تشتتًا قيميًّا وشعورًا بالحيرة وفقدان الهوية.

ثم إنه الخواء والفراغ الروحي الذي ينخر في كيان الإنسان الغربي.. الخواء الذي تختنق فيه روح (الإنسان)، وتهدر فيه قيمة (الإنسان)، وتنحدر فيه خصائص (الإنسان).. بينما تتكدس (الأشياء) وتعلو قيمتها، وتطغى على كل قيمة للإنسان، حتى يغدو وكأنه آلة أو جزء من آلة ضخمة.

وعامل مهم آخر يتمثل في التشكك الذي يعيشه كثير من الغربيين في دينهم، وما يرونه من وجود تناقض وتعارض وقصور في عقائدهم، رغم تعصب كثير منهم الظاهر والمتكلف لأديانهم، إضافة إلى أن ما ترسمه الكنيسة باعتباره طريق الطهر والخلاص المتمثل في الرهبنة، يراه معظمنا مغالطة للطبيعة الإنسانية ومصادمًا لها في كثير من شؤون الحياة.

ولا نستطيع إغفال الانحدار الأخلاقي والتفسخ الأسري والتفكك المجتمعي الذي آلت إليه أحوال المجتمع الغربي عامة.

**راشد:** إذا أردنا التحدث عن العوامل الواقعية فإننا نرى أنَّ حملات تشويه الإسلام، واضطهاد أتباعه، قد تعطي مفعولًا عكسيًّا، متمثلًا في رد فعل راغب في التعرف على هذا الدين.

كما أن جهود الدعاة إلى الله في نشر الإسلام، ومنها: المناظرات التي تعقد بين علماء الدين الإسلامي والأديان الأخرى.. تزيد من فرص الجمهور الغربي في التعرف على الإسلام على حقيقته.

ولا ننس أثر وجود الأقليات الإسلامية في الغرب، حيث يوجِد ذلك فرصة للغربيين للتعرف عن قرب على المسلمين، مما يمهد للتعرف على المفاهيم الإسلامية ومشاهدة أنماط حياة المسلمين على أرض الواقع.

كل ذلك يشعرني بنظرة مشرقة متفائلة، تؤكد أنَّ المستقبل لهذا الدين.

# أهم المراجع



# أهم المراجع


- القرآن الكريم
- كتب السنة النبوية
- د. إبراهيم خليل:

لماذا أسلم صديقي؟ ورأي الفاتيكان في تحديات القرآن

- د. إبراهيم محمد إبراهيم:

الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها

- أبو الأعلى المودودي:

الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة

الإسلام والمدنية الحديثة

الحجاب

حول تطبيق الشريعة في العصر الحاضر

مبادئ الإسلام

نحن والحضارة الغربية

نظام الحياة في الإسلام

- أبو عبد الملك وليد بن فهد الودعان:

رسالة إلى كل من يؤمن بعيسى عليه السلام

- أحمد ديدات:

أسرع الأديان نموًّا

الاختيار بين الإسلام والنصرانية

الحل الإسلامي للمشكلة العنصرية

الخلاف الحقيقي بين المسلمين والمسيحيين

الله في اليهودية والمسيحية والإسلام

بين الإنجيل والقرآن

تهمة السيف

لماذا محمد صلى الله عليه وسلم هو الأعظم؟

ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد صلى الله عليه وسلم؟

محمد صلى الله عليه وسلم أعظم عظماء العالم

محمد صلى الله عليه وسلم الخليفة الطبيعي للمسيح عليه السلام

مفهوم العبادة في الإسلام

هل المسيح هو الله؟ وجواب الإنجيل على ذلك

- د. أحمد عبد الرحيم السايح:

فلسفة الحضارة الإسلامية

- د. إسماعيل راجي الفاروقي، د. لوس لمياء الفاروقي:

أطلس الحضارة الإسلامية

- د. إكرام لمعي:

الطلاق في المسيحية (وجهة نظر إنجيلية)

- أندريه نايتون وآخرون- ترجمة: سميرة عزمي الزين:

الأصول الوثنية للمسيحية

- أنور محمود زناتي:

معجم افتراءات الغرب على الإسلام

- برنارد لويس:

إسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية

- **جاد الكريم جباعي:**

حقوق الإنسان في الفكر العربي المعاصر

- **جميل بن صبيح:**

تحقيق خلافـة الإنسان على الأرض

- **د. جوتفرايد كونزلن- تقديم وتعليق: د. محمد عمارة:**

مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا- [شهادة المانية]

- **د. حسين مؤنس:**

الحضارة- دراسة في أصول وعوامل قيامها

مختصر دستور أمة الإسلام

- **خالد أبو الفتوح:**

الإسلام والليبرالية- حقيقة التوجه الأمريكي وإمكانية الالتقاء الفكري (مقال)

بين إدارة الوقت وإدارة الذات (مقال)

الحضارة- مصطلحات (مقال)

لهذا نكره أمريكا! (مقال)

هوامش على أزمة التحدي (مقال)

- **د. داود درويش حلس:**

حقوق الإنسان الثقافية بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية

- **روجيه جارودي:**

حفارو القبور- الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها

- **زغريد هونكه- ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي:**

شمس العرب تسطع على الغرب.. أثر الحضارة العربية في أوربا

- **سامي عامري:**

هل اقتبس القرآن الكريم من كتب اليهود والنصارى؟

- **سعود بن عبد العزيز بن محمد العريفي:**

الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد

- **سيد قطب:**

الإسلام ومشكلات الحضارة

المستقبل لهذا الدين

خصائص التصور الإسلامي ومقوماته

هذا الدين

- **د. السيد محمد بدوي:**

الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع

- **د. عادل صادق:**

الطلاق ليس هو الحل

- **د. عادل بن علي الشدي، د. عبد الرزاق معاش:**

حاجات البشرية في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

- **عباس العقاد:**

أثر العرب في الحضارة الأوربية

- **عبد الدائم كحيل:**

روائع الإعجاز الطبي في القرآن والسنة

موسوعة الإعجاز الرقمي في القرآن الكريم

- **د. عبد الرحمن حسن حبنكه:**

ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة

- **عبد الرحمن الجزيري:**

أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين

- **د. عبد العزيز صقر:**

الدين والدولة في الواقع الغربي.. دراسة لموقع ودور الدين في الدولة القومية

- **د. عبد العزيز بن عثمان التويجري:**

حقوق الإنسان في التعاليم الإسلامية

- **د. عبد الله بن عبد المحسن التركي:**

حقوق الإنسان في الإسلام

- **عبد الله ناصح علوان:**

معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوربية

- **د. عبد المحسن بن زبن المطيري:**

الأدلة الجلية على صدق نبوة خير البرية صلى الله عليه وسلم

- **علي عزت بيجوفيتش:**

الإسلام بين الشرق والغرب

- **د. علي محيي الدين القره داغي:**

نحنُ والأخرُ- دراسة فقهية تأصيلية

- **علي بن نايف الشحود:**

المفصل في الرد على الحضارة الغربية

- **د. عماد الدين خليل:**

قالوا عن الإسلام

- **د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي:**

خصائص القرآن الكريم

- د. مازن العرموطي، نمير عباس مظفر، كايد هاشم (تحرير):

الإسلام والغرب وحقوق الإنسان

- مايكل هارت- ترجمة: أنيس منصور:

الخالدون مئة، أعظمهم محمد [صلى الله عليه وسلم]

- مجاهد محمود أحمد ناصر:

منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة

- محمد بن إبراهيم الحمد:

الإسلام.. طريق السعادة الأبدية

- محمد أبو زهرة:

المجتمع الإنساني في ظل الاسلام

- محمد أبو القاسم حاج حمد:

جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية

- د. محمد بشاري:

الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية- أبعادها وضوابطها

- محمد تقي الدين الهلالي المغربي:

البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية

- محمد رشيد العويد:

إنهم يتفرجون على اغتصابها

- د. محمد الزحيلي:

حقوق الإنسان- محور مقاصد الشريعة

- د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي:

دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند

- **محمد بن طاهر التنير البيروتي:**

العقائد الوثنية في الديانة النصرانية

- **محمد الطاهر بن عاشور:**

مختصر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام

- **د. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم:**

الإسلام- أصوله ومبادئه

- **د. محمد عمارة:**

الإسلام وحقوق الإنسان.. ضرورات لا حقوق

بين العصمة والازدراء.. الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس (مقال)

- **محمد الغزالي:**

حقوق الإنسان

- **محمد قطب:**

شبهات حول الإسلام

- **محمد متولي الشعراوي:**

الأدلة المادية على وجود الله

- **محمد ياسين:**

ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين

- **مركز تبادل القيم الثقافية، بالتعاون مع منظمة اليونسكو:**

أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية

- **د. مروان إبراهيم القيسي:**

موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام

- **ناصر بن دخيل الله بن فالح السعيدي:**

الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي

- **هارون يحيى:**

خديعة التطور

فهم سريع للإيمان

القرآن معجزة المعجزات

المعجزات القرآنية

- **هانز هينرش شبدر- ترجمة: عبدالرحمن بدوي:**

روح الحضارة العربية

- **د. هبة رؤوف عزت:**

إشكاليات مفهوم حقوق الإنسان (مقال)

- **وحيد الدين خان:**

القرآن يتحدى

القضية الكبرى

- **د. يحيى بن محمد حسن زمزمي:**

حقوق الإنسان- مفهومه وتطبيقاته في القرآن الكريم

- **يسر محمد سعيد مبيض:**

اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة

- **د. يعقوب بن عبد الوهاب الباحسين:**

طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين

# فهرس المحتويات

# الفهرس




نعود بك إلى الأصول، ونغوص معك في المنطق العقلي، ونسترشد بأقوال الفلاسفة والمفكرين، ونمر في طريقنا بتجارب القادة والحكماء والمشاهير في رحلة نبحث خلالها عن السعادة وطريقها.

رحلة فكرية حضارية مع السعادة، وطريقها، والوصول إليها.. رحلة تغوص في أغوار النفس من الداخل، كما تسبر التاريخ والماضي، وتتطلع للمستقبل، في خضم مناهج منوعة وكثيرة جدًا كلها تزعم أنها تملك الطريق إلى السعادة.. نعمل على لملمة شعاث النفس، والاهتمام بالفرد، ومواكبة تطلعات المجتمعات والأمم والشعوب؛ للتعرف على طريق السعادة..

كن معنا لترى المعايير المناسبة لاختيار الطريق والتعرف عليه، بل واختباره وتقييمه..

رحلة للتعرف على طريق السعادة.. طريق الأخلاق والعلم والحضارة والرحمة والكرامة ....

**فهل تعرف هذا الطريق..؟! وهل تحب أن تتعرف عليه..؟!**

https://www.path-2-happiness.com/ar

# رواية




# طريق السعادة

## تساؤلات حائرة وفلسفة حياة

شهوات ورغبات، وتطلعات ومتع، وشبهات واعتراضات، وتناقضات وآهات، في رحلة جورج التي تطوف في فلسفات

الحياة وفي معنى الوجود في كل من: لندن الساحرة، والهند بلاد العجائب، والقاهرة بنيلها وأهراماتها، والقدس بقدسيته وأديانه، وروما بلاد الكنائس ...

رواية مليئة بالأحداث التي تختلط فيها الفلسفة بالدين بحياة الناس وتناقضاتهم، وتختلط فيها المعاناة بالسعادة، ويختلط الشك باليقين، والمتعة بالشقاء، والوفاء بالخيانة، ومتع الجسد مع متعة الروح، وحديث الروح مع حديث اللسان، وتتصارع الخرافة والدجل مع الحق والصدق ...

قراءة في رؤية الحياة ومعناها، وفي فلسفة الوجود والدين، من خلال أحداث وفلسفات وأفكار ومعلومات متلاحقة متعاقبة سريعة، تنظر في التاريخ والواقع وأثرهما على حياتنا، وتطوف بالعلم الحديث عبر رؤية فلسفية علمية.... فهل تختفي تناقضات الحياة؟! وهل يجد جورج إجابة لتساؤلاته؟! وهل يمكن أن تسعد الروح مع الجسد؟! وهل يمكن أن يجد جورج طريق السعادة...؟!

# مواقع صديقة

أكاديمية البلدة الطيبة
Balda Tayiba Academy

Imam Academy
أكاديمية الأئمة والخطباء

أكاديمية شيخ الإسلام ابن تيمية

أكاديمية حواء

الهدى اكيدمى
Alhudaa academy

Al-Huda Academy

AIA
African Islamic Academy

AIA
African Islamic Academy

ইলম একাডেমি

أكاديمية الإمامين
علم
ابن باز - ابن عثيمين

KAP
KNOWLEDGE ACADEMY
PHILIPPINES

تدارس
tadarus-quran.com

جامعة ابن كثير الدولية
Ibn Kathir International University
of Humanities and Islamic Sciences

[redacted] — [redacted].